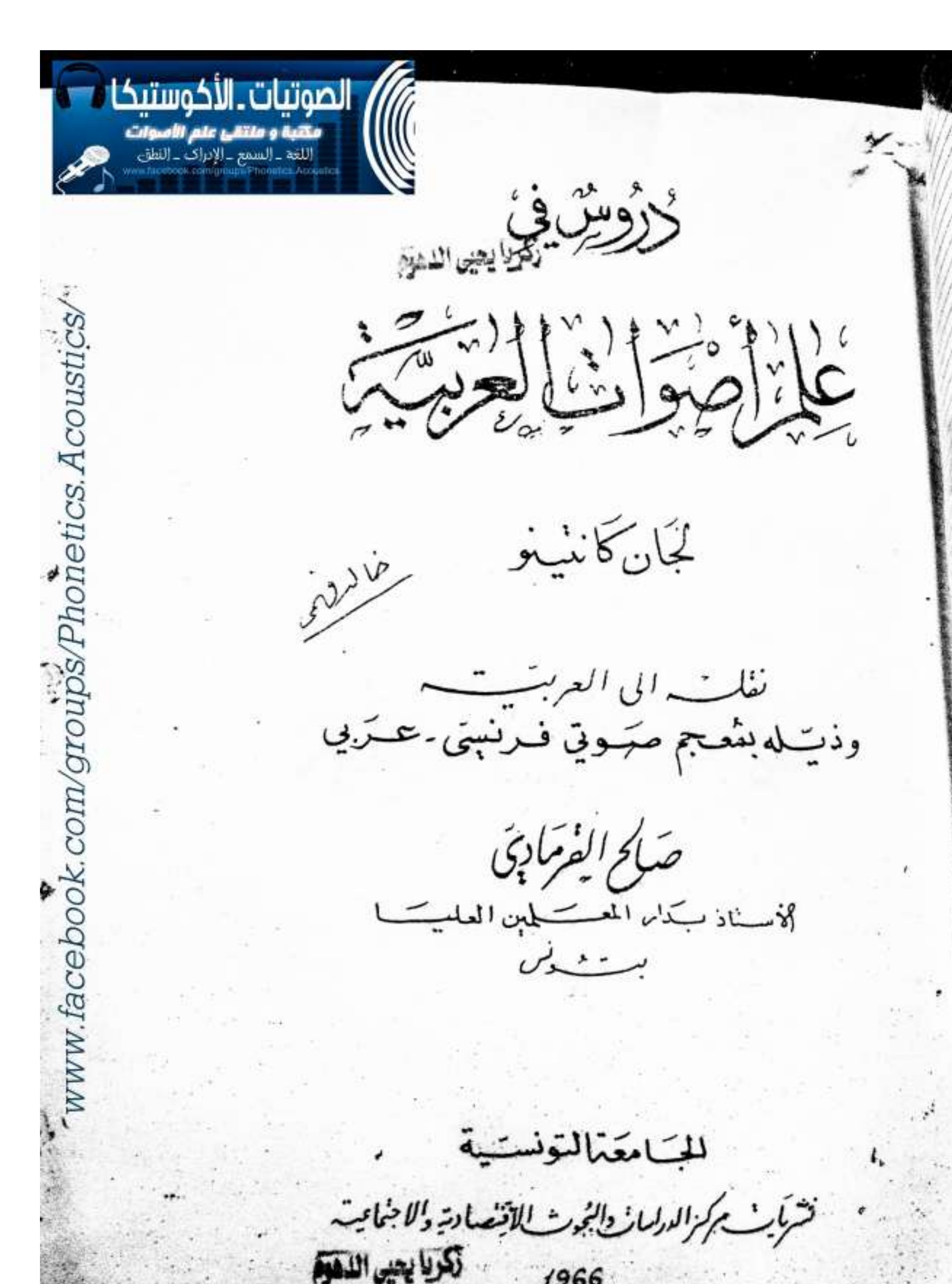


دروس في
علم أصوات العربية

لجان كانتينو

نقله الى العربية
وذيله بمعجم صوتي فرنسي - عربي

صالح القرمادي
الأستاذ بدار المعلمين العليا
بتونس

الجامعة التونسية
نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية
1966

دروس في

علم أصوات العربية

تصدير

يعد كتاب " جان كانتينو" (Jean Cantineau) "دروس في صوتيات العربية" (Cours de phonétique arabe) الصادر بباريس سنة 1960 بالاضافة الى كتاب "هنري افلاش" (Henri Fleisch) "كتاب فقه اللغة العربي" (Traité de Philologie arabe) الذي صدر ببيروت سنة 1961 من بين المراجع الفرنسية الاساسية التي لا غنى لطلبة علم الاصوات العربي وللباحثين في ميدان معالجة المشاكل الصوتية الخاصة بالعربية معالجة عصرية تعتمد الطرق والمناهج الحديثة التي وضعها علماء الاصوات المعاصرون من الرجوع اليها .

ومعلوم ان اللغة العربية فقيرة الآن فقرا ظاهرا فيما يتعلق بهذا النوع من المعرفة اذ قلما رأينا فيها كتبا صنفت للتعرض لعلم الاصوات عامة وعلم اصوات العربية خاصة بالبسط العصري والتحليل الحديث (1)

ولذا فقد رأينا بعد ان اضطلعنا بمهمة تدريس علم الاصوات بالجامعة التونسية عدة سنوات ان ننقل كتاب «كانتينو» المذكور الى اللغة العربية مساهمة منا بسيطة في اثراء هذه اللغة وسعيا في مدّ الطلبة والباحثين العرب بوسيلة من وسائل البحث الصوتي الضرورية وفي نشر هذه الطريقة العصرية في معالجة المسائل الصوتية على عموم قراء العربية الذين انعدمت أو قلت معرفتهم باللغات الاجنبية عامة وبالفرنسية خاصة .

• • •

ان الصعوبات التي قامت في طريقنا اثناء عملنا هذا جمة كاداء أهمها . قلة الالفاظ الاصطلاحية العربية الموافقة للمفاهيم الصوتية الجديدة. ولقد

---

(1) ليس نعرف فعلا من هذه الكتب الا ما صنفه الدكتور ابراهيم أنيس وهو كتابان احدهما في اللهجات العربية القديمة وثانيهما في الاصوات اللغوية ولم نعثر على هذا الكتاب الثاني في تونس مع الاسف .

سعينا الى التغلب على ذلك بأن استقرينا أهم النصوص النحوية العربية القديمة. نذكر منها بالخصوص نصوص سيبويه ونصوص شرح ابن يعيش والزمخشري المتعلقة بمخارج الحروف والادغام والامالة والابدال والاعتلال وبان اجتهدنا اجتهادا في وضع بعض الالفاظ معتمدين في ذلك عادة على طريقة "التوليد" اي توسيع معاني الكلمات الموجودة بعد في اللغة. ويجد القارىء في آخر هذا الكتاب معجما يدله على تفصيل الطرق التي استعملناها للقيام بترجمة الالفاظ الاصطلاحيّة.

وصعوبة ثانية كأداء كادت ان تثنينا عن عزمنا تتمثل في عدم أهلية الخط العربي لرسم مختلف انواع الحركات بمختلف اجزاسها ومتنوع رناتها وبخاصة حركات اللهجات العربية الدارجة التي لا وجود لها في الفصحى وبعد لأي وتردد اضطررنا على مضض الى كتابة الامثلة الدارجة الواردة في هذا الكتاب مرتين مرة بالخط العربي بصفة تقريبية ومرة بين قوسين بالخط اللاتيني باستعمال الرموز الصوتية المتفق عليها في الابجدية الصوتية العالمية نحو : مَا يِقْبْضْشْ : (mā Yegbödš)

وعلى هذا فلا يكون استعمال هذا الكتاب تام الفائدة الا اذا اجتهد القارىء العربي نفسه فتعلم الرموز الصوتية العالمية المثبتة في أول الكتاب وفهم ما ترمز اليه من أنواع النطق الخاصة. وهو لعمري أمر غير مستحيل على الدارس الجاد.

* * *

ونحن اذ نقدم ثمرة مجهودنا هذا الى جمهرة القراء نعترف سلفا بإمكانية وجود كثير من النقص والخلل فيه ونرحب بكل نقد يوجهونه الينا عسانا نستطيع تحسين ما أغفلنا.

وان نحن اسهمنا بقسط متواضع في اثراء المعلومات الصوتية عند "الناطقين بالضاد" وفي المشاركة في تيار تعريب المعرفة في مختلف الميادين فقد وصلنا إلى الغاية التي اليها سعينا.

صالح القرمادي - تونس 1965

صورة كتابة الحروف العربية
بالحروف اللاتينية

ا ـ العربية الفصحى

أ) الحـــروف

الحرف	اللاتيني	الحرف	اللاتيني	الحرف	اللاتيني
أ ئ ؤ	ʾ	ر	r	غ	ġ
ب	b	ز	z	ف	f
ت	t	س	s	ق	q
ث	ṯ	ش	š	ك	k
ج	ǧ	ص	ṣ	ل	l
ح	ḥ	ض	ḍ	م	m
خ	ḫ	ط	ṭ	ن	n
د	d	ظ	ḏ̣	ه	h
ذ	ḏ	ع	ʿ	و	w
				ي	y

ويرسم الحرف المشدد في العربية بواسطة حرفين لاتينيين واما التنوين فيشار اليه بكتابة n فوق السطر نحو "مثلا" تكتب : ($maṯala^{n}$)

ب) الحـــركات :

الحركة	اللاتيني	الحركة	اللاتيني	الحركة	اللاتيني
ـَـ	a	ـِـ	i	ـُـ	u
ـَـا	ā	ـِـيـ	ī	ـُـو	ū

2 ــ العربيــة الـدارجـة

أ) الحــروف :

نضيف الى النظام السابق العلامات الاساسية الآتية عند الاقتضاء :

b̲ أي باء رخوة ḍ أي دال مفخمـة c̱ الشين (ch) الالمـانية
ž أي جيم (j) فرنسية g أي قاف(g) الفرنسية في نحو " Ich "
ṛ أي راء مفخمـة č أي "تش" (tch) ḷ أي لام مفخمة
ŋ أي نون (n) اقصى حنكية المتولد عن الكاف(k) .

(وبصفة عامة فان المطة تحت الحرف معناها انه ينطق رخوا والنقطة تحته معناها انّـه ينطق مفخما) .

ب) الحــركــات :

ä أي بين الـ (a) والـ (è) في الفرنسية
a أي بين الـ (a) والـ (o) في الفرنسية
e أي الـ (é) في الفرنسية
ö أي الـ (eu) في الفرنسية
u أي الـ (ou) في الفرنسية
ü أي الـ (u) في الفرنسية

(وبصفة عامة فان النقطة تحت الحركة معناها ان تلك الحركة تنطق منغلقة وعلامة "السِّيديى" (cédille) أى (¸) تدل على ان الحركة متفتحة. والمطة فوق الحركة معناها أن تلك الحركة طويلة) .

واما الغنة الخيشومية فقد اشرنا اليها بواسطة علامة (~) مخطوطة فوق الحــركــة .

مقدمة

عرض تاريخي

لقد كان قدماء النحاة العرب (١) اول علماء الاصوات في لغتهم. فنحن نجد في كتاب سيبويه ترتيبا صحيحا للحروف حسب مخارجها وملاحظات هامة حول صفات الحروف وبحثا غزير المادة في ادغام الحروف ومعلومات صحيحة تتعلق بمدى الحركات وباعتلال جروسها واشارات الى مختلف الالسن الدراجة وخصائصها الصوتية .

وقد كانت هذه الدراسات الصوتية عند النحاة العرب دراسات وصفية صرفا مثلها في ذلك مثل الدراسات الصوتية التي قام بها نحاتنا في القرن السابع عشر. فقد اغفلوا فيها تطور اللغة التاريخي واكتفوا بالقول بان بعض كيفيات النطق صحيحة مستحسنة وان بعضها الآخر قبيح مستهجن بدون تعمق في الموضوع ولا سبر لاغواره. وليس معنى هذا ان دراساتهم الصوتية هذه لا قيمة لها بل هي دراسات نفيسة ولو رجع اليها الباحثون العصريون اكثر مما فعلوا لتمكنوا من اجتناب كثير من الهفوات التي وقعوا فيها .

وقد ابتدات البحوث الصوتية المتعلقة بميدان اللغة العربية في اوروبا في منتصف القرن الماضي بدراسة البحوث الصوتية التي قام بها النحاة العرب ومقارنتها بما امكن استخلاصه من عناصر من كيفية النطق التقليدي بالعربية الفصحى ومن مختلف كيفيات النطق بالالسن الدراجة.

ولقد كانت دراسات المستشرقين الالمانيين "فَلِّيــنْ" (Wallin) سنة 1855 و "بْرُوكِهْ" (Brücke) سنة 1860 و "لِبْسْيُوسْ" (Lepsius) سنة 1861 دراسات من هذا القبيل. ثم صدر الفصل الذي كتبه "فُولارْسْ"

(١) انظر قائمة المصادر والمراجع فى آخر هذا الكتاب .

(Vollers) سنة 1892 بعنوان "نظــام الاصوات العربية" (The System of Arabic sounds) فجمع فيه ما ورد في كتب النحاة العرب من معلومات صوتية. ثم اصدر كتابه المسمى "لغة الشعب ولغة الكتابة في الجزيرة العربية قديما " (Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien) سنة 1906 فكان دراسة لطائفة من الامور الصوتية الهامة المتعلقة بالالسن الدراجة التي كانت شائعة في الجزيرة العربية. وبعد سنين قلائل أي في سنة 1911 صدر كتاب "شاده" (Schaade) المسمى "علم الاصوات عند سيبويه " (Sibawaihi's Lautlehre) فكان تلخيصا في بضع صفحات لاهم ما جاء في كتاب إمام النحو العربي من معلومات صوتية.

وفي نفس تلــك الحقبة من الزمن تقدمت البحوث في الالسن العربية الدارجة تقدما افاد منه علم الاصوات عدة معطيات جديدة فقد احتوى كتاب "اشتمه" (Stumme) الخاص بلهجة تونس (1896) وكتابه المتعلق بلهجة طرابلس الغرب (1898) وكتاب و. مارسي (W. Marçais) في لهجة تلمسان (1902) وكتابه في لهجة اولاد ابراهيم بمدينة صيدا (1908) وكتاب مــاتسون (Mattsson) الخاص بلهجة بيــروت (1911) وكتاب م. كوهين (M. Cohen) المتعلق بلهجة يهود مدينة الجزائر (1912) احتوت جميع هذه التاليف على فصــول في الصوتيات ضافية غزيــرة الشواهد بل ان كتاب ماتسون مقصور في الحقيقة على دارسة الصـوتيـــات فقـط.

ولم تعطل الحرب العالمية الأولى (1914 ــ 1918) سير هذه الحركة الدراسية المتعلقة بصوتيات الالسن الدارجة. ففي سنة 1915 نشر غ. برغشتريسر (G. Bergsträsser) "الاطلس اللغــوي الخــاص بسوريا وفلسطين." (Sprachaltas von Syrien und Palastina) وهو كتـــاب جمــع فيــه مؤلفه عدة خرائط خاصة بالصوتيات وفي سنة 1917 ظهر كتيب "فيشر" (Fischer) الخــاص "بصوتيــات العربيــة بالمغــرب الاقصــى" (Zur lautlehre des Marokkanisch-Arabischen): وفي سنة 1919 صدر كتــاب سيادة الأسقف فيغالي (Mgr. Feghali) الخاص "بلهجة كفــر عبيدة" (Le parler de kfar ᶜAbīda).وقد اورد فيه صاحبه فصــلا

صوتيا هاما. وفي سنة 1924 ظهر كتاب غ. برغشترسر (G. Bergstrasser) الخاص "بلسان مدينة دمشق الدارج" (Zum Arabischen Dialekt von Damascus)وقد ضم هذا الكتاب مقدمة كادت تكون كلها متعلقة بالصوتيات.

وقد خصص صاحب هذا الكتاب لصوتيات اللهجات الشرقية قسما من اقسام تآليفه الآتية : "اللسان العربي الدارج بتدمر" : (Le dialecte Arabe de Palmyre) (1934) و"دراسات في بعض لهجات البدو الرحل العرب في الشرق" (Etudes sur quelques parlers de nomades arabes d'Orient)الجزء الاول (1936)والجزء الثاني(1937) و"لهجات حوران العربية" (Les parlers Arabes du Hōrān) (تحت الطبع) ويحتوي هذا الكتاب على اطلس لغوي فيه عدد من الخرائط الصوتية. وفي نفس ذلك الوقت اخذت دراسة صوتيات العربية الفصحى تسترعي انتباه العلماء من جديد. فقد صنف "غاردنير" (Gairdner) كتاب "صوتيات العربية" (The phonetics of Arabic)(1925)وطبق فيه بعض طرق علم الاصوات التجريبي على دراسة صوتيات العربية المصرية. ونشر نفس هذا المؤلف بعد ذلك اي سنة 1935 فصلا بعنوان "نظرية علماء الاصوات العرب في الحروف والحركات" اعاد فيه الكلام فيما كان "فولرز" (Vollers) قد درسه بعد من افكار صوتية.

وفي نفس تلك الفترة أي سنة 1934 اصدر م. برافمان (M. Bravmann) كتيبا اسماه "مواد وبحوث في نظريات العرب الصوتية" (Materialen und Untersuchungen zu den phonetischen Lehren der Araber) واورد فيه معلومات جديدة استقاها من كتب التجويد. وفي نفس ذلك الوقت ايضا نشر و. برتزل (O. Pretzl) في مجلة "الأسلاميات" (IV 3-1 (1933-1934) (Islamica, IV, 1-3 (1933-1934) سلسلة من الفصول عنوانها "علم التجويد" (Die Wissenschaft der Koranlesung) واحتوت هذه الفصول هي الاخرى على عدد كبير من المعطيات الصوتية المستخرجة من كتب التجويد.

الطرق والنتائج

ادارة البحوث المقبلة

يستطيع الباحث ان يبوب علم الاصوات العربي الى الابواب التالية. :

1 ـ تطور النظام الصوتي السامي (وهو تطور معروف بفضل استعمال طريقة المقارنـة) ومآله الى النظام الصوتي العربي القديم.

ان الخطوط الكبرى المتعلقة بهذه المسائل قد اصبحت اليوم معروفة لدينا معرفة تامة إلى حدّ ما . ويمكن للباحث في هذا المضمار الاسترسال في استعمال كتاب بروكلمان(Brockelmann) "المختصر في مقارنة انحاء اللغات السامية" (Grundriss der vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen) على قِدَمِه وكتابه "المختصر في علم اللغات السامي" وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية و. مارسي (W. Marçais) وم . كوهين(M. Cohen)سنة 1910 بعنـوان (Précis de linguistique sémitique) فصار ما يمكن اكتشافه من امور جديدة في هذا الاتجاه نـزرا قليـلا.

2 ـ وصف نظام العربية القديمة الصوتي (اي العربية الفصحى والالسن العربية الدارجة القديمة). والطريقة الصالحة الوحيدة في هذا الميدان هي طريقة استقراء كتب النحاة العرب وكتب التجويد. وقد قام الباحثون بعد باكبر قسم من هذا العمل ولم يبق الا مواصلة دراسة تلك النصوص القديمة وتفسيرها والتعليق عليها .

3 ـ تطور نظام العربية القديمـة الصوتي ومآله الى الانظمة الصوتية التابعة لمختلف الالسن العربية الدارجـة.

إن ما نعلمه في هذا الباب اقل بكثير مما نعلمـه في البابين السابقين ومرَدُّ ذلك :

أ) الى ان الأنظمة الصوتية الخاصة بالالسن الدارجة لم توصف كلها الى حد الآن.

ب) الى اننا نجهل في كثير من الاحيان اسباب ذلك التطور الصوتي ومختلف كيفيات وقوعه وانتشاره .

4 — وصف الانظمة الصوتية التابعة لمختلف الالسن الدارجة

لقد وصف الباحثون بَعَدَدٍ عددا من اللهجات العربية فصارت خصائصها الصوتية معروفة لدينا معرفة جيدة نوعا ما. على ان الطرق الحديثة التي تجددت بها دراسة الالسن الدارجة في ميدان اللغات الرُّومَنيَّة (romanes) واللغات الجرمانية واللغات الصقلبية لم يعمم تطبيقهـا بعد على دراسة الالسن الدارجة في ميدان اللغة العربية حتى انه يمكننا القول بانه ليس ثمة الى حد الآن علم اصوات تجريبي خاص بميدان العربية. ولئن قيم ببعض الاعمال في هذا الحقل فانها لم تنشر الى الآن. اللهم الا عمل غاردنير (Gairdner) المذكور وهو عمل سطحي بعض الشيء. ولهذا السبب فان مجال البحوث في هذا الميدان مجال واسع جدا. ومن جهة اخرى فان وصف الالسن الدارجة لم يتعلق عادة الا بألسن دارجة منعزلة . ويمكن القول بان هذا الوصف لم يتجاوز ذلك الى "مساحات لغوية" حتى اننا ما زلنا ننتظر من سيقوم بدراسة "الجغرافيا اللغوية" الخاصة بالالسن العربية الدارجة اذ لم يصنف فيها شيء يذكر عدا "الاطلس اللغوي" الذي صنفه برغشترسر (Bergstrasser) واذن فقد لزم القيام ببحوث واسعة النطاق في الجغرافيا اللغوية لما لها من عظيم الاهمية .

واخيرا فان علم وظائف الاصوات — وهو فرع جديد في علم اللغات نشأ منذ عهد قريب — لم تطبق طرقه قط على ميدان اللغة العربية.

وهكذا فقد ظهر لنا ان المادة متوفرة للقيام باعمال هامة غزيرة في ميدان دراسة صوتيات الالسن العربية الدارجة .

تخطيط الكتاب

تشتمل هذه "الدروس" على :

1 ــ معلومات عامة : اي بعض الاشارات الخاطفة بشأن جهاز التصويت وكيفية تكوين اصوات الكلام البشري. وعلى الراغب في زيادة التفصيل في هذه المسائل ان يرجع الى الدروس الخاصة "بعموميات علم الاصوات"

2 ــ دراسة في نظام الحروف

3 ــ دراسة في نظام الحركات

4 ــ دراسة في المقطع وفي نبرة الكلمات ونبرة الجمل وفي الايقاع

وستتناول الدراسة في هذه الفصول الثلاثة وكل فقرة منها من وجهات نظر اربع نتعرض لها على التوالي وهي وجهة النظر الصوتية ووجهة النظر الوظائفية ووجهة النظر الوصفية ووجهة النظر التطورية وتنتهي هذه "الدروس" بقائمة منطقية من المصادر والمراجع.

عـمـومـيـات

بعض التحديـدات

علم الاصوات هو دراسة اصوات الكلام المنطوق، وينقسم هذا العلم الى علم الاصوات : "فُونيتيك" : (Phonétique) في حد ذاته وهو العلم الذي ينظر في الاصوات في حد ذاتها ويدرس صفاتها من حيث اخراجها بل وحتى من حيث سماعها والى علم وظائف الاصوات ؛ "فُونُولُوجيًا" ، (Phonologie) وهو علم يدرس الاصوات من حيث وظائفها في الاستعمال اللغوي .

ويبدو أن النحاة العرب لم يكن لديهم مصطلح يوافق كلمة "فُونيتيك" (Phonétique) فلم يعتبروا دراسة اصوات اللغة قسما من اقسام النحو الكبرى كما نفعل نحن. على ان ثمة عندهم فصلا رابعا واخيرا في النحو سماه الزمخشري "المشترك" اي "ما يشترك فيه الاسم والفعل والحرف". وفي هذا الفصل دراسة لأكثر المسائل الصوتية التي اهتموا بها الى جانب مسائل اخرى.

جهاز التصويت

على من يبتغي وصفا كاملا لجهاز التصويت ان يرجع الى دروسي في "عموميات علم الأصوات" وسنكتفي هنا بالتذكير فقط بان جهاز التصويت يشتمل على :

1 — الرئتين.

2 — قصبة الرئة وطرفها الاعلى المسمى بالفرنسية "لاَرِينْكِس" (Larynx) وفي هذا الطرف الاعلى زوجان من الطيات الجلدية هي الاوتار الصوتية ويسمى الفراغ الموجود بين الاوتار الصوتية وجدار الحلق الخلفي "رأس القصبة" (Glotte) كما أن ثمة طبقا صغيرا اسمه "طبق رأس القصبة" (Epiglotte) وظيفته غلق رأس القصبة عند ابتلاع الطعام .

3 ـ ادنى الحلق(Pharynx) وهو ما بين اصل اللسان وجدار البلعوم.
4 ـ الخياشيم ويمكن غلقها او فتحها حسب مكان "غشاء الحنك" (Le voile du Palais) وهو جلدة في اقصى الفم تتدلى في طرفها الاسفل زائدة لحمية صغيرة تسمى "اللهاة" أو "الطِّلاطِلة".

5 ـ الفم، وأهم اجزائه هي الحنك واللسان والاسنان. ويتغلق الفم بواسطة الشفتين ، وتتغير صورة داخل الفم وحجمه حسب اتساع ما بين الفكين وحسب مكان اللسان وهيئته ومكان الشفتين وهيئتهما. ومن شأن اللهاة وطرف اللسان والشفتين ان تنز نزيزا. وقد كان العرب يعرفون اكثر هذه الاعضاء، ويطلقون عليها اسماء ذات دقة كافيـة .

فـقد عرفوا "الرئة" (Poumon) (جمعها رئون ورئات) و"قصبة الرئـة" (Trachée artère) و"الحلق" او "الحنجرة" (Larynx) واما لفظ "الحلقوم" فيبدو انهم أطلقوه في آن واحد على الحلق (Larynx) والقصبة (Trachée) وقد يستعمل احيانا لفظ "حلق" نفسه لهذه الدلالةالمزدوجة.

واما الاوتار الصوتية فلا يبدو ان العرب قد عرفوها . وقد عرف العرب ايضا "طبق رأس القصبة" (Epiglotte) وفرقوا بين "أقصى الحلق" و"أوسط الحلق" و"أدنى الحلق" ويبدو ان عبارة "أدنى الحلق" تدل على ما يسمى بالفرنسية(Le pharynx).وهو عضو يبدو ان العرب لم يخصصوا له اسما معينا. وينبغي ايضا ملاحظة عبارة "غار الحلق" وهي عبارة تدل في ما يبدو على جهاز التصويت في مجموعه.

واما غشاء الحنك (Le voile du palais) فـليس له اسم خـاص عندهم في حين ان اللهـاة (Luette) كانت معروفة بهذا الاسم الخاص. وقد اطلق العرب على ما يعرف بالفرنسية : (Fosses nasales) اسما بسيطا هو الانف او بصفة ادق داخل الانف او ايضا المنخر. واما لفظ خيشوم ففي معناه اختلاف وقد سمى العرب ما يعرف بالفرنسية :(Cavité buccale) "داخل الفم" كما سموا الـ (Palais) "حنكا" وهو لفظ يدل احيانا على الذقن ايضا. ويفرق العرب بين "الحنك الادنى" ويسمى نطعا او الغار الاعلى" وبين "الحنك الاعلى" .

كما يفرقون بين اجزاء اللسان فيميزون بين "عَـكَـدَة" اللسان او "عَـكَـرَتَه" اي اصله وبين "اقصى اللسان" و "وسط اللسان" و "ظهر اللسان" و "حافة اللسان" و "طرف اللسان". ويسمى طرف اللسان اذا كان يابسا (كعند النطق بحروف الصفير) "اسَلَة" واذا كان رخوا وتحرك بسهولة (كعند النطق بحروف التكرير والانحراف) "ذَلْقا أو ذَوْلَقا".

وتنقسم الاسنان عندهم الى "ثنايا" و "رَبَاعيات" و "أنياب" و "أضراس" وتسمى الانياب فيما يظهر "ضواحك" ايضا.

كيفية احداث اصوات الكلام البشري (1)

تقوم الرئتان اثناء عملية التصويت بدور المنفاخ ويكوّن الهواء الصاعد منهما ذلك التيار الغازي الذي يحدث ارتجاج الاوتار الصوتية، ذلك ان عضلات الحلق قد تمدد الاوتار الصوتية تمديدا مناسبا حتى اذا ما مر بها ذلك التيار الهوائي نزّت له الاوتار نزيزا هو كنزيز اللسان المتحرك الموجود في بعض الانابيب المدوية، ويقوم الحلق وداخل الفم وداخل الانف في هذه العملية بدور "المدوي" (Résonateur) بالنسبة الى الصوت المحدث هكذا. أي ان الحلق وداخل الفم والانف يدعمان هذا الصوت ويحوران صفته وذلك ما يحدث عند النطق بالحركات وبالحروف المجهورة. اما اذا ارتخت الاوتار الصوتية ولم تنز ذلك النزيز فان الصوت يصبح مجرد نفس يحوره داخل الفم تحويرا ما يختلف مداه واهميته، وذلك ما يحدث عند النطق بالحروف المهموسة. فهناك اذا في عملية التصويت عنصران لازمان وكافيان لاحداث الاصوات أو لإحداث أي دوي آخر وهما :

1 ـ اخراج النفس من الرئتين

2 ـ تفصيل النطق في الفم. ومن المفروغ منه ان المدوي الفموي يمكن ان تتغير هيئته وحجمه حسب ارادة الناطق. وهناك عنصران آخران قد يضافان الى العنصرين الاولين اولا يضافان اليهما وهما :

(1) للزيادة في تفصيل هذه المسألة انظر « دروس عموميات علم الاصوات » .

1 ـ تبريز الاوتار الصوتية

2 ـ الغنة الخيشومية (التي تحدث اذا تنزّل غشاء الحنك وتنعدم اذا ارتفع)

فماذا كانت معلومات النحاة العرب في ما يتعلق بهذه العملية المتشعبة جدا الخاصة باحداث الصوت وبالتصويت ؟ لقد عرف هؤلاء النحاة "النفَس" ودرسوا دراسة تفصيلية النطق الفموي بجميع صفاته كما وصفوه وصفا دقيقا جدا.

ولم يغب عنهم دور "المدوى الخيشومي" في احداث بعض الاصوات. وعلى العكس من ذلك فانه يبدو ان الاوتار الصوتية ودورها الاساسي في احداث الاصوات قد ظلا مجهولين لديهم جهلا تاما .

ترتيب اصوات الكلام البشري

ان الترتيب الاساسي الواجب في نظام الاصوات البسيطة المكونة للكلام البشري هو ترتيبها حروفا وحركات؛ ويمكن تحديد الحروف والحركات تحديدا وجيزا هكذا :

1 ـ خاصية الحرف هي ان يقوم حاجز في جهاز التصويت ثم ان يجتاز النفس ذلك الحاجز.

2 ـ خاصية الحركة هي بالعكس ان لا يقوم حاجز في جهاز التصويت فيجري النفس حرا طليقا .

واما النحاة العرب فقد اطلقوا اسم "حرف" ج. "حروف" (وهو اسم يطلق في الاصل على عناصر الابجدية) على كل صوت بسيط من الكلام سواء أكان حرفا (Consonne) في المعنى الحقيقي للكلمة اليوم ام حركة طويلة كحروف المدّ واللين . ويمكن في نظام الكتابة العربية أن تغفل الحركات القصيرة واذا ما اثبتت كان ذلك بواسطة علامات صغيرة مساعدة تكتب فوق الحروف أو تحتها وتدعى "حركات" وهو جمع حركة، فلفظ "حركة" لا يقابل لفظ "حرف" بل لفظ "سكون" اي انعدام الحركة.

وهكذا فبالرغم من وجود اسم للحركة وهو لفظ "مُصَوِّتة" واسم للحرف وهو لفظ "صامتة" فانه يمكننا القول بأن نظام الكتابة العربية هذا قد طمس بعض الشيء عند النحاة العرب معالم المقابلة الاساسية بين الحروف والحركات طمسا جعلهم لا يعيرون هذه المقابلة الاهمية الرئيسية التي تكتسي بها في الحقيقة .

نظـــام الحـــروف

ا - عمـــومبـــات

ا - عمومبات صوتيـة

لقد سبق لنا ان قلنا إن ما تختص به الحروف هو قيام حاجز داخل جهاز التصويت ثم اجتياز النفس لذلك الحاجز. فمن الممكن اذن ان نرتب الحروف :

أ) حسب النقطة التي يقوم عندها ذلك الحاجز (اى مخارج الحروف)

ب) حسب درجة أهمية ذلك الحاجز (اي درجات الانفتاح)

ج) حسب مختلف الخاصيات التي تصاحب قيام ذلك الحاجز (أي صفات الحروف).

أ) مخارج الحروف ، يجب التمييز بين مخارج الحروف الآتية :

• الحروف الشفوية : أي التي تقرع بانضمام الشفتين الواحدة الى الاخرى مثل الباء (P) والباء والميم والـــواو.

• الحروف الشفوية الاسنانية : أي التي تقرع بين الشفة السفلى منطبقة على الثنايا العليا مثل الفاء والفـــاء (V) .

• الحروف التي بين الاسنان : أي التي تقـرع بوضـع طرف اللسان بين الاسنان العليا والسفلى منفرجة انفراجا قليلا مثل الذال والثاء في الانقليزية والذال والثاء والظاء في العربية

•الحروف الاسنانية : اي التي تقرع بوضع طرف اللسان على الثنايا العليا أو على مغارزها مثل التاء والدال والنون والسين والزاي .

•الحروف الادنى – حنكية : أي التي تقرع بوضع اللسان على أدنى الحنك مثل الكاف والقاف (g) [اذا كانا قبل حركتي i (الكسرة) أو e (الفتحة الممالة امالة شديدة)] و"تش" و "دج" ونحو الشين والجيم والياء واللام (لان الهواء يجرى فيها على حافتي اللسان) ونحو الراء (وتسمى الراء حرفا مكررا لان طرف اللسان يتز عند النطق بها) .

•الحروف الاقصى – حنكية : أي التي تقرع بضم ظهر اللسان الى الجزء الخلفي من الحنك نحو الكاف ونحو القاف (g) التي قبل a (الفتحة) و o (الضمة المنفتحة قليلا) و u (الضمة) في الفرنسية. ونحو حرف ŋ في مثل "ng" في الالمانية (وهو غنة في الخيشوم)

•الحروف اللهوية : (نسبة الى اللهاة وهي الطَّلاطِلَة) وتسمى بالفرنسية (Vélaires) أو (Uvulaires) (نسبة الى (Uvula) وهي اللهاة باللاتينية) ، اي التي تقرع بضم ظهر اللسان الى غشاء الحنك واللهاة مثل القاف والخاء والغين .

•الحروف الادنى – حلقية : (Pharyngales) أي التي تقرع بتضييق أدنى الحلق وبانقباض جداره نحو الحاء والعين .

•الحروف الاقصى – حلقية : (Laryngales) أي التي تقرع في اقصى الحلق أو بالاحرى في رأس قصبة الرئة، وهو قادر على الانفتاح أو الانغلاق نحو الهمزة والهاء.

ب) درجات الانفتاح : يمكن ترتيب الحروف حسب أهمية الحاجز القائم في جهاز التصويت – أي حسب درجة انفتاحه – كما يلي :

• الحروف التي الانفتاح فيها معدوم أي التي يكون جهاز التصويت منغلقا تماما عند النطق بها. وتسمى الحروف الشديدة (Occlusives)نحو الباء (p) والباء والتاء والدال والكاف والقاف (g) والقاف والهمزة.

• الحروف التي الانفتاح فيها ضعيف جدا أي التي يكون جهاز التصويت فيها منفتحا انفتاحا قليلا والحاجز القائم فيه حاجز على قدر عظيم من الاهمية وتسمى هذه الحروف حروفا بين الشدة والرخاوة (Fricatives) أو حروفا رخوة (Spirantes) نحو الفاء والفاء (v) والثاء والذال والسين والزاي والشين والجيم والخاء والغين والحاء والعين.

وتسمى الحروف التي هي وسط بين الحروف الشديدة وبين الحروف الرخوة حروفا شديدة – رخوة (Affriquées) أي أن الجزء الاول منها شديد والجزء الاخير رخو مع لزومها نفس المخرج. ومن هذه الحروف "تش" (ج) و"دج" (ڨ) و"تس" (ts) وهي حروف نجدها في بعض اللهجات العربية.

• الحروف التي ينغلق الفم عند النطق بها ولكن مع تنزل غشاء الحنك تنزلا يسمح للنفس بالمرور من الخيشوم. وتسمى هذه الحروف حروفا خيشومية (Nasales) نحو الميم والنون ونحو النون الخفيفة : ŋ

• الحروف التي الانفتاح فيها انفتاح متوسط والتي يترك اللسان فيها للهواء ممرا كبيرا نوعا ما. وتسمى هذه الحروف حروفا مائعة (Liquides) مثل الراء واللام.

• الحروف التي الانفتاح فيها كبير أي التي يكون ممر الهواء فيها أكبر مما في القبيل السابق. وتسمى هذه الحروف انصاف حركات (Semi-voyelles) مثل الواو والياء.

• الحروف التي الانفتاح فيها اكبر ما يكون أي التي ينفتح فيها جهاز

التصويت انفتاحا عاديا فيجرى النفس جريا. وتسمى هذه الحروف حروفا هاوية (Aspirées) نحو الهاء .

ج) صفات الحروف. بعد ان حددنا هكذا " المخارج " و "درجات الانفتاح" يجب ايضا ان نميز بين عدة خصائص في النطق :

•الحروف المضعفة وهي التي يمتد النطق بها فيضا هي مداها مدى حرفين بسيطين تقريبا وترسم هذه الحروف عادة في الابجدية الاوروبية بحرفين متتابعين "ب ب" (b b) "م م" (m m) الخ ...

•الحروف المجهورة (Sonores) وهي التي تنز الاوتار عند النطق بها، نحو الباء والدال والقاف (g) والفاء (v) والذال والزاي والجيم وحرف "دج" (ǧ) والغين والعين والميم والنون واللام والراء والواو والياء .

•الحروف المهموسة (Sourdes) التي لا تزيز للاوتار الصوتية فيها. نحو الباء (p) والتاء والكاف والهمزة والفاء والثاء والسين والشين وحرف "تش" (č) والخاء والحاء .

•الحروف المفخمة. وخاصيتها توتر عظيم في مختلف اعضاء جهاز التصويت مع تأخير المخرج شيئا ما نحو الطاء والصاد والظاء في اللغة العربية.

•الحروف المُلَيَّنَة (mouillées) التي يبدو الجزء الثاني منها كأنه ياء مثل حرف "ني" (gn) في كلمة (cygne) الفرنسية (سيني أي التمّ) و"لي" و"ني" (ll, ñ) في الاسبانية.

• الحروف الهاوية. وهي التي تبدو كأنها متبوعة بهاء متفاوتة القوة. مثل الباء (p) والتاء والكاف في اللغة الالمانية و"ته" (tʰ) و"كه" (kʰ) في بعض اللهجات العربية .

•الحروف المتبوعة بزائدة لهوية شفوية أي التي تبدو كأنها متبوعة

بواو خفيفة مثل بـو (b^w) وم و (m^w) وفـو (f^w) ولـو (k^w) وفـو (g^w) في بعض اللهجات العربية ولـو (k^w) وفـو (g^w) وفـو (f^w) وخـو ($\underline{h}^w$) في اللغة الحبشية .

- الحروف المتبوعة بزائـدة انحرافية والتي تبدو متبوعة بلام خفيفـة مثل ال (س ْ لْ) (ڈ) في السامية والضـاد في العربيـة .

د) اهم ظواهر تعامل الاصوات : قد تعمل الحروف المتابعة او المتجاورة في بعضها بعض فيحدث عن ذلك ظواهر مختلفـة تابعة لعلم تعامل الاصوات. واهم هذه الظواهر هي الادغام والتباين والقلب .

اما الادغـام فهو ظاهرة تتمثل في نزعة صوتين ما الى التماثل أو الى الاتصاف بصفات مشتركة نحو : "دت" ← ت. واذا كان الادغام جزئيا سمي "تقريبا" نحو : "نب ← مب". واما التباين فهو عكس الادغـام أي انه ظاهرة تتمثل في نزعة صوتين مثلين أو ذوي صفات مشتركة الى التباين. وذلك اذا كـانـا متجاورين نحو الراء في كـلـمـة (peregrinum) (بيريغرينوم) اللاتينية التي تصبح لاما في كلمة (Pélerin) (بيلورين) الفرنسية أي "الحاج" واما "القلب" فهي ظاهرة تتمثل في كون صوتين ما من الاصوات يتبادلان مكانهما في كلمة ما نحو (scintilla) في اللاتينية التي تصبح (stincilla) ثم (Etincelle) في الفرنسية (سانتيلا ← ستانسيلا ← إيتانسل : أي شرارة) فالقلب وقع بين السين والتاء .

2 – نظام الحروف في اللغة السامية : ان وجود عدة لغـات سامية متقاربة جدا مثل اللغة الاكادية (وتتفرع الى الاشورية – البابلية) واللغـة الكنعانية وتتفرع الى العبرية والفينيقيـة والمؤابية. واللغـة الآرامية. واللغـة الاوغاريتية (اي لغة رأس شمرا) واللغـة العربية ولغة جنوب الجزيرة العربية (وتتفرع الى مرقومة وحبشيـة وعصرية). ان وجود هذه اللغات قلنا يجعل من المحتمل وجود لغة اقدم هي السامية تكون مختلف اللغات السامية المذكورة مجرد فروع متطورة منها ومتفاوتة في درجة تباين بعضها عن بعض .

ونحن اذا قارنا بين الانظمة الحرفية التابعة لمختلف اللغات السامية أدانا ذلك الى التسليم بان اللغة السامية كانت تشتمل على النظام الحرفي التالي. فيه 31 حرفا (منها اثنان مشكوك فيهما في الحقيقة. وهما الباء المفخمة (ب = ḅ) والدال ذات الزائدة اللامية أي د̣ل2 ⟵ d^{l}_{2}) (1)

p — b / (ḅ)	پ — ب / (ب̣)
m	م
w	و
t — d / ḍ	ت — د / د̣
n	ن
t_2 — d_2 / $ḍ_2$	ت2 — د2 / د̣2
t^s — d^z / $ḍ^z$	تس — دز / د̣ز
t^l_2 — (d^l_2) / $ḍ^l_2$	تل2 — (دل2) / د̣ل2
r, l, s, y	ر — ل — ش — ي
k — g / q	ك — گ / ق
ḫ — ġ	خ — غ
ḥ — ε	ح — ع
ᵓ	ء
h	هـ

(1) لم نثبت في هذا الجدول الحروف المضعفة على ان كل حروفه قابلة للتضعيف.

وأول ما يسترعي الانتباه في هذا الجدول هو وجود 6 مجموعات مثلثة أو ثواليث متركبة من 3 احرف من مخرج واحد. أحدها مهموس وثانيها مجهور وثالثها مفخم محايد من حيث الجهر (1). وتمثل هذه الثواليث خاصية من خصائص نظام الحروف في السامية.

وثاني ما يسترعي الانتباه فيه هو ان اربعة من هذه الثواليث ذات مخرج اسناني. فأول ثالوث من هذه الاربعة متركب من حروف شديدة اسنانية عادية أي من التاء والدال والدال المفخمة. والثالوث الثاني منها متركب من حروف شديدة اسنانية يبدو أن مخرجها كان اكثر الى الامام بقليل من حروف الثالوث الاول وان شدتها كانت غير كاملة وقد اثبتها هكذا : ($ت_2$) و($د_2$) و($ڊ_2$). ويمكن أن تصير هذه الحروف حروفا رخوة من بين الاسنان أو حروفا مشأشأة او حروف صفير.

والثالوث الثالث منها يحتوي على حروف شديدة اسنانية ذات زائدة رخوة من حروف الصفير وهي "تس" "دز" و"ڊز" وقد أصبحت حروف هذا الثالوث عادة حروف صفير.

واما الثالوث الرابع منها فمتركب من حروف شديدة أسنانية ذات شدة ضعيفة، أي انه من المحتمل أنها كانت شبيهة بحروف الثالوث الثاني الا انها متبوعة بزائدة انحرافية هي نوع من اللام الخفيفة ونرسم هكذا : "$ت_2ل$" و"$د_2ل$" و"$ڊ_2ل$" مع ملاحظة ان العنصر المجهور من هذا الثالوث الاخير مشكوك في وجوده

وآخر ما يسترعي الانتباه في هذا الجدول هو وفرة الحروف الاقصى-حنكية واللهوية والحلقية وهي حروف تمثل ايضا خاصية هامة من خصائص نظام الحروف في اللغات السامية.

3 – نظام الحروف في العربية القديمة

ان العربية تبدو لنا منذ نصوصها الاولى محتوية على نظام ذي 28

(1) أي ان جهره لاقيمة له من حيث علم وظائف الاصوات وذلك لأن هذا الحرف المفخم (وهو مجهور احتمالا) لا يقابل حرفا ثانيا مفخما مهموسا.

حرفا كما نرى ذلك في الجدول أسفله (1). واذا قارنا بين هذا النظام ونظام اللغة السامية بانت لنا عدة تطورات هامة :

فقد تهدّم الثالوث الشفوي بقلب الباء (p) فاء وباضمحلال الباء المفخمة (ḅ) وهو في الحقيقة حرف مشكوك في وجوده في السامية.

ولئن بقي الثالوث الاسناني الاول سالما فقد اصبح الثالوث الثاني ثالوثا من الحروف الرخوة مخرجها بين الاسنان وانقلب الثالوث الثالث فأصبح يتركب من حروف صفيرية. واما الثالوث الرابع فقد تهدم بانتقال "$ت_2$" الى "ش" وباضمحلال الـ "$د_2$" المجهور والمشكوك في وجوده في الحقيقة. فلم يبق اذا الا صوت واحد متنوع بزائدة انحرافية هو حرف الضاد. كما قلب الشين السامي القديم فأصبح سينا واختلط بالسين المنحدرة من الثالوث الاسناني الثالث وعوضت الشين القديمة بشين جديدة انحدرت كما رأينا من "$ت_2$".

وأخيرا فقد تهدم الثالوث الاقصى حنكي اذ قلب حرف القاف (g) حرفا ادنى حنكيا هو الجيم (ǧ) فلم يسلم من التغيير الا نظام الحروف اللهوية والادنى – حلقية والاقصى حلقية ونظام الحروف المائعة وانصاف الحركات واليك جدول الحروف العربية .

ب (b) م (m) — و (w) — ف (f) — د (d) — ت (t) —
ط (ṭ) أو (d) — ن (n) — ث (ṯ) ذ (ḏ) — ظ (ḏ̣) —
س (s) — ز (z) — ص (ẓ) — ر (r) — ل (l) — ض (ḍ) —
ج (ǧ) — ش (š) — ي (y) — ك (k) — ق (q) — خ (ḫ) —
غ (ġ) — ع (ʿ) — ح (ḥ) — ء (ʾ) — ه (h) —

وعدد حروف هذا النظام عند النحاة العرب (2) تسعة وعشرون حرفا اصليا مرتبة حسب مخارجها من الحلق الى الشفتين هكذا : الهمزة والالف (3)

---

(1) لم نثبت في هذا الجدول أيضا الحروف المضعفة على أن كل حروفه قابلة للتضعيف .

(2) سيبويه – (طبعة ديرانبورغ : Dérenbourg .) الجزء الثاني ص 452 والزمخشري – ابن يعيش (طبعة القاهرة) الجزء العاشر ص 125 – 128 .

(3) الألف في نظرنا ليست حرفا .

والهاء والعين والحاء والعين والخاء والقاف والكاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو. ويضيف النحاة العرب الى هذه الحروف التسعة والعشرين الاصلية حروفا اخرى باعتبار نطقها الخاص هي :

1) ستة احرف مستحسنة في نظرهم هي النون الخفيفة وهمزة بين بين والالف الممالة والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي والف التفخيم.

2) ثمانية احرف مستهجنة في اعتقادهم يستعملها العرب الذين خالطوا الاعاجم هي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء والباء التي كالفاء .

3) خمسة احرف يضيفونها احيانا هي القاف التي بين القاف والكاف والجيم التي كالزاي والشين التي كالزاي والياء التي كالواو (اي ما يسمى بالإشمام) والواو التي كالياء .

وهكذا فان عدد الحروف عند العرب يرتقي الى مجموع ثمانية واربعين حرفا بل الى 50 حرفا اذا اعتبرنا ان همزة بين بين تنطق بثلاث كيفيات مختلفة.

1) ويمكن ترتيب الحروف العربية حسب مخارجها كما يلي :

- 3 أحرف شفوية هي الباء والميم والواو.
- حرف واحد شفوي اسناني هو الفاء
- 3 أحرف من بين الاسنان : هي الثاء والذال والظاء.
- 7 أحرف اسنانية هي : التاء والدال والطاء (الدال المفخمة : ḍ) والنون والسين والزاي والصاد .
- 6 أحرف أدنى ـ حنكية هي الجيم والشين والياء والراء واللام والضاد.
- حرف واحد اقصى ـ حنكي هو الكاف .

- 3 أحرف لهوية هي القاف والخاء والغين .
- حرفان أدنى – حلقيان هما الحاء والعين .
- حرفان أقصى – حلقيان هما الهمزة والهاء .

ونظرية مخارج الحروف عند النحاة العرب (1) نظرية احكموا ضبطها بعناية. فهم يقسمون مخارج الحروف الى 16 (2) مخرجا هي :

1) اقصى الحلق وهو مخرج الهمزة والهاء والالف .

2) وسط الحلق وهو مخرج العين والحاء .

3) ادنى الحلق وهو مخرج الغين والخاء .

وتسمى حروف هذه المجموعات الثلاث "حروفا حلقية" .

4) اقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى وهو مخرج القاف .

5) ما هو اسفل بقليل من مخرج القاف بين اللسان والحنك الاعلى وهو مخرج الكاف. ويسمى هذان الحرفان (اي القاف والكاف) "لهويين"

6) وسط اللسان ووسط الحنك الاعلى وهو مخرج الجيم والشين والياء وتسمى هذه الحروف "شجرية" اي "حروف منفتح الفم" .

7) اول حافة اللسان والاضراس وهو مخرج [illegible] .

8) جميع اول حافة اللسان وأول الحنك الاعلى والاضراس الصغرى والانياب والثنايا وهو مخرج اللام.

9) طرف اللسان والثنايا وهو مخرج النون .

10) نفس المخرج السابق الا انه ادخل في ظهر اللسان بقليل وقريب من مخرج اللام وهو مخرج الراء .

---

(1) سيبويه (طبعة ديرانبورغ) الجزء 11 ص 452–453 والزمخشري – ابن يعيش (طبعة القاهرة) الجزء [illegible] ص 123 – 125 – وص [illegible] ... الخ ...

(2) [illegible] الى 17 مخرجا في بعض [illegible] التجريبية .

وتسمى اللام والنون والراء حروفا "ذَلْقية" او "ذَوْلَقية" اي حروفا تفرع بذولق اللسان وهو طرفه .

11) طرف اللسان وأصول الثنايا وهو مخرج التاء والدال والطاء.

وتسمى هذه الحروف حروفا "نِطْعِية" أي ادنى حنكية .

12) طرف اللسان وأعلا باطن الثنايا وهو مخرج الزاي والسين والصاد. وتسمى هذه الحروف "حروفا أَسَلِيَّة" أي حروفا تفرع بأسلة اللسان وهو طرفه اذا استدق .

13) طرف اللسان واطراف الثنايا وهو مخرج الظاء والذال والثاء. وتسمى هذه الحروف "حروفا لِثَوِية".

14) الشفة السفلى والثنايا وهو مخرج الفاء .

15) الشفتان وهو مخرج الباء والميم والواو .

وتسمى الفاء والباء والميم والواو "حروفا شفوية" او "شفهية" .

16) الخيشوم وهو مخرج النون الخفيفة (ذات النطق الخيشومي)

وترتيب المخارج هكذا ترتيب صحيح بصفة جلية ملحوظة وموافق تقريبا لترتيبنا نحن .

II — ويمكن ترتيب الحروف العربية حسب درجات انفتاحها كما يلي.

— 7 أحرف شديدة هي الباء الشفوية والتاء والدال والطاء. (د) الاسنانية والكاف الاقصى حنكية والقاف اللهوية والهمزة الاقصى — حاتمية

— حرف واحد شديد ذو زائدة رخوة هو الجيم.

— 14 حرفا رخوا هي الفاء الشفوية الاسنانية والثاء والذال والظاء التي من بين الاسنان والسين والزاي والصاد الصفيرية والشين المشأشأة والضاد ذات الزائدة الانحرافية والخاء والغين اللهويتان والحاء والعين الادنى حلقيتان والهاء الاقصى حلقية .»

ـ حرفان خيشوميان هما الميم والنون .

ـ حرفان مائعان هما الراء المكررة واللام الانحرافية

ـ نصفا حركتين هما الواو والياء .

III ـ ويمكن من جهة اخرى ترتيب الحروف العربية حسب صفاتها كما يلي :

أ) الحروف المضعفة والحروف التي لا تضعيف فيها وجميع الحروف العربية قابلة للتضعيف .

ب) الحروف المجهورة وهي الباء والميم والواو والدال والذال والظاء د) والنون والزاي والجيم والياء والراء واللام والضاد و(القاف) والغين والعين. والحروف المهموسة وهي الفاء والثاء والتاء والطاء والسين والصاد والشين والكاف والقاف والخاء والحاء والهمزة والهاء. وسيأتي فيما بعد الحديث عن مسالة هل الطاء والقاف حرفان مجهوران ام مهموسان.

ج) الحروف المطبقة وهي الطاء (الدال المفخمة) والظاء والصاد والضاد. وقد يضاف اليها القاف. والحروف غير المطبقة وهي سائر الحروف الاخرى وسياتي فيما بعد الكلام عن الحروف "المفخمة".

د) الحروف ذات الزائدة الانحرافية. وليس في العربية من هذه الحروف الا حرف واحد هو الضاد.

ولم يفرق النحاة العرب بين "درجات الانفتاح" وبين "صفات النطق" بل نراهم يرتبون هذين النوعين من الخصائص في باب واحد هو باب "صفات الحروف" . ويذكرون من هذه الصفات تسع عشرة صفة على الاقل اذ منهم من يذكر اكثر من ذلك العدد. ويقسمونها الى "صفات ذات مقابل" و"صفات لا مقابل لها" فلننظر في هذه الصفات المختلفة حسب الترتيب الذي تذكر فيه عادة (1)

(1) سيبويه : II ، الصفحة 453 ـ 455 والزمخشري ابن يعيش : X الصفحة 128 ـ 131 ـ وانظر ايضا كتب التجويد .

١) الجهر ويقابله الهمس :

وتنقسم الحروف بمقتضاهما الى مجموعتين اثنتين : الحروف المجهورة والحروف المهموسة. وتحديد الجهر والهمس تحديد غامض يمكن التناقش في معناه. وقد قبل الباحثون (انظر مثلا شاده Schaade ص13) مدة طويلة الفكرة القائلة بان الحروف المجهورة هي الحروف التي نسميها " Sonores "(سُنُورْ) وان الحروف المهموسة هي الحروف التي نسميها " Sourdes "(سُورْدْ) الا ان بعض الباحثين قد قاموا منذ بضع سنوات برد فعل عنيف ضد هذه النظرية انظر غاردنير (Gairdner) "علماء الاصوات العرب" ص 243—246 وبرفمان (Bravmann) ص: 21-25) والاعتراضات التي اعترضوا بها على هذه النظرية القائلة باتحاد كلمتي مجهورة و "Sonores" وكلمتي مهموسة و" Sourdes "في المعنى وهي الآتية :

أ) لقد كان علماء الاصوات العرب يجهلون الدور المضبوط الذي تقوم به الاوتار الصوتية. على ان الجواب على هذا الاعتراض يسير اذ انه يمكن التفطن الى المقابلة بين المجهورة والمهموسة (Sonore / Sourde) تفطنا دقيقا جدا بدون معرفة سببها الحقيقي .

ب) لقد قام نقاش في معنى عبارتي "مجهورة" و "مهموسة". ومن الباحثين من يشك في صحة ترجمتهما بكلمتي " Sonore " و " Sourde " اذ كلمة مجهورة معناها في الحقيقة : " Eclatante " (إيكْلاَتَانْتْ: أي رَنّان) وان كلمة مهموسة تعني : " Etouffée " (إيتُوفِي : أي مخنوق) وان برافمان (Bravmann) ليس على خطأ في اعتباره لفظ مجهور مرادفا لفظ قوي ولفظ مهموس مرادفا للفظ خفيف او ضعيف. على ان ذلك لا يعني استحالة استعمال العرب لفظ مجهور في معنى مانسميه: "Sonore" (سُنُورْ) واستعمالهم لفظ مهموس في معنى ما نسميه : " Sourde " (سُورْدْ) افليس هذان اللفظان الفرنسيان ذاتهما غير مناسبين في استعمالنا لهما على الكيفية التالية : " Sonore " اي حرف مصحوب بتزيز الأوتار الصوتية و" Sourde " اي حرف غير مصحوب بذلك التزيز ؟

ج) ويبلغ النقاش اعلى درجات الحدة فيما يتعلق بمماثلة الحروف

المجهورة والحروف المهموسة على النحو الذي ذكرها عليه سيبويه والزمخشري وابن يعيش. فالحروف المجهورة حسب النحاة هي : الهمزة والالف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو. بينما الحروف المهموسة عندهم هي : الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء.

وقد لاحظ الباحثون من حين عرف هذا النص وناقشوا فيه ان الهمزة (وهي حرف مهموس" Sourd " بطبيعته) وان القاف والطاء (وهما حرفان مهموسان " Sourds " حسب القراءة التقليدية التي وصلت الينا) محشورة في تلك القائمة في زمرة الحروف المجهورة. على ان هذا الاعتراض—وان اثر في النفس في الظاهر — ليس له قيمة حقيقية.

فنرى فيما بعد ان القاف والطاء ربما كانا في الاول حرفين مجهورين " Sonores " في قسم من اقسام العربية القديمة على الاقل. واما الهمزة فمن الممكن ان يكون اتصالها المتواتر بالالف قد جعلهم يعتبرونها خطأ مجهورة. وخلاصة القول ان الحجج التي قدمها المعترضون لا تودي الى اليقين وان تقسيم الحروف الى مجهورة والى مهموسة يوافق فيما يبدو تقسيمنا اياها الى " Sonores " والى " Sourdes " موافقة تامة. على الاقل عند سيبويه والزمخشري: اذ ليس من الحكمة والتبصر الركون الى نحاة عهد الانحطاط الذين يستشهد بهم برافمان في صفحة 22.

2 — وتوافق المقابلة بين "الشدة" والرخاوة" مقابلتنا بين " Occlusion " (أوكلُوزْيُونْ) و" Spirantisme " (سْپِيرَانْتِيزْم) موافقة كاملة. فالحروف "الشديدة" هي الحروف التي نسميها " Occlusives " بالذات وتسمى ايضا "حروفا آنية" وقائمة الحروف الشديدة التي نجدها عند سيبويه (II ، ص 454) وعند ابن يعيش (X، ص 129) مطابقة لنظريتنا الحديثة تمام المطابقة. فهما يذكران فعلا : الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والباء والتاء.وكذلك لا تحتوي قائمة الحروف الرخوة او" المتواصلة" عندهما الا على الحروف التي نسميها نحن " Spirantes " اي : الحاء والهاء والعين والخاء والشين والسين والضاد والزاي والصاد والظاء والثاء

والذال والقاء. واما الحروف الباقية اي الالف والغين واليـاء واللام والنون والراء والميم والواو فيعتبرونها بين "الشدة والرخاوة".

وفعلا فان النون والميم خيشوميان واللام والراء يمتازان بكيفية خاصة في النطق والالف والواو والياء هي "حروف المد" : فلا يبقى مجال للشك في صحة هذا الترتيب الا في ما يتعلق بحرف العين. وما عدا ذلك فان الترتيب مطـابق لترتيب علماء الأصوات العصريين .

3 ـ الاطباق ويقابله الانفتاح. وتشمل هاتان الصفتان جزءا من مفهومي الـ "التفخيم" و"انعدام التفخيم" عندنا. على ان تحديد النحاة العرب لهما تحديد بعيد عن الوضوح. وانا اكتفي في هذا الصدد بالاستشهاد بتحديد سيبويه (II ،ص 455) اذ يقول "فاما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف ..وهذه الحروف الاربعة اذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن الى ما حاذى الحنك الاعلى من اللسان ترفعه الى الحنك فاذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك الى موضع الحروف واما الدال والزاي ونحوهما فانما ينحصر الصوت اذا وضعت لسانك في مواضعهن فهذه الاربعة لها موضعان من اللسان وقد بين ذلك بحصر الصوت ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا (1) والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لان ليس شيء من موضعها غيرها" فالخلاصة هي ان سيبويه ومن خلفه من النحاة يعتبرون الحروف المطبقة حروفا "محصورة". ومن الملاحظ ان النحاة العرب لم يثبتوا في قائمة الحروف المطبقة لا حرف القاف ولا بعض الحالات الخاصة في نطق الراء واللام التي تسمى عندنا راء "مفخمة" و"لاما مفخمة" وذلك لان النحاة العرب يعتبرون هذه الحروف حروفا "مفخمة" (2)

4 ـ الاستعلاء . وليس يخلو الاستعلاء من بعض الاتصال بالاطباق ويعرف الزمخشري (ص 190) وابن يعيش (X : ص 129) يعرفان الاستعلاء

---

(1) سنناقش فيما بعد هذا القول الجدير بالملاحظة .

(2) اي ان العرب يفرقون بين المطبقة والمفخمة بينما يجمعها علماء الاصوات العصريون في لفظ ، Emphatiques ،(المعرب) .

هكذا: "والاستعلاء ارتفاع اللسان الى الحنك اطبقت أم لم تطبق" "والحروف المستعلية هي الحروف المطبقة الاربعة ثم القاف والخاء والغين. ويقابل الاستعلاء الانخفاض أو الاستفال وتسمى الحروف غير المستعلية مستفلة أو منخفضة ويضيف بعض المؤلفين المتأخرين في الزمن الهاء والعين الى الحروف المستعلية.

5 – ولا يمكن التفريق بين التفخيم وبين الاطباق والاستعلاء وان كان التفخيم لا يذكر عادة في قائمة صفات الحروف. ويسمى التفخيم ايضا "تغليظا" أو "تسمينا" ويقابله "الترقيق" (1) ومن الراجح فيما يبدوان لفظ "التفخيم" يطلق على بعض الحروف التي لها وقع خاص على السمع أي وقع "فخم" أو "غليظ" أو "سمين" على الاذن. وهذه الحروف هي الأربعة المطبقة ثم القاف والخاء والغين ثم الراء واللام في بعض حالاتهما الخاصة. ومن خصائص الحروف المفخمة الاساسية انها تمنع الامالة بجوارها اي انها تمنع جنوح الفتحة الى الكسرة وهذا الجنوح كثير الحدوث في جوار الحروف المرققة. ولنذكر ايضا ان التفخيم لا يطلق على الحروف فقط بل وايضا على الحركات فهناك في العربية "الف التفخيم" وهي فيما يبدو فتحة خلفية (اي â) تميل الى الحركة الخلفية نصف المنغلقة (اي o) ويبدو ايضا ان التفخيم قد يدخل على الياء ويسمى ذلك "إشماما".

6 – ويقسم النحاة العرب الحروف الى "مذلقة" و"مصمتة". وعدد المذلقة ستة هي اللام والراء (ونسميها نحن " Liquides " "ليكيد" أي مائعة) ثم النون والحروف الشفوية الثلاثة اي الباء والفاء والميم.

ولنستعرض الآن بسرعة صفات الحروف التي لا مقابل لها.

7) حروف القلقلة : وهي الحروف التي لها صوت شديد الوقع لانها جمعت بين الجهر والشدة أي أنها تتمثل في خمسة أحرف شديدة ومجهورة

(1) على الراغب في الزيادة من التفاصيل الرجوع الى آراء ماتسون " Mattsson " ص 18 – 32.

هي القاف (1) والجيم والطاء (1) والدال والباء. واذا كانت هذه الحروف آخرة في الكلمة ووقف عليها كانت القلقلة شديدة جدا وسميت قلقلة كبرى. واذا كانت وسطا سميت القلقلة بخلاف ذلك أي قلقلة صغرى.

8) حروف الصفير وهي الحروف الصفيرية الثلاثة اي السين والزاي والصاد

9) حروف اللين : وهي الواو والياء والالف وتسمى ايضا احيانا "حروف المد".

10) الهاوي "اي الذي فيه هواء" وهو نعت ينعت به الالف الجرسي اي "الالف الذي يحدث صوتا" للمقابلة بينه وبين الالف اذا كان عماد الهمزة.

11) الانحراف : وهو خاصية اللام لان اللسان ينحرف عند النطق بهذا الحرف ويجري الصوت من جانبي اللسان وذلك ما نعبر عنه نحن بعبارة : " Latérale " (لاتيرال أي جانبي).

12) التكرير : وهو خاصية الراء اذ انه يقع فعلا "تكرير" النطق وذلك لان النطق بالراء يتمثل في عدة نزات وارتعشات في طرف اللسان.

13) التفشي : هو خاصية حرف الشين وذلك لان اللسان يتفشى فعلا على الحنك فيتكون في وسطه نوع من القناة ينطلق منها النفس.

14) الاستطالة وهي صفة الضاد وربما كان السبب في هذه التسمية وجود تلك الزائدة الانحرافية في الضاد.

15) المهتوت ومعناه "المحصور المكسور" أو "المنقول بسرعة وغزارة في الكلام" ويطلق ابن جني في "سر الصناعة" هذا النعت على الهاء (كما يذكر ذلك برافمان (Bravmann) ص 41). ويذكر الازهري في

(1) فيما يتعلق بجهر القاف والطاء أنظر صفحة 35 وما بعد هذا.

"تهذيب اللغة" (ص 41) ان الخليل يطلق لفظ المهتوت على الهمزة (انظر برافمان ص 39) (Bravmann) اما الزمخشري وابن يعيش (×ص 128 و 131) فيطلقانه على التاء الا انه من المحتمل ان ذلك ناتج عن غلط من الناسخ وان الصواب هو ان نقرأ "هاء" عوض "تاء"

التشديد : من الملاحظ ان التشديد (1) (وهو اللفظ العربي الموافق لـ (Gémination) جيمينَاسْيُون : اي تشفيع) ليس موجودا في قائمة صفات الحروف والراجح ان السبب في ذلك هو ان التشديد لا يغير من طبيعة الحروف الخاصة بل يطيل من مداها فقط.

IV — الظواهر التابعة لتعامل الاصوات :

لم يعتن النحاة العرب كثيرا بالقلب ولا بالتباين وقد خصصوا بالعكس حيزا عظيما من كتبهم لدراسة الادغام الجزئي او ما يسمى "تقريبا" وقد حشروا ذلك في ابواب مختلفة سموها "بدلا" او "ابدالا" و"قلبا" أو "اقلابا" اي "احلال حرف محل حرف آخر" ويلح النحاة العرب بصفة خاصة على "الادغام الكامل" ويسمى ادّغاما (بتشديد الدال) عند البصريين (2) وادْغاما (بتخفيف الدال) عند الكوفيين.

بل ويذكرون عدد الحروف ومخارجها وصفاتها في باب حديثهم عن الادغام ويفرقون بين الادغام الكبير والادغام الصغير. فالادغام الصغير هو ادغام حرفين متصلين اتصالا مباشرا والادغام الكبير هو ادغام حرفين تفصل بينهما حركة. ويقع الادغام في هذه الحالة بسقوط اي حذف الحركة (اي بذهاب مقطع من مقاطع الكلمة) اولا ثم بادغام أحد الحرفين في الآخر.

وفي كلتا الحالتين لا يجوز الادغام الا اذا كان الحرف الثاني متبوعا بحركة. ويفرق النحاة ايضا بالاعتماد على درجة تشابه الحرفين المدغمين

---

(1) نجتنب استعمال لفظ « شدة » المخصص لـ (Occlusion) (اكلوزيون : أي غلق) أنظر أعلاه ص 35 .
(2) ابن يعيش — × — ص 121 .

بين ادغام المتماثلين اي ادغام حرفين لهما نفس المخرج ونفس الصفات وبين ادغام المتجانسين اي ادغام حرفين لهما نفس المخرج ولكن ليس لهما نفس الصفات وبين ادغام المتقاربين اي ادغام حرفين مخرجاهما وصفاتهما متقاربة .

4 ـ أنظمة الحروف في مختلف الالسن العربية الدارجة

لقد طرأت على نظام الحروف العربية القديمة كما وصفناه تحويرات وتغييرات مختلفة وذلك في مختلف الالسن العربية الدارجة. ومن هذه التحويرات ما هو قديم معروف عند النحاة العرب ومنسوب عندهم الى بعض الالسن الدارجة التي كانت موجودة في عصرهم ومنها ايضا ما هو بالعكس احدث بكثير .

وسندرس هذه التحويرات او التغييرات عند التعرض الى الاصوات صوتا صوتا ونكتفي هنا بذكر بعض الاعتبارات العامة .

ان الامر الذي يسترعي الانتباه اكثر من غيره في نظام حروف العربية الفصحى هو وجود عدد كبير من الاصوات المنعزلة اي عشرة حروف من مجموع ثمانية وعشرين حرفا ومعنى كونها منعزلة هو انها لا تنتسب لا الى ازواج ولا الى ثواليث. ذلك ان المرحلة الخاصة بالعربية الفصحى في تاريخ تطور نظام الحروف العربية مرحلة لا تنظيم فيها مرحلة تفتت وتلاش. وبالعكس من ذلك فاننا نرى ان انظمة حروف الالسن الدارجة التي امكننا النظر فيها قد وصلت الى مرحلة نظمت فيها الاصوات تنظيما جديدا اما بحذف الاصوات المنعزلة أو بدخولها من جديد في مجموعات ثنائية او في ثواليث أو حتى في كتل أوسع.

ولنستعرض الآن بسرعة اهم هذه التغييرات.

ا) نلاحظ ان الثالوث المتركب من حروف رخوة من بين الاسنان قد اضمحل في كثير من الاحيان من لهجات الحضر فصارت حروفه حروفا شديدة وانضمت عادة الى الحروف الشديدة الاسنانية الموجودة من قبل

فكونت معها مربعا من الحـــروف الشديـدة الاسنانيـة .

ت ط

(أي دال مفخمة)

د ڊ

2 ـ لقد كان ثمة في نظـام حروف الفصحى حرف شديـد ذو زائدة رخوة مشأشأة وهو الجيم (ǧ) وحرف مشأشأ هـو الشين. وكان هذان الحرفان منعزلين وقد دخلت عليهمـا فيما بعد عدة تنظيمات جديـــدة.

أ) فقد صار حرف "دْجْ" جيما تونسية في بعض اللهجات فنتج عن ذلك ان تكون زوج ش – ج (تونسية).

ب) وقد تغيرت الكاف في بعض اللهجات فاصبحت "تْشْ" (č) فنتج عن ذلك ان تكون ثالوثان جديدان همـا : تْشْ ـــ ش / دْجْ

(في حالـــة بقـاء الجيـم على نطـق : دج) و : تْشْ ـ ش / ج (تـونـسية)

(في حالة انتقال الجيم من نطق "دْجْ" الى النطـق التونـسي)

3 ـ وقد اضمحل ايضا حرف الضاد الذي كان حرفا منعزلا وذلك بان ختلط بالظاء، فانعدم بذلك وجود حرف ذي زائدة انحرافية من نظام حروف العربيـــة .

4 ـ لقد فككت احيانا المجموعة الثنائية المتركبة من : ك ـ ق وذلك في لهجات الحضـر : *

أ) بأن صارت القاف همزة

ب) بأن صارت الكاف "تْشْ" (č) والقاف كـافا

وقد بقيت هذه المجموعة الثنائية في الاكثر كما هي او على هيئة اخرى هي : كـ ـ ڤ وذلك بان صار القاف ڤافا أي حرفا مجهورا أقصى حنكيا بسيطا نجده في لهجات البدو الرحل وقد أعيد أحيانا بناء ثالوث من الحروف

الشديدة الاقصى حنكية هكذا: ك ـــ ف وذلك اما بان صارت الجيم "ف" وانزادت

ق

الى اللغة كما في لهجات سكان المدن بمصر واما بان دخل حرف "ف" المجهور في اللغة عن طريق لهجات البدو المجاورين كما في لهجات سكان المدن في افريقيا الشمالية. واما بان صارت القاف قافا مجهورا مع دخول قاف أخرى في اللغة عن طريق الأخذ من لهجات سكان المدن المجاورين كما في لهجات البدو في شمال افريقيا. وعلاوة على هذه العمليات التي أعيد بها بناء هذه الاصوات على أشكال مختلفة فقد تكونت في عدد لا بأس به من الاحيان أصوات خاصة نحو الحروف ذات الزائدة الشفوية — اللهوية (أي المتبوعة بواو خفيفة) مثل "بـو" (b^w) وم و (m^w) وف و (f^w) وك و (k^w) وف و (g^w) ونحو الحـــروف الهاوية (اي المتبوعة بهاء خفيفة) : "ت ه" (t^h) "وك ه" (k^h) ونحو الحروف الشديدة ذات الزائدة الرخوة الصفيرية (أي المتبوعة بسين أو زاي خفيفين مثل "تـ س" (t^s) و"دز" (d^z) ونحو الحـــروف المايئة (اي المتبوعة بياء خفيفة مثل "تـ ي" (t^y) و"ك ي" (k^y). وبعض هـذه الاصوات لها قيمة تمييزية وبعضها الآخر لا وظيفة صوتية له .

II . الحروف الشفوية

كانت اللغة السامية تحتوي فيما يبدو على الثالوث التالي المتركب من حروف شديدة شفوية :

پ (اي P) ـــ ب

ب (أي باء مفخمة)

وكان فيها ايضا الى جانب ذلك الثالوث حرف خيشومي هو الميم ونصف حركة هي الواو. اما العربية القديمة فقد تهدم فيها نظام تلك الحروف وذلك بان اضمحلت الباء المفخمة (المشكوك في وجودها في الحقيقة) وبان صار الحرف المهموس پ (P) حرفا رخوا شفويا اسنانيا هو

فنتج عن ذلك ان احتوت العربية الفصحى على الحروف الشفوية الاربعة الآتية : حرف شديد فموي من بين الشفتين مجهور (1) هو الباء وحرف شديد خيشومي من بين الشفتين مجهور (1) هو الميم ونصف حركة من بين الشفتين مجهورة (1) هي الواو وحرف رخو شفوي اسناني مهموس (2) هو الفاء . وتسمى هذه الحروف عند العرب حروفا "شفوية" على ان صفة الفاء الشفوية الاسنانية مذكورة عندهم بدقة وخاصة عند سيبويه اذ يقول في كتابه (II ص 453) "ومن باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا مخرج الفاء". ولما كان من العسير ان نفرق بين الواو والياء فلن ننظر في الواو هنا الا نظرة عرضية وعلى الراغب في الزيادة من التفصيل ان يرجع الى الفقرة الخاصة بانصاف الحركات من هذا الكتاب.

لا يذكر النحاة العرب من التغييرات المقيدة أو المطلقة (3) الطارئة على الحروف الشفوية الا عددا قليلا :

فيذكر سيبويه (II ص 452) نطقا مستهجنا لحرف الباء وهو "نطقها كالفاء" اى نطقا رخوا. ويذكر ابن يعيش (X ص 128) ظاهرة معاكسة اي الفاء التي تنطق كالباء في نحو "فَوْر" تنطق "بَوْر" ويضيف ابن يعيش بان ذلك النطق كثير في لغة الفرس. جاء في شرح السيرافي لكتاب سيبويه ان الخلط بين الباء والفاء كثر في لغة الاعاجم وذلك اما بان تغلب الباء على الفاء (اي انه ينزع بالفاء الى الشدة) واما بالعكس بان تغلب الفاء على الباء (اى انه ينزع بالباء الى الرخاوة) ومثل ذلك ما جاء في نصوص التجويد

---

(1) غير ان هذا الجهر جهر محايد لا مفعول صوتي له اذ لا وجود لحروف مهموسة مقابلة تكون لها وظيفة صوتية .

(2) غير ان هذا الهمس همس محايد لا مفعول صوتي له اذ لا وجود لحرف مجهور مقابل تكون له وظيفة صوتية .

(3) يجب ان نميز باتقان فيما يتعلق بالتغييرات الصوتية الطارئة على الاصوات بين :

أ ـ التغييرات المطلقة التى تحدث مهما كان موضع الاصوات المعنية ومهما كانت الاصوات المجاورة لها. وبين :

ب ـ التغييرات المقيدة التى تنتج عن جوار أصوات معينة . . .

التي ذكرها "برافمان" (Bravmann) ص 76 من تحذير من نطق الباء نطقاً رخواً كما كثر ذلك بالمغرب العربي .

ويذكر النحاة بعض الامثلة التي تدل على ان الباء قد تصير ميماً بصفة مطلقة وذلك نحو ما ذكره الاصمعي من انهم يقولون "بَنَات مَخْر" (اى سحب بيضاء خفيفة تظهر قبل فصل الصيف) عوض "بَنَات بَخْر" وما ذكره ابن العلاء من قولهم "رَاتِما" (اي لا يتحرك) عوض "رَاتِبا". وكذلك يذكر ابن الاعرابي قولهم "نُغَم" (جمع نغمة وهو الجرعة) عوض "نُغَب" (انظر الزمخشري ابن يعيش (× ص 33 — 36) وعكس ما سبق موجود كذلك فمثال "بَكَّة" عوض "مَكَّة" في بعض اللهجات دليل على ان الميم قد تصير باء بصفة مطلقة ايضا (انظر هول (Howell) في كتابه "النحو العربي" (Arabic Grammar) (الفقرة : 682 : ١٧ ص 1194)

وكذلك يذكرون مثالا صارت فيه الباء فاء وذلك قولهم "خُذه بافّانه" عوض "خُذه بإبّانه" (اي خذه في وقته) ومثالا آخر وقع فيه العكس اي ان الفاء صارت باء وذلك في قولهم "بِسكِل" (بكسر الباء وضمها) عوض "فِسكِل" (بكسر الفاء وضمها ومعنى الكلمة "الآخر الذي لا قيمة له" (انظر "هول" النحو العربي الفقرة 696 : أ (٨) ١٧ ص 1394) كما انه ثمة مثالا مشكوكا فيه اكثر من الامثلة السابقة يدل على ان الباء تصير تاء في قولهم "ذَعالتُ" و "ذَعاليتُ" عوض "ذَعالبُ" "وذَعاليبُ" اي : "ثياب خلقة" (انظر ابن يعيش : × ، صفحة 41 و "هول" : النحو العربي : الفقرة : 689 : ١٧ صفحة 1354) وهو في الضعف كالمثالين الدالين على ان الباء تسقط بين كسرتين وهما قولهم : "ثَعالٍ" و "أَرانٍ" عوض "ثَعالِب" و "أَرانِب" (والمثالان من بيت للشاعر ابي خليل النمير بن تولب اليشكري) (انظر : "هول" : النحو العربي : الفقرة 682 و685، ١٧ ، ص : 1297).
ويبدو ان الميم السامية تنزع الى الانقلاب نونا في نهاية الكلمات العربية. مثال ذلك ان علامات اعراب النكرة في اللغة البابلية هي : "أُمْ" "إِمْ" و "أَمْ" بينما يقابلها في العربية التنوين اي : "أُنْ" و "إِنْ" و "أَنْ". كما ان اداة الشرط في العبرانية هي : "إِم" وفي العربية "إِنْ".

وكذلك نلاحظ ان الميم والنون في نهاية الكلام في القرآن واحيانا في الشعر تستعملان لقافية واحدة فتسجع احداهما مع الاخرى .

ولم يسلم من الانقلاب نونا فيما يبدو الا الميمات الآخرة المحفوظة بالقياس الصرفي او اللفظي كالميم في نحو "قُمْ" (من قام) او ميمات التي كانت تقبها زمنا ما حركات آخرة نحو "هُمْ" واصلها "هُمُ" أو "هُمُو" (انظر ك. بروكلمان : "المختصر" : (Précis) ص: 74 وكذلك : "المختصر" : (Grundriss) ص : 136 — 137) .

وسنرى فيما بعد ان قلب الثاء فاء امر قد ثبتت صحته ثبوتا وانه كثير في العربية سواء في الماضي او في عصرنا هذا . اما الظاهرة المعاكسة فأقل وقوعا. فلنذكر وجود اللفظين المترادفين الآتيين في العربية : "مُغْثُور" و"مُغْفُور" .(وهو نوع من الصمغ شبيه بالعسل تقطره بعض الاشجار). واما في الالسن الدارجة العصرية فلنذكر لفظة "ثُمْ" (ṯumᵐ) السورية (ونصبح "تم" (tumᵐ) في لهجات سكان المدن) عوض لفظة : "فُمْ" (fumᵐ) (اي: فَمُ) وهي الصيغة العادية. كما ينبغي ذكر عمليات الادغام في القرآن وهي ادغام الحرف الاخير من اللفظ في الحرف الاول من اللفظ الذي يليه :

• ب + م ← مّ : نحو: "يُعَذِّمَّنْ يَشَاءُ" في قراءة: "يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ". (قرآن السورة : II الآية 284 و III ، 124 و V ، 21 و 44 و XXIX 20) . أدغمت الباء في الميم وسقطت حركة الباء .

• ب + ف ← فّ : نحو "إذْ هَفَّمَنْ تَبِعَكَ" عوض اذهبْ فمَن تبعك " (ق: XVII ، 65) الخ ..

• ف + ب ← بّ: نحو "نَخْسِبِّهِم" عوض "نخسِفْ بِهِم" (ق: XXXIV ، 9) حسب الكسائي

• م + ب ← بّ : نحو "وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَبُّهْتَانًا عَظِيمًا "عوض "وَقَوْلِهِمْ على مَرْيَمَ بُهْتَانا عَظِيما"(ق : IV 155)حسب مدرسة ابي العلاء. ونحو ايضا: "لِكَيْلا يَعْلَبَّعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا" عوض: "لِكَيْ لا يَعْلَمَ

بَعدَ عِلمٍ شَيْئًا" (ق: XVI، 72) ادغمت الميم في الباء بعد سقوط حركة الميم. على ان نطق المجموعة (م + ب) في هذه الحالة وفي نحوها من الحالات هو في الحقيقة نطق خاص يسمى "اخفاء" وهذا النطق يكون مصحوبا في تلاوة القرآن بصوت من الخيشوم وبنغمة تؤدى مع غلق الفم وتسمى "غنة" ومن الممكن ايضا ان الحركة السابقة للمجموعة (م + ب) تنطق كذلك في نفس الوقت بشيء من الخيشومية (انظر في هذه المسألة برافمان (Bravmann) ص 67 واذا كانت الميم متبوعة بحرف شديد اسناني جاز قلبها نونا : فقد تقرأ احيانا صيغة "امْتُقِـع" (اى تغير لونه من حزن) "انْتُقِـع". كذلك قد تصير: "إمْتَطَل" (اي أجّل الأمْرَ) "إنتطَلَ" وقد يقرأ "مِمْطَرٌ" (اي معطف للوقاية من المطر) "مِنْطَرٌ" .

وتحدث نفس هذه الظاهرة في احيان عارضة اذا كانت الميم متبوعة بحرف من الحروف الحنكية والحروف اللهوية نحو "يَمْجُرُ" (اي يعطش) يجوز نطقها "يَنْجَر" و"أمْقَحَ" (اي الشراب بشدة ونهم) يجوز نطقها "أنْقَحَ" و"أمْغَرَت" (النعجة اي دَرَّتْ بلبن مخلوط بالدم) يجوز نطقها "أنْغَرَتْ" (انظر تفاصيل المراجع عند بروكلمان : "المختصر" (Grundriss) ١ ص: 161—162).

واذا كانت الميم بجوار ميم او نون قلبت الميم باء تنافرا نحو : "ما اسْمُكَ" تصير "بَاسْمُكَ" (ذكره الفارسي عن الاصمعي) ونحو : "النَّمَيْتُ" (اسم مكان في الدهنة : (Dahna) يصير "النُّبَيْتُ" (انظر "هـول" : النحو العربي : ١٧ ، الفقرة 682 ص : 1194)

وقد يحدث نفس هذا التنافر بعد واو نحو "وَمَدٌ" (وهو الحرارة الشديدة) ينطق أحيانا "وَبَدٌ" (انظر : بروكلمان "المختصر" (Grundriss) ١ ص : 232). وقد وقع احيانا تنافر بين عنصري الباء المشددة (ب + ب) والباء المشددة (پ + پ) الموجودين في السامية المشتركة "قَشْبِلَةٌ" يوافقها في العبرية "شِبُلِتْ" (šibboleṯ) و"قَنْفَذٌ" يوافقه في العبرية "قِپُودْ" (qippōḏ) ونجد في صلب العربية نفسها "خَمَشَ" و"خَرْمَشَ" في وقت واحد.

وتسقط الميم في لغة بني كلاب قبل النون وذلك في قولهم "انتخة" مكان "منتخة".

واما اللهجات العربية الحديثة فقد تطرا على الحروف فيها طائفات من الظواهر وهي ظواهر لا وظيفة صوتية لها عادة وهي :

1) التفخيم

يطرأ على الحروف الشفوية الثلاثة اي الباء والميم والفاء تفخيم ثانوي وذلك في لهجات البدو في الشرق او لهجات أهل الحضر المتأثرين بلهجات البدو. ويكون العامل في ذلك التفخيم إما تاثير حركات خلفية تابعة لطائفة : u (الضمة) و O (الحركة الخلفية نصف المنفتحة) وإما تأثير حروف مفخمة مجاورة وقد يطرأ ذلك التفخيم الثانوي على حرف الواو ايضا الا أن هذا الحرف يكون في الاغلب مفخما بالطبع انظر : كانتينو (Cantineau) : "لسان تدمر العربي الدارج" : I : ص : 44 – 48 و "دراسات في بعض لهجات البدو العرب في الشرق ، ص 12 – 16 – و II : ص 129–130 و "لهجات حوران العربية ، الاطلس والخرائط رقم : 6–12و 17–18 و 56) .

ويوجد مثل هذا التفخيم في لهجات افريقيا الشمالية نحو "أمُّك" (^{u}mmok) بتفخيم الميم المشددة ولكن هذا التفخيم لم يدرس دراسة كافية الى حد الآن)

2 - الجمع بين الشدة والرخاوة

قد تكون الحروف الشفوية اي الباء والميم والفاء متبوعة بواو خاطف اي "بحرف رخو عرضي" يظهر خاصة قبل حركات i و e و a (اي الكسرة والفتحة الممالة امالة شديدة والفتحة) ذلك ان هذه الحركات تنفتح لها الشفتان انفتاحا أقصى في حين ان الحروف الشفوية يتطلب النطق بها انغلاق الشفتين انغلاقا جزئيا او تاما. فمن الطبيعي عند

النطق البطيء ان يتزلق "صوت عارض" يدل على الانتقال من هيئة شفوية ما الى هيئة اخرى معاكسة للاولى. ويقع ذلك في لهجات البدو في شمال افريقيا فيذكر و. مارسي (W. Marçais) في كتابه : أولاد ابراهيم بمدينة صيدا "ص 23–24 مثال غبّربّوة" (Ġṛobbʷa) براء مفخمة وواو خفيفة بعد الباء المشددة (اي غبّربّان) ومثال "رَبّوِي" (ṛabbʷi) براء مفخمة وواو خفيفة بعد الباء المشددة (اي رَبّي) ومثال "فمّوي" (fummʷi) بواو خفيفة بعد الميم المشددة (اي فمّي).

ونجد مثل ذلك في الشرق في لهجات البدو (او في اللهجات المتأثرة بلهجات البدو) : راجع نفس المرجع المذكور أعلاه.

3) الارتخاء

ان نطق الباء نطقا رخوا خاصية من خصائص بعض لهجات الحضر بالمغرب الاقصى : فلا تقرع الباء عندهم شديدة بل رخوة مجهورة بين الشفتين والعامل في ذلك في الراجح هو تأثير الطبقة اللغوية السفلى أي اللغة البربرية. ويقول و. مارسي في كتابه "نصوص عربية من مدينة طانجة" ص : ×٧ ان الباء الشديدة الاصلية لم تبق الا في : 1) حالة التشديد فتنطق "ب" مشددة لا حرفا رخوا مجهورا بين الشفتين مشددا (b b). 2) اذا كانت مسبوقة بميم فتنطق "مب" لا (m ḇ) اى لا ميما متبوعة بباء رخوة. 3) اذا كانت مسبوقة بلام "الـ" اداة التعريف فيقال "باب" (ḇāḇ) ببائين رخوتين ومع التعريف يقال "الْبَابْ" (lbāḇ) (الباء الاولى شديدة عادية والباء الثانية رخوة) 4) في بعض الالفاظ القليلة نحو "اَرْبْعَة" (aṛbᵇᶜa) بتفخيم الراء وتشديد الباء الشديدة تشديدا خفيفا و"قُلْبْ" (qolb) برفع القاف بحركة خلفية نصف منغلقة وبباء شديدة اي "قلب" و "كَلْبْ" (kelb)

وبالعكس من ذلك يذكر أ. فيشر (A. Fischer) في كتابه "في صوتيات العربية بالمغرب الاقصى" ان مشاهداته الشخصية بمدن طانجة

والرباط والدار البيضاء والصويرة بينت له ان الباء الشديدة قد بقيت مستعملة اكثر من ذلك بكثير، ولكن لا ننس ان نطق الباء نطقا رخوا هو "امر مستهجن" بدون اي شك وانه من المحتمل ان طائفة من مخبري بنشر قد اخفوا عليه ذلك النطق الرخو.

واما الظواهر الصوتية التعاملية التي تطرأ على الحروف الشفوية في الالسن الدارجة فقليلة الاهمية. ونكتفي هنا بذكر ادغام الفاء في الصاد اذا اتصلا على هذا النحو: (صف ← صّ) ويقع هذا الادغام في اكثر اللهجات الدارجة نحو "نُصْ" (nuṣṣ ; noṣṣ) بضمة عادية على النون او بحركة خلفية نصف منغلقة اي "O" الفرنسية) التي اصلها "نصف" في العربية.

ونذكر كذلك ابدال باء المضارع ميما اذا كانت متبوعة بنون المتكلم في صيغة الجمع في اللهجات السورية الفلسطينية نحو : بْنِكْتُبْ ← "مْنِكْتُبْ" (bnektob ← mnektob) (اي نَكْتُبُ) .

وكذلك ادغام الفاء في التاء في اللهجات الجزائرية في نحو : "شُتْ" (šott) "وشُتُّو (šotto) (عوض شُفْتْ وشُفْتو اي رَأَيْتُ ورَأَيْتُهُ) وكذلك القريب الذي يقع في الجزائر والمغرب الاقصى حيث تصير "مت" ← "ت" في اداة الملكية "نْتَاع" عوض "مْتَاع" (اي لي ومالكي) وقد اصبحت هذه الصيغة اي "نْتَاع" "تَ" (ta) في اللهجة المالطية بادغام النون في التاء. ويجب الرجوع فيما يتعلق بالجزائر الى و. مارسي : "لهجة تلمسان" ص 22—23 و "لهجة صيدا" ص : 23—24 والى م. كوهين (M. Cohen) لهجات يهود مدينة الجزائر ص : 71—76).

III. الحروف الاسنانية

1 — الحروف الشديدة النموية :

لقد رأينا أعلاه انه كان في اللغة السامية ثالوث من الحروف النموية الاسنانية هو : ت ـــ د ـــ دْ أي التاء والدال والدال المفخمة.

وقد احتفظت العربية القديمة بهذا الثالوث والنقطة الوحيدة التي ما زال

فيها مجال للنقاش هي نطق الحرف المفخم اى الطاء فهل الطاء حرف مهموس ام هل هو حرف مجهور في العربية ؟ ولما كان معنى كلمة: مجهور بالضبط موضعا للخلاف وجب ان نطرح ترتيب النحاة العرب الطاء في الحروف المجهورة جانبا. الا ان هناك في كتاب سيبويه II (ص : 455) فقرة ترجح فيما يبدو نعت الطاء بكونها مجهورة بالمعنى الحديث اى (Sonore) وذلك قوله : "ولو لا الاطباق لصارت الطاء دالا". وبالعكس من ذلك ليس هناك خلاف في ان نطق الطاء المأثور في العربية الفصحى هو نطقها مهموسة اى كالتاء المفخمة. كما ليس هناك مجال للخلاف من جهة اخرى في ان هذا الحرف هو حرف مهموس ايضا اي كالتاء المفخمة في اكبر قسم من اللهجات العربية الدارجة .

. غير انه يبدو ان هناك في لهجات اليمن طاء تنطق كالدال المفخمة وقد شهد بذلك غلازر (Glaser) في فصله : "النطق العربي" (Die Arabische Aussprache) الذي صدر في (Sitzungsberichte des Bohm. Ges. d. Wiss. Phil. Hist. Klasse 1885, p. 94) اي "تقارير جلسات الجمعية العلمية النورية — قسم فقه اللغة والتاريخ سنة 1885 ص : 94" اذ يذكر ان بمدينة صنعاء طاء تنطق كالدال المفخمة وقد طمس معالم شهادة "غلازر" هذه ما جاء به "غويتاين" (Goitein) في : (Jemeniche Geschichten.) in ZS VIII, p. 168 - 169) اي : "قصص يمنية" بمجلة الدراسات السامية : VIII سنة 1932 ص: 168—169. ما جاء به من ملاحظات اذ يصرح بانه من العسير ان يميز المرء في لهجات اليمن بين الدال والتاء والطاء وان هذه الاحرف كثيرا ما يختلط بعضها في بعض في الرسم. الا انأ. روسي (E. Rossi) أثبت من جديد وجود دال مفخمة في لهجات اليمن تمثل الطاء القديمة اثبت ذلك في (1)Appunti di dialettologia del Yemen, in Rso XVII-1937 p. 236

(1) على أن أ. روسي والحق يقال يلاحظ فى فصل آخر عنوانه « ملاحظات فيما يتعلق بلهجات اليمن »
Nuove osservazioni sui dialetti del Yemen, in Rso XVIII-1938 p. 461.
ان نطق الطاء كالدال المفخمة يقع خاصة اذا توسطت الطاء حرفين مجهورين. وكذلك الامر فى التاء التى تنطق كالدال الا انه أقل وقوعا من الاول .

أي : "ملاحظات في دراسة لهجات اليمن" بمجلة الدراسات الشرقية : XVII سنة 1937 ص : 236" .

وينبغي من جهة اخرى ان ننتبه الى ما ذكره "كَانْبِفْمَايِرْ"(Kampffmayer) في فصله Materialen Zum Studium der arabischen Beduinendialekte (Innerafrica, in M.S.O. II p. 143 - 221, n° 37, 70, 135 etc.. أي: "مواد لدراسة اللهجات العربية البدوية بافريقيا الداخلية" الذي صدر ضمن "تقارير معهد اللغات الشرقية " II (ص : 143—221 عدد : 37، 70، 135 الخ). من ان هناك في اللهجات العربية بالوادي (Wadaï) شرقي بحيرة التشاد (Tchad) طاء تنطق نطقا مجهورا اي كالدال المفخمة تفخيما تتفاوت درجته من مكان الى مكان.

ونحن اذا قارنا بين الفقرة التي في كتاب سيبويه وبين هذين الحديثين المتعلقين باللهجات قادنا ذلك الى افتراض ان الطاء كانت في الاصل مجهورة اي دالا مفخمة وانها سرعان ما صارت مهموسة اي تاء مفخمة في جميع اقسام العربية بما فيها نطق العربية الفصحى المأثور تقليديا.

وربما كان السبب في انتقال الطاء من الجهر الى الهمس كونها مفخمة وحدوث ذلك التوتر العام في الاعضاء عند النطق بها .

ويبدو ان التغييرات الطارئة على الحروف الشديدة الاسنانية اي التاء والدال والطاء (الدال المفخمة) لم تكن كثيرة في القديم. فيذكر سيبويه (II ص : 452) والزمخشري — ابن يعيش (X ص : 126—127) نطقا مستهجنا للطاء التي تنطق كالتاء في نحو قولهم في "طالب" "تالب" ويبدو ان ذلك كان كثيرا بالخصوص عند سكان شرقي العراق الذين كانت لغتهم الاصلية اللغة الفارسية .

وقد يقع عكس ذلك اي ان التاء قد تصير طاء في قولهم "أفلط" مكان "أفلت" وهي الصيغة الأكثر تداولا. وقد تصير الدال تاء في قولهم "تَرَبُوت" مكان "دَرَبُوت" (اي ناقة طيعة مقوادة) وقد تصير الدال

أي : "ملاحظات في دراسة لهجات اليمن" بمجلة الدراسات الشرقية : XVII سنة 1937 ص : 236".

وينبغي من جهة اخرى ان ننتبه الى ما ذكره "كَانْبِفْمَايِرْ" (Kampffmayer) في فصله (Materialen Zum Studium der arabischen Beduinendialekte Innerafrica, in M.S.O. II p. 143 - 221, n° 37, 70, 135 etc...) أي: "مواد لدراسة اللهجات العربية البدوية بافريقيا الداخلية" الذي صدر ضمن "تقارير معهد اللغات الشرقية " II (ص : 143—221 عدد : 37، 70، 135 الخ). من ان هناك في اللهجات العربية بالوادي (Wadai) شرقي بحيرة التشاد (Tchad) طاء تنطق نطقا مجهورا اي كالدال المفخمة تفخيما تتفاوت درجته من مكان الى مكان.

ونحن اذا قارنا بين الفقرة التي في كتاب سيبويه وبين هذين الحديثين المتعلقين باللهجات قادنا ذلك الى افتراض ان الطاء كانت في الاصل مجهورة اي دالا مفخمة وانها سرعان ما صارت مهموسة اي تاء مفخمة في جميع اقسام العربية بما فيها نطق العربية الفصحى المأثور تقليديا.

وربما كان السبب في انتقال الطاء من الجهر الى الهمس كونها مفخمة وحدوث ذلك التوتر العام في الاعضاء عند النطق بها .

ويبدو ان التغييرات الطارئة على الحروف الشديدة الاسنانية اي التاء والدال والطاء (الدال المفخمة) لم تكن كثيرة في القديم. فيذكر سيبويه (II ص : 452) والزمخشري — ابن يعيش (X ص : 126—127) نطقا مستهجنا للطاء التي تنطق كالتاء في نحو قولهم في "طالب" "تالب" ويبدو ان ذلك كان كثيرا بالخصوص عند سكان شرقي العراق الذين كانت لغتهم الاصلية اللغة الفارسية .

وقد يقع عكس ذلك اي ان التاء قد تصير طاء في قولهم "أفلط" مكان "أفلت" وهي الصيغة الأكثر تداولا. وقد تصير الدال تاء في قولهم "تَرَبُوت" مكان "دَرَبُوت" (اي ناقة طيعة مقوادة) وقد تصير الدال

طاء في نحو عبارة مَطّ الحَرْف (اي مَدّ الحَرْف) وكذلك في قولهم "يابعَاطْ" في "ابعَاد" (مَصْدَرْ أبْعَدْ) .

وان التغيير الطارىء على التاء والذي يسترعي الانتباه اكثر من غيره هو انقلاب علامة التانيث في الاسماء والصفات أي "ـة" الى "ـه" عند الوقف نحو قولك في "ناقة" "ناقه" عند الوقف؛ ولما كان ابدال التاء هاء مباشرة ولاسباب صوتية محضة من الظواهر المستبعدة نوعا ما والامثلة الدالة على هذا النوع من الابدال قليلة فقد اقترح "بروكلمان" في : " المختصر " " Grundriss " (I ص : 48) تفسير هذا الحدث بالصورة التالية : ان تسقط التاء عند الوقف في مرحلة أولى نحو : ناقة ← ناق ثم ان تظهر بعد الحركة النهائية هاء ثانوية شبيهة بهاء السكت التي سننظر فيها فيما بعد؛ نحو : نَاقَ ← نَاقَهْ وهو تفسير تحتمل صحته. ومهما تكن الحقيقة فالذي ينبغي الانتباه اليه هو ان ابدال التاء هاء عند الوقف لا يحدث في العربية الا في اواخر الاسماء والصفات المؤنثة المفردة اي في تاء التانيث المربوطة. فلا يحدث ذلك في تاء التانيث المفتوحة التي في الاسماء المؤنثة نحو "بنت" و "اخت" ولا في الاسماء التي التاء فيها ليست علامة على التانيث نحو "عنكبوت" و "وقت" و "موت" ولا في تاء المؤنث السالم نحو : "مسلمات" ولا في تاء المفردة الغائبة في الماضي نحو : "ضربت"

ولكن النحاة القدامى ذكروا اشياء في اللهجات تخالف هذه القواعد. فابدال التاء هاء في الوقف لم يكن موجودا في بعض اللهجات المنتشرة جدا اذ كان المتكلمون بها يقولون مثلا : "وعليه السلام والرَّحْمَتْ" (عوض والرَّحْمَهْ) و "جَوْز تَيْهَاءَ كَظَهْرِ الحَجَفَتْ" (عوض الحَجَفَهْ) ومعناه وسط صحراء كظهر الترس (انظر الزمخشري – ابن يعيش IX ص : 80–81)

وبالعكس من ذلك فقد كان ابدال التاء هاء في بعض اللهجات يمتد الى اصناف اخرى من الكلام وخاصة الى تاء جمع المؤنث السالم. ومثال ذلك قبيلة طيء التي ذكروا عنها العبارات الخاصة الاتية : "كيف البنون

والبناه"؟ (أي والبنات) و"كيف الاخوة والاخواه"؟ (أي والاخوات) ودفن البناه" (اي البنات) "من المكرمـاه" (اي المكرمات) (راجع زمخشري، ابن يعيش × ص : 42—45) وكذلك كان الانصار بالمدينة ينطقون "تابوه" عوض "تابوت" (قرآن II : 249) بينما كان أبناء قبيلة قريش بمكة ينطقون : "تابوت" بالتاء اذ التاء النهائية في هذه اللفظة ليست علامة التانيث (نفس المرجع في القرآن) وسنرى فيما بعد آثار هذه النزعات في اللهجات الحديثة .

وتطرأ على الحروف الشديدة الاسنانية عدة تغييرات مقيدة اخرى. منها التباين وان قل حدوثه في الحقيقة ونذكر منه على كل حال : "فستاط" (أي خيمة او مخيم) عوض فسطاط" التي يدل عليها الجمع "فساطيط" ومنها التقريب وهو بعكس التباين كثير جدا .

فاذا كانت التاء متصلة بحرف من حروف الاطباق اي الضاد والصاد والظاء ابدلت طاء على سبيل التقريب من ذلك اصطبر (وأصله اصتبر) واضطرب (واصله اضترب) واظطلم (وأصله اظتلم) (انظر الزمخشري، ابن يعيش × ص : 46—48) وقد يحدث ذلك التقريب بذاته في لهجة بني تميم في تاء الضمائر الآتية: "تُ" و "تَ"و"تِ"و "تُم" و"تُنّ"المتصلة بالماضي نحو: "حَصْطُ" اي "اخفيتُ عين البازي بغطاء" (واصلها حَصْتُ) و"خَفَطُّ" اي غرستُ الشيء وادخلته (واصلها خفتُّ) وحَفِظْطُ (واصلها حَفِظْتُ) (انظر نفس المرجع).

واذا كانت التاء مجاورة لحرف من الحروف المجهورة التالية : الذال والزاي والجيم ابدلت دالا تقريبا. من ذلك اذَّكَرَ (واصله اذْتَكَرَ) وازْدَجر (واصله ازْتَجر) واجْدَمَعَ (واصله اجتمع) (انظر زمخشري ابن يعيش الجزء العاشر ص : 48—49) وكذلك تبدل تاء ضمائر الماضي دالا للتقريب بينها وبين لام الفعل اذا كانت زايا وذالا نحو : فُزْدُ (واصله فُزْتُ).

وتدغم التاء في الدال والطاء والثاء والذال والظاء والسين والزاي والصاد والضاد. ويطرأ هذا الادغام خصوصا على تاء صيغة المطاوعة نحو : ادرع

(وأصله ادترع) واطّلق (وأصله اطتلق) واتّمد أي ورد (وأصله اثتمد) وادّكر (وأصله اذتكر التي منها ايضا اذّكر) واظّلم (وأصله اظتلم التي منها أيضا اضطلم) واسّمع (واصله تسمّع) واصّبر (وأصله اصتبر) وازّمل (وأصله تزمّل) واضّجع (وأصله اضطجع)

وكذلك تدغم تاء ضمائر الماضي اي: تُ وتَ و تِ وتُمْ وتُنَّ في الطاء اذا كانت لام الفعل نحو: خبطُّ (واصله خبطتُ) ويجوز كذلك ان تدغم في الدال اذا كانت لام الفعل ايضا نحو: عدُّ (واصله عددتُ).

على ان العكس موجود ايضا فمن العرب من يقرأ "فرّتُّ" عوض فرّطتُ (قرآن. السورة 39 الآية 57) وحتُّهم عوض حطتهم وأرتُّ عوض أردتُ وزتُّ عوض زدتُ.

ويجوز ادغام تاء المضارع في تاء صيغتي المطاوعة تفعّل وتفاعل بعد سقوط الحركة الفاصلة بينهما ويقع هذا الادغام احيانا بدون ان تدل عليه علامة ما. ومن ذلك ما جاء في القرآن في قوله: تنزّل (اي تتنزّل) الملائكة والروح (من السورة 97 الآية 4)

وقد يقع ادغام كهذا على حروف اصلية من ذلك ودّ (1) عوض وتد أو وتد أو وتد بإدغام التاء في الدال. ومنه ايضا قولهم في جمع "عتود" وهو التيس الصغير "عدّان".

وقد يطرأ مثل ذلك الادغام على الدال نحو قولهم في "سيّدتي" "ستّي" بادغام الدال في التاء. وكذلك يمكن تفسير عدد "ستّة" أو "ستّ" بتطور من ذلك القبيل اذ انه يبدو ان اصله في السامية هو شِدْتُ، فيكون إذًا اصله في العربية صيغة قديمة تكون "سِدْث" و "سِدْثَة" ويكون قد طرأ عليها ادغام الدال في الثاء ثم قلب الثاء المشددة تاء مشددة.

(1) وهو ادغام خاص فيما يقولون بلهجة بني تميم.

وأخيرا فان ثمة أمثلة لا بأس بعددها تدغم فيها التاء او الدال او الطاء النهائية متحركة أو ساكنة في حرف من الحروف الآتية : التاء والدال والطاء والثاء والذال والسين والزاي والصاد والشين والجيم والضاد نحو :

ت د ← دّ	: إِنْعَتْ دُلَامَةَ – إِنْعَدُّ لَامَةَ (ابن يعيش ج 10 ص : 146)
ت ط ← طّ	: بَيَّتَ طَائِفَةٌ – بَيَّطَّائِفَةٌ – (قرآن س. 4. آية 83) مع سقوط حركة التاء
ت ث ← ثّ	: سَكَتَ ثَامِرٌ – سَكَثَّامِرٌ. مع سقوط حركة التاء
ت ذ ← ذّ	: وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا – والذَّارِيَاذَّرْوًا (قرآن س. 51. آية 1) مع سقوط حركة التاء ذكره ابن العلاء وحمزة
ت ظ ← ظّ	: سَكَتَ ظَالِمٌ – سَكَظَّالِمٌ . مع سقوط حركة التاء
ت س ← سّ	: سَكَتَ سَامِرٌ (1) – سَكَسَّامِر. مع سقوط حركة التاء
ت ز ← زّ	: سكتَ زَاجِر – سَكَزَّاجِر. مع سقوط حركة التاء
ت ص ← صّ	: سكت صابر – سَكَصَّابِرٌ. مع سقوط حركة التاء
ت ش ← شّ	: أَصَابَتْ شَرَبًا – أَصَابَشَّرَبًا (الزمخشري، ابن يعيش ج : × ص : 139)
ت ج ← جّ	: فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا – فَإِذَا وَجَبَجُّنُوبُهَا (قرآن . س. 22 آية 37)
ت ض ← ضّ	: شُدَّتْ ضَفَائِرُهَا – شُدَّ ضَّفَائِرُهَا (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10 ص : 140)
د ت ← تّ	: حَرَدَ تَاجِرٌ – حَرَتَّاجِرٌ. مع سقوط حركة الدال
د ط ← طّ	: أَبْعِدْ طَالِبًا – أَبْعِطَّالِبًا. (ابن يعيش ج : 10 ص : 146)

(1) لست المسؤول عما في هذا المثال وفي الامثلة التي تليه من الهزل . وقد يكون ذلك الهزل غير مقصود . وقد ذكر هذه الامثلة « هول » (Howell) (ج : 4 ص 1795) عن الرضي النحوي .

د ث ← ثّ : حردَ ثامرٌ — حرثّامرٌ. مع سقوط حركة الدال

د ذ ← ذّ : حردَ ذالبٌ — حرذّالبٌ. مع سقوط حركة الدّال

د ظ ← ظّ : حردَ ظالمٌ — حرظّالم. مع سقوط حركة الدال .

د س ← سّ : قدْ سمِعَ — قسَّمِعَ (قرآن. س : 58 آية 1) ذكره حمزة

د ز ← زّ : حردَ زاجر — حرزّاجر. مع سقوط حركة الدال

د ص ← صّ : حردَ صابر — حرصّابر. مع سقوط حركة الدال.

د ش ← شّ : لمْ يُرِدْ شيئًا — لمْ يُرِ شّيئًا (الزمخشري، ابن يعيش. ج : 10 ص 138)

د ج ← جّ : إحْمدْ جابرَ — إحمجّابرَ (الزمخشري ابن يعيش ج : 10 ص 138)

د ض ← ضّ : زِدْ ضاحكا — زضّاحكا (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10 ص : 140)

ط ت ← تّ : أُنْبُطْ تَوأما — أُنْبُتّوأما (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10 ص. 146)

ط د ← دّ : فرَطَ دارمٌ — فرَدّارمٌ. مع سقوط حركة الطاء

ط ث ← ثّ : فرطَ ثامِرٌ — فرثّامر مع سقوط حركة الطاء

ط ذ ← ذّ : فرطَ ذالبٌ — فرذّالب. مع سقوط حركة الطاء

ط ظ ← ظّ : فرطَ ظالم — فرظّالم. مع سقوط حركة الطاء

ط س ← سّ : فرطَ سامر — فرسّامر. مع سقوط حركة الطاء

ط ز ← زّ : فرطَ زاجر — فرزّاجر. مع سقوط حركة الطاء

ط ص ← صّ : فرطَ صابر — فرصّابر. مع سقوط حركة الطاء

ط ش ← شّ : لا تُخالِطْ شرّا — لا تُخالِشّرّا (الزمخشري، ابن يعيش ج. 10 ص : 138)

ط ج ← ج : اربط جملا – ارْبجملا (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10 ص : 138)

ط ض ← ض : حُط ضمّانك – حضمّانك (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10 ص : 140)

وقد عمّوا في الالسن العربية الدارجة العصرية النطق بتاء التانيث هاء (ـة ← ـه) فلم يعد ذلك النطق خاصا بالوقف فقط بل تعداه الى داخل الجملة واصبحت هذه الهاء في الوقت الحاضر علامة التانيث العادية في جميع هذه الالسن (ما عدا حالة الاضافة واتصال الاسم بالضمائر المتصلة) وقد ضعفت الهاء في هذه اللاحقة "ـه" وكثر ذلك بل وسقطت في كثير من اللهجات وانتهى الامر بعلامة التانيث (ـة) الى ان اصبحت مجرد حركة اي فتحة او فتحة ممالة امالة خفيفة او فتحة ممالة امالة شديدة (a, ä, e)

وبصفة عامة فقد اختص هذا التغيير (أي ابدال التاء هاء او سقوط التاء تماما) بعلامة التانيث التي تلحق الاسم المؤنث المفرد شأنه في ذلك كشأنه في العربية الفصحى.

ولم يمتد هذا التغيير الى أضرب صرفية أخرى إلا في بعض اللهجات نحو ابدال تاء جمع المؤنث السالم هاء في لغة بني عُمُور " ᶜömur " وبني صَلُوت " Ṣlūt " وهم من أنصاف الرّحّل بصحراء سوريا ومن ذلك قولهم "خَمْسُ بِقَارَاه" (Ḫams öbgārāʰ) اي خمس بقرات) و"خَمْسُ احْجَارَاه" (Ḫamsᵒ ḥǧarāʰ) اي خمس حجرات).

وتبدل تاء جمع المؤنث السالم بياء ساكنة في لغة بني شَمَّر (Šammar) وهم من كبار قبائل شرقي الجزيرة والعراق. (وقد يكون اصلها من قبيلة طي) نحو "خَمْسُ بْقَارَاي" (Ḫams öbgārāⁱ "كما ان تاء الماضي في صيغة الغائبة تسقط عندهم ايضا وتبدل بياء ساكنة او فتحة ممالة امالة خفيفة او فتحة ممالة امالة شديدة (aⁱ , ä, e) وذلك نحو (كتبُوَيْ) (klöbʷāⁱ) (اي هي كتبت) وشربِي (Šerbe) (اي هي شربت) (انظر كانتينو "لهجات البدو..." الجزء الاول ص : 20–21 والجزء الثاني ص : 16–17)

وتتغير التاء تغييرا مطلقا غريبا في بعض جهات المغرب العربي اي بعبارة أدق في لهجات الحضر بالجزائر وبالمغرب الاقصى. ومن المحتمل ان يكون هذا التغيير ناتجا عن تاثير الطبقة اللغوية السفلى اي اللغة البربرية.

وذلك ان شدّة التاء تضعف نوعا ما وترتخي فتنزع التاء الى التاء الملينة: "تْثْ" (t^y) او الى تاء ذات زائدة رخوة أي "تْسْ" (t^s) أو "تْشْ" ($t^š$) وقد تصير التاء رخوة تماما فتقلب ثاء. ولا تطرأ هذه التغييرات على التاءات الاصلية في اللغة فقط بل وحتى على التاءات المبدلة من الثاءات وهو ابدال كثير في تلك اللهجات (انظر الحديث في هذا الشان ص: 44) ويقع هذا التغيير في الجهات التالية:

1 ـ تبدل التاء "تْيْ" (t^y) أو "تْسْ" (t^s) اي تاء مُلَيَّنَة او ذات زائِدَةٍ سِينِيَّةٍ) في القسم الغربي من دائرة (Arrondissement) عَنَّابَة. (بأدوغ : (Edough) في مقاطعة (Département) قسنطينة. وكذلك بالقسم الشرقي من دائرة سكيكدة نحو قولهم: "كْلِيتْيْ" (klīty) و"كْلِيتْسْ" (klīts) اي "أنَا أَكَلْتُ" وقولهم: "تْيْبِن" (tyben) و"تْسْبِن" (tsben) أي تِبْن.

2 ـ وتبدل التاء "تْسْ" اي تاء ذات زائدة سينية رخوة بغربي دائرة سكيكدة بالدائرة البلدية المختلطة (Commune mixte) التابعة للميليا (El-Milia) وبالدائرة البلدية ذات التصرف الفرنسي الصرف (Commune de plein exercice) الواقعة جنوبي ذلك مباشرة وبمدينة قسنطينة وبالدائرة البلدية المختلطة التابعة لطَاهِرْ (Taher) ودْجِيجَّلِي وبالقسم الشمالي من دائرة بلدية فج مزالة (Fedj-Mzala) وبالقسم الشرقي من دائرة بلدية واد مرسى (Oued Marsa) وبمدينة بِجَايَة بالقسم الشمالي الغربي من دائرة بلدية تِكِيرُونْتْ(Takirount).وذلك قولهم: "كْلِيتْسْ" (klīts) اي "آنَا أَكَلْتُ" وقولهم "تْسْبِن" (tsben)اي تِبْن".

وكذلك الامر بالنسبة الى مقاطعة مدينة الجزائر وبمدينة الجزائر نفسها وضواحيها القريبة (ما عدا لهجات اليهود) وبمدينة شِرْشِل ودليس (Dellys) وهو قولهم "كْلِيتْسْ" و"تْسْبِن" كذلك. وكذلك الحال أيضا بمدينة تِلِمْسَان من مقاطعة وَهْرَان حيث يقولون: "كْتْسْبِتْسْ" (ktsbets) أي أَنْتَ كَتَبْتَ"

د ــ وتبدل التاء المسبوقة بحركة طاء رخوة في لهجات قبيلتي اُلْمَسِيرْدَة (Msirda) والتَّرَارَة (Traras) اي بالجبال الواقعة شمالي مدينة تلمسان نحو قولهم : "بِيثْ" (biṯ) " أيْ "بَيْتْ" وحُوثْ (Hūṯ) أي "حُوتْ" وليس يقع ذلك اذا كانت التاء غير مسبوقة بحركة نحو قولهم "تْبِنْ" (tben).

واما بالمغرب الاقصى فيبدو ان إبدال التاء "تْ سْ" مطرد بالمراكز المدنية كمدينة فَاسْ وطَانْجَة والرِبَاط وسَلاَ وتَطْوَان... الخ وبخلاف ذلك فان الناطقين بالعربية من سكان الجبال بشمال المغرب الاقصى (اى الْجْبَالَة) يبدلون التاة المسبوقة بحركةٍ ثَاءً مثل ما يبدلها سكان جبال شمالي مدينة تلمســان .

ومما ينبغي ملاحظته في لهجات الجْبَالَة هذه بالذات نزوعهم الى ابدال تاء المضارع دالاً نحو قولهم ادِرْفدْ (a-derfed) (عوض هي "اِتِرْفدْ" (aterfed) (أي ترفع) وادِرْفدْ (a-derfed) (عوض انت اِتِرْفدْ (aterfed) اي انت ترفع) وادْرِفْدُو (a-drefdo) (عوض اتْرِفْدُو "(atrefdo) أي ترفعــون .

ولا يطرأ على الدال عادة التغيير الذي يطرأ على التاء وهو تليينها او اضافة زائدة رخوة لهــا. وشذ عن ذلك امكان ابدال الدال المسبوقة بحركة ذالا (كما ابدلت التاء المسبوقة بحركة ثاء) في لهجات سكان الجبال بشمالي المغرب الاقصى. ويطرأ على الحروف الاسنانية الشديدة اى التاء والدال والطاء في الالسن الدارجة العربية العصرية كثير من التغييرات المقيدة كما في العربية الفصحى وأخص تلك التغييرات الابدال والادغــام. ونكتفي بذكر الخطوط الكبرى لهذه التغييـرات .

•ينزع الدال الى الادّغـام في الدال والطاء والثاء والذال والظاء بعده وكثيرا ما يدغم ايضا في السين والزاي والصاد والشين والجيم سواء أكانت قبله أو بعده (وكثيرا ما تـرد هـذه الحروف بعد التاء في صيغ المطاوعة نحو : "سَّمَّى" (ss-ämma) (عوض (tsämma) (أي تْسَمَّى).

وقد تبدل (تْزْ) (t^z) و"تّجَ" ($t^{\check{z}}$) و"تْدّجّ" ($t^{\check{g}}$) (فتصير "دز" (d^z " و"دج" ($d^{\check{z}}$) "ددج) (d^g) وذلك تقريبا. ويدغم الدال في التاء او الطاء بعده وقد يبدل تاء اذا كان قبل حرف مهموس .

ويدغم الطاء في التاء أو الدال بعده و يعبرهما اطباقه. ومن جهة اخرى نلاحظ عدة حالات يحدث فيها الاطباق بصفة مقيدة عادة. وعلى من يبغي تفاصيل هذا وخاصة فيما يتعلق بالجزائر ان يرجع الى كتابي و. مارسي "تلمسان" ص : 24—30 و "صيدا" ص : 21—22 والى كتاب م. كوهين "يهود الجزائر" ص : 71—78 .

ومما يلاحظ في النهاية ما يحدث عند بني عَنَز (ᶜAnäze) وهم عشيرة كثيرة من البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية من ادغام غريب لاحد هذه الحروف. فهؤلاء يدغمون تاء التانيث في ضمير المخاطب المتصل نحو قولهم "نَاقَكْ" (nāgakᵏ) (اى نَاقَتَكْ) ولا يدغمون في مثل "نَاقَتِي" (Nāgoti) اي نَاقَتِي. (انظر كانتينو كتاب "لهجات البدو" الجزء II ص : 18).

2 — النون الخيشومية

كانَ في اللغة السامية حرف شديد خيشومي هو النون .

وقد احتفظت العربية الفصحى بهذه النون الخيشومية. ومخرجها حسب سيبويه (الكتاب II ص : 453) وحسب الزمخشري-ابن يعيش (شرح المفصل X : ص : 124—125) هو مخرج حروف الصفير أي طرف اللسان بحاذاة الثنايا .

وتكاد النون تخلو من التغييرات المطلقة الا ان التغييرات المقيدة التى تطرأ عليها هامة : من ذلك الابدال والادغام. ويطرآن على نون التنوين كما يطرآن على النون العادية .

1) لا تنطق النون نطقا خالصا (وهو ما يسمى بالاظهار) الا اذا كانت قبل احدى الحروف الستة الآتية : الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين.

2) واذا كانت النون متبوعة بحرف من الحروف الخمسة عشر الاخرى اى القاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والزاى والسين والظاء والذال والثاء والطاء والدال والتاء والفاء في نفس الكلمة أو في كلمتين متاليتين

طرأت عليها درجة أولى في الابدال نسمى "اخفاء" وتسمى هذه النون آن ذاك "خفيفة" او "مخفاة" و "خفية" وتصير مجرد غنة في الخيشوم لا علاج على الفم في النطق بها (انظر ابن يعيش X ص : 126) وما الغنة الخفيفة، والتجويد التقليدي شاهد بذلك، الا نغمة خيشومية ممدودة في ترنم يقع باغلاق الفم فيبدو أن النون في هذا الحال كانت تبدل قريبا في نفس الوقت فيصير مخرجها مخرج الحرف الذي بعدها.

3) وتقلب النون ميما اذا كانت متبوعة بباء (ويسمى ذلك اقلابا) مثلما يحدث ذلك في كثير من اللغات الاخرى ويصحب هذا القلب شيء من الغنة نحو "من باب" تقرأ "مم باب" (قرآن سورة XII آية 67)

4) وأخيرا تدغم النون ادغاما تاما في الحروف الخمسة الآتية : الراء واللام والواو والياء والميم وكذلك في النون طبعا .

واختلف النحاة (1) في مسألة الاحتفاظ بالغُنَّة في حالة ادغام النون في الراء واللام والواو والياء. فيذهب بعضهم — وهو ما يبدو جاريا به العمل في التجويد — الى ان ادغام النون في اللام والراء ادغام تام اي بغير غنة بخلاف ادغامها في الواو والياء والميم والنون فهو ادغام غير تام اذ يحتفظ فيه بالغنة. أي بعبارة اخرى ان النون اذا ادغمت في الواو والياء نتج عن ذلك واو خيشومية او ياء خيشومية.

وهذه بعض أمثلة هذا الادغام، فقد قرأوا :

من رب ← مرَّب (قرآن XXXVI 58)
• اذا تاذن ربكم ← اذا تاذَّربُّكم (باسقاط الحركة) (ق : XIV 7)
• من لبن ← ملَّبن (ق XLVII 16)
• عن الانفال ← علاَّنفال (ق VIII، 1) مع اسقاط الحركة
إن لا ← إلاَّ ...
• من يقول ← ميَّقول (بغنة في الياء الاولى)
• لأن يعلم ← لايَّعلم (ق LVII ؛ 23) (قراءة البيضاوي الجزء الثاني ص : 316)

(1) انظر فيما يتعلق بهذه المسألة : سيبويه II ص 464 — 465 وابن يعيش X ص 143 — 144 و « هُوّل » : النحو العربي : IV ص 783 وما يليها .

•مَنْ وَاقِـدٌ ← مَوَّاقِدٌ (بغنّة في الواو الاولى)
•مِنْ مَا ← مِمَّا
يَاسِينْ وَالقُرْآنِ ← يَاسِينْوَ القُرْآنِ (بغنة في الواو الاولى) (ق : XXXVI ، 1)
•مِنْ مُحَمَّدٍ ← مِمُّحَمَّدٍ .

ومما يلاحظ ايضا ان نون التنوين كانت تنطق نطقا ضعيفا اذ كانت تسقط عند الوقف. وقد احتفظت الالسن الدارجة العربية العصرية ايضا بهذه النون الخيشومية احتفاظا كاملا، فلم يطرأ عليها الا بعض التغييرات المقيدة كالابدال والادغام. فقد ابدلت النون غنة خيشومية مخرجها اقصى الحنك (ويرمز لهذا الحرف بـ ŋ) وذلك اذا كان بعدها حرف من حروف اقصى الحنك او غشائه. نحو "يِنْقُل" (yoŋgol) (اي ينقل) و"ينكسي "(yeŋksa) (اي يلبس الكسوة) (وهي من لغة صيدا) .

وقد يحدث ذلك احيانا اذا كان بعد النون طاء او صاد او ظاء نحو "انطُوهُو"(eŋṭōho) (انظر وليام مارسي: "أولاد ابراهيم" ص:26)

واذا كانت النون قبل حرف شفوي ولا سيما حرف الباء ابدلت ميما فمن ذلك اننا كثيرا ما سمعناهم يقولون "جِمْب" (ǧämb) عوض "جنْب" (ǧänb) و"مِمْ بَعْد" (mem baᶜd) عوض "مِنْ بعد" (men baᶜd) واذا كانت النون متبوعة براء او لام ادغمت فيهما وقد كثر ذلك بالمغرب (انظر و. مارسي نفس المرجع ص 27–28) وبالشرق ايضا (انظر كانتينو "لهجة تدمر العربية" الجزء الاول ص : 53) فمن ذلك قولهم : في "مِنْ لُوز" (men lōz) "مِلُّوز" (mellōz) وفي "وِينْ رَاحْ" (wēn rāḥ) "وِرَّاحْ" (wērrāḥ) (اي اين ذهب) وفي "ابْنُ العَبَّاس" (Ben el-abbas) "بِلْعَبَّاس" (Bel abbas) (مع اسقاط حركة اداة التعريف).

وقد يقع هذا النوع من الادغام حتى في حالة عدم تلازم النون واللام من ذلك ابدال النون لاما بتأثير لام سابقة في لقب الولي الصالح البغدادي المشهور عبد القادر الجيلاني فقد صار هذا اللقب بالمغرب الاقصى وغربي الجزائر "الجيلالي" باللام .

ويذكر و. مارسي (نفس المرجع ص : 26 ـ 28) أمثلة مقتبسة من لغة سكان صحراء وهران تدغم النون فيها في تاء بعدها نحو "بِتْ" (bett) عوض "بِنْتْ" (bent) و"تَّ" (tta) و"تِّ" (tti) عوض أنتَ وأنتِ. (ᵉnta - ᵉnti)

ومن الملاحظ أيضا نزوع نون "مِنْ" و"بِنْ" الى الادغام في الحروف الاسنانية والصفيرية والغشائية نحو بن قدور (Ben Qaddūr) تصير "بَقَّدُّور" (Baqqaddūr) و"بِنْ سْلِيمَان" (Ben Slēⁱmān) تصير "بِسْلِيمَانْ" (Bes Slēⁱmān) ويبدو ان اللام في "غْلَمْ" (ġlām) الجزائرية عوض "غَنَمْ" (ġanam) (أي غنم) قد انقلبت عن النون تباينا لوجود ميم في الكلمة.

وقد يحدث هذا التباين أيضا إذا كان في الجوار الصوتي نون أخرى نحو ما جاء في كثير من اللهجات من قولهم "فنجال" (Finǧāl) عوض "فنجان" (Finǧān)

3 ـ الحروف الرخوة التي من بين الاسنان

كان في اللغة السامية كما ذكرنا ثالوث من الحروف الاسنانية الشديدة هو:

ت2 — د2
\
ط2

t2 — d2
/
ḍ2

ويبدو أن مخارج هذه الحروف كانت اكثر الى الامام من مخارج الحروف الاسنانية التابعة للثالوث الاول. كما يبدو أن شدتها لم تكن كاملة ويمثل هذا الثالوث في العربية الفصحى ثالوث من الحروف الرخوة من بين الاسنان أي .

ث — ذ
\
ظ

ونطقها بين الاسنان ثابت أثبته شهادة النحاة فيذكر سيبويه (II ص: 453) أن مخرجها "ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا" على ان بعضهم قد شهد بوجود نطق أدخل في الفم بقليل. فقد قال ابن يعيش في شرح المفصل للزمخشري(× ص: 125)– ونص الزمخشري هو عين نص سيبويه – قال إن مخرجها "ما بين طرف اللسان واصول الثنايا...وهي لثوية لان مبداها من اللثة"

وبما ان المصنفين متفقون على ترتيب هذه الحروف في قائمة الحروف الرخوة فانه يجب التساؤل هل ان ابن يعيش كان يعني أن مخارج هذه الحروف كانت ادخل في الفم ام انه يلمح الى نطقها بشيء من الصفير وهو نطق سيأتي فيه الكلام. ومهما يكن الامر فلا بد من ان نعتني بنطق هذه الحروف في العربية الفصحى نطقا بين الاسنان خالصا (مثل الذال او الثاء في اللغة الانقليزية) كما يجب اجتناب النطق بها نطقا صفيريا (اى كالسين او الزاى او الزاي المفخمة) وهو نطق تركي الاصل وكذلك يجب تحاشي النطق بها نطقا تجمع فيه الشدة والرخاوة اى "تْسْ" و"دْزْ" و "دْبْ" وهو نطق خاص بالطبقات المثقفة في شمال افريقيا. ذلك ان هذا النطق ناتج عن محاولات تقريبية يقوم بها ناس ليس لهم في لهجاتهم حروف رخوة من بين الاسنان.

وينبغي بالخصوص القيام ضد تأويلين فيما يتعلق بنطق الظاء. أولهما هو تصوير الظاء بواسطة الـ (ẓ) من الحروف اللاتينية ذلك ان هذا التصوير يعتمد على نطق مستهجن تركي الاصل فيما يحتمل. وثانيهما النظرية القائلة بان الظاء – على الاقل في الاصل – حرف مهموس مطبق اى تاء مطبقة (انظر بروكلمان "المختصر" ا ص : 129) ذلك انه ليس ثمة ما يؤيد هذه النظرية عند النحاة العرب فهذا سيبويه يقول (انظر كتابه : II ص : 455) إن "لولا الاطباق لكانت الظاء ذالا" وابن يعيش يؤيده في ذلك (انظر شرح المفصل : × ص : 129) فالظاء اذا حرف مجهور مطبق. ومن باب المجازفة في هذا المضمار الاستشهاد بالفقرة الواردة في شرح ابن يعيش (× ص : 128) والتي يذكر فيها ابن يعيش في باب الحروف المستهجنة نطق الظاء كالثاء نحو "ثلم" عوض "ظلم" ذلك انه ينعت هذا النطق وغيره مما ورد في هذا الباب بكونه نطقا اعجمي الاصل غير عربي نعتا صريحا .

واما نطق الظاء طاء عند بعض بدويي الشرق (وقد ذكر بروكلمان هذا النطق نقلا عن "ولين" (Wallin) (انظر "مجلة الاستشراق الالمانية" (ZDMG) الجزء (XII ص 626) فانني لم اعثر عليه قط ولا سمعته وما هو عندي الا غلطة من اغلاط "ولين" (Wallin)

ولهذه الحروف الرخوة التي مخرجها من بين الاسنان نزعة منذ القدم الى الانقلاب حروفا شديدة اسنانية وذلك في بعض لهجات المناطق المتاخمة للجهات الآرامية. من ذلك ما نجده في المرقومات اليونانية في حوران (Auranitide) وفي "تراكونيديت" (Trachonidite) وفي بلاد الانباط (Nabatène) من تصوير الثاء في الاسماء العربية بواسطة التاء اليونانية (τ) لا الثاء اليونانية (θ) نحو تصوير "حارثة" هكذا (Αρετας) و"مغيث" هكذا (Μογιεος) و(Μοειθου) و"غوث" هكذا (Γαυτος) و(Αυθος) : انظر بروكلمان "المختصر" ج ١ ص 131–132) وسنرى بعد هذا تطور هذه النزعة في الالسن الدارجة العربية العصرية.

وفي العربية القديمة امثلة صارت الثاء فيها فاء نحو قولهم "جَدَفٌ" و"جَدَثٌ" ويذكر الفارسي عن يعقوب الجملة التالية : "قَامَ زَيْدٌ فُمَّ عَمْرٌو" عِوَضَ "قام زيد ثُمَّ عمرو" (انظر هول (Howell) "النحو العربي" ١٧ ص 1195) وكذلك قولهم "أثْوُر" و"أفْوُر" (بمعنى المصيبة) و"ثَرْوَة" و"فَرْوَة" (انظر ابن دريد : كتاب الاشتقاق ص : 129. 2 وبروكلمان "المختصر" ١ ص 130 – 131) كما ان ثمة ايضا بعض الامثلة انقلبت فيها ثاء قديمة سينا في العربية الفصحى. فقد دلت المقارنة مع سائر اللغات السامية ان كلمة "لِبِس" تمثل كلمة قديمة كانت "لِبْثَ" وان "سَادِسٌ" و"سُدْس" متولدتان عن شَادِثُ" و"شُدْث" ومما يمكن اضافته في هذا الباب قولهم "مَرَثَ" و"مَرَسَ" (أي أمْتَصَّ اصبعه) وهما من المزدوجات (انظر بروكلمان "المختصر" ١ ص 159 – 235) ويطرأ على الحروف الرخوة التي من بين الاسنان ادغام كثير فيدغم بعضها في بعضها وتدغم في الحروف الآتية : التاء والدال والطاء والسين والزاي والصاد والشين والجيم والضاد سواء اوردت هذه الحروف بعدها مباشرة او بعد الحركة التي بعدها.

امثلة ادغام الثاء :

ث ذ ← ذّ : نحو ابْعَثْ ذَلِكَ ← إبْعَذّلِكَ (ابن يعيش X 146)
ث ظ ← ظّ : نحو ابعثْ ظَالِمًا ← ابعَظّالِما (ابن يعيش X 146)
ث ت ← تّ : نحو عَبَثْ تَاجِرٌ ← عَبَتّاجِرٌ
ث د ← دّ : نحو عبثَ دَارم ← عبَدّارِمٌ
ث ط ← طّ : نحو عبثَ طَارد ← عبطّارد
ث س ← سّ : نحو عبثَ سَامِر ← عَبَسّامِرٌ
ث ز ← زّ :نحو عبثَ زَاجر ← عَبزّاجِرٌ
ث ص ← صّ : نحو عبثَ صَابر ← عَبَصّابر
ث ش ← شّ : نحو لم يَرِثْ شَيْئًا ←لَمْ يَرِشّيْئًا (زمخشري ابن
يعيش X ص : 139)
ث ج ← جّ : نحو لَمْ يَلْبَثْ جَالِسًا ← لم يَلْبَجّالسا (زمخشري ابن
يعيش X ص : 138)
ث ض ← ضّ : نحو لم يلبثْ ضَاربا ← لم يَلْبَضّاربا (زمخشري ابن
يعيش X ص : 140)

أمثلة ادغام الذال

ذ ث ← ثّ : نحو نَبَذَ ثَامِر ← نَبَثّامر
ذ ظ ← ظّ : نحو خُذْ ظَالِما ← خُظّالما (ابن يعيش X ص: 146)
ذ ت ← تّ : قراءة ابن العلاء وحمزة والكسائي "عُتُّ" في "عُذْتُ"
(قرآن XL 28 و XLIV—19)
ونحو قراءة اكثر القراء (ما عدا ابن كثير ويعقوب وحفصا)
لَتَّخَتُّ في لَتَّخَذْتُ (قرآن XVIII—76)
ذ د ← دّ : نحو نَبَذَ دَارِمٌ ← نَبَدّارِمٌ
ذ ط ← طّ : نحو نبذَ طَارد ← نَبَطّارد
ذ س ← سّ : نحو نبذَ سَامر ← نبسّامر
ذ ز ← زّ : نحو نبذَ زَاجر ← نَبَزّاجر
ذ ص ← صّ : نحو نبذَ صَابر ← نَبَصّابر

ذ ش ← ش : نحو لَمْ يَتَّخِذْ شَرِيكًا ← لَمْ يَتَّخِشَّرِيكًا (زمخشري ابن يعيش X ص : 139)

ذ ج ← ج : نحو قراءة إجَّاؤُوكُمْ في إِذْ جَاؤُوكُمْ (قرآن XXXIII 10) (زمخشري ابن يعيش X ص : 138)

ذ ض ← ض : نحو انْبِذْ ضَارِبَكَ ← انْبِضَّارِبَكَ (ابن يعيش، X ص140)

أمثلة ادغام الظاء

ظ ث ← ث : أَيْقِظْ ثَابِتًا ← أَيْقِثَّابِتًا (مع اسقاط الاطباق ام لا ؟ في المسألة مجال للتساؤل) (ابن يعيش، : X ص : 146)

ظ ذ ← ذ : نحو احْفَظْ ذَلِكَ ← احْفَذَّلِكَ (مع اسقاط الاطباق ام لا؟ في المسألة مجال للتساؤل وابن يعيش : X ص : 146)

ظ ت ← ت : نحو غَلُظَ تَاجِر ← غَلُتَّاجِر

ظ د ← د : نحو غَلُظَ دَالِمَ ← غَلُدَّالِم

ظ ط ← ط : نحو غَلُظَ طَارِد ← غَلُطَّارِد

ظ س ← س : نحو غلظَ سَامر ← غَلُسَّامر

ظ ز ← ز : نحو غلظَ زَاجر ← غَلُزَّاجر

ظ ص ← ص : نحو غلُظَ صَابِرٌ ← غَلُصَّابِر

ظ ش ← ش : نحو لَمْ يَحْفَظْ شِعْرًا ← لم يَحْفِشِّعْرًا (الزمخشري، ابن يعيش X ص : 139)

ظ ج ← ج : احْفَظْ جَارَكَ ← احْفَجَّارَكَ (الزمخشري، ابن يعيش، X ص : 138)

ظ ض ← ض : احفَظْ ضَانَّكَ ← احْفَضَّانَّكَ (الزمخشري، ابن يعيش، X ص : 140)

وان ذهاب الاطباق من الحرف الاول من بعض هذه الامثلة أمر غريب.

اما فيما يتعلق بالالسن العربية الدارجة العصرية فيمكن وضع المبدا التالي:

لقد بقيت الحروف الرخوة التي من بين الاسنان اي الثاء والذال والظاء كما هي عند البدو الرحل او البدو الرحل سابقا واصبحت هذه الحروف حروفا شديدة من نفس المخرج أي تاء ودالا ودالا مطبقة في لهجات الحضر.

واليك تطبيق هذا المبدأ

1 — في الشرق :

الامر واضح وضوحا خاصا بالنسبة الى المدن التي لهجتها لهجة الحضر كالقاهرة والاسكندرية وبيت المقدس ودمشق وحلب وبغداد. ولكنه اقل وضوحا بالنسبة للارياف، فاذا رجعنا الى كتاب برقشترسر (Bergstrasser) "الاطلس اللغوي" وقارنا في الخريطة الاولى والخريطة الرابعة رأينا أن بعض اللهجات الريفية التي ينطق فيها القاف قافا (لا قافا) — وذلك اذن دليل على انها لهجات حضرية أساسا — قد احتفظت بالحروف التي مخرجها من بين الاسنان مثال ذلك لهجات فلسطين وجنوب لبنان والدروز ومدينة تدمر. وبخلاف ذلك فان العكس لا يبدو صحيحا فلا يبدو ان اية لهجة بدوية قد اسقطت الرخاوة من الحروف التي من بين الاسنان .

2 — في شمال افريقيا :

الحالة شبيهة بالحالة بالشرق اي انه يمكن ان توجد الحروف التي من بين الاسنان في بعض اللهجات الحضرية وذلك خلافا للمبدأ الذي وضعناه أعلاه — وان العكس لا يكاد يحدث فيما يبدو — ففي تونس مثلا توجد في لهجات الساحل الحضرية (ومثالها لهجة "تكرونة" وفي لهجة مدينة تونس حروف رخوة من بين الاسنان. واما في الجزائر ففي مقاطعة قسنطينة أصبحت الحروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا شديدة وذلك في جميع منطقة اللهجات الحضرية الشاملة لدائرة بلدية كلو (Collo) وللدوائر البلدية ذات التصرف الفرنسي الصرف الواقعة الى شرقي كُلّو مباشرة بما في ذلك مدينة سكيكدة. والواقعة الى الجنوب بما في ذلك قسنطينة ولدائرة بلدية الميليا والدوائر البلدية ذات التصرف الفرنسي الصرف الواقعة جنوبي الميليا مباشرة ولدائرتي بلديتي طاهر ودجيجلي وللجزء الشمالي من دائرة بلدية فج مزالة وللقسم الناطق بالعربية من دائرة بلدية واد مرسى ولشمال القسم الناطق بالعربية من دائرة بلدية تكيتونت ولمدينة بجاية. ولم تصبح الحروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا شديدة بمقاطعة مدينة الجزائر الا في الجزائر العاصمة فقط. وأما في بقية المدن ذات اللهجة الحضرية

مثل شرشل والبليدة وتدليس ومدية (Médéa) ومليانة وتينس القديمة (Vieux - Ténès) فان السكان قد احتفظوا بالحروف الرخوة التي من بين الاسنان. ومن المحتمل ان يكون احتفاظهم بها ناتجا عن تأثير اللهجات البدوية على هذه المدن على انه ينبغي ان نقول بـ "رجوعهم الى استعمالها" عوض "احتفاظهم بها" لاننا لاحظنا في بعض النقاط وخاصة في شرشل وفي مليانة مثلا بعض التردد وشعرنا بان بعض العناصر من السكان ينطقون احيانا بحروف شديدة : ومن الممكن ان يكون هذا الرجوع الى استعمال الحروف الرخوة التي من بين الاسنان قد وقع منذ عهد غير بعيد جدا. واما بمقاطعة وهران فان الحروف الرخوة التي من بين الاسنان لم تصبح شديدة الا بتلمسان وعند سكان الجبال من مسبردة وترارة (بشمال تلمسان) وفي بعض لهجات اليهود .

واما بالمغرب الاقصى فليس ثمة معلومات مفصلة في هذا الشان الا انه يبدو ان الحروف الرخوة التي من بين الاسنان قد صارت الى الحروف الشديدة في لهجات الحضر سواء أكانت لهجات سكان المدن او سكان الجبال.

وقد اضمحلت هذه الحروف الرخوة التي من بين الاسنان من اللغة المالطية المعاصرة وخلافا لذلك فانها كانت ما تزال موجودة في لغة غرناطة باسبانيا في القرن الخامس عشر (أنظر ق. س كولين (G. S. Colin) ومقاله "الحروف الثلاثة التي من بين الاسنان في العربية الاسبانية" الصادر في مجلة هسبيريس (Hespéris) الجزء العاشر، 1930 ص : 91-120) ويطرأ على هذه الحروف الشديدة الاسبانية الجديدة (اي التاء والدال والدال المطبقة) المتولدة عن الحروف الرخوة التي من بين الاسنان نفس ما يطرأ على الحروف الشديدة الاسبانية القديمة من تغييرات فيطرأ بالخصوص على التاء المتولدة عن الثاء نفس التغييرات التي تطرا على التاء القديمة اي انها تصير جامعة بين الشدة والرخاوة بزيادة زائدة سينية أو شينية فتنقلب "تْسْ" أو "تْ شْ" وتلين بزيادة ياء خفيفة فتنقلب "تْ يْ" وتصير الى الرخاوة فتنقلب ثاء (من جديد). وفي هذه الحالة الاخيرة - كما نجد ذلك عند المسبردة - يعود الى هذا الحرف نطقه القديم نحو : حْرَتْ - حرَثْ - حرَثْ - (hrat — hrat — hrat) .

وقد نجد أحيانا في اللهجات البدوية التي يحتفظ اهلها عادة بالحروف الرخوة التي من بين الاسنان أمثلة عارضة تنقلب فيها هذه الحروف بدون سبب ظاهر حروفا شديدة. فقد ذكر و. مارسى في كتابه "اولاد ابراهيم" ص 20—21 من بين ما ذكر الامثلة التالية : إلْهَتْ (elhat) (من لهث) وتَفَّالْ (teffāl) (من ثِفَّال وهي جلد يبسط تحت الرحى) وقَنْفُودْ (genfūd) من قنفذ ومَدْرَى(medṛa)`(من مذارة وهي خشبة ذات اصابع لتذرية الحنطة وما اليها)

ومما تمتاز به لهجات الحضر بشمال افريقيا فيما يتعلق باستعمالهم الحروف التي من بين الاسنان ظاهرة هامة تتمثل في كون الظاء المطبقة (او الضاد المطبقة التي اصبحت عندهم ظاء) : (انظر ما بعد هذا) لا تنقلب دالا مطبقة حسب القاعدة بل تصير الى طاء مطبقة نحو "طَهْرُو" (ṭahṛo) (اي ظهره) و"طْليلَى" (ṭḷēla) (أي ظلالة وهو الظل) و"بْيَطْ" (byaṭ) (أي ابيض) "ومْريطْ" (mṛēṭ) (اي مريض) "وطُفْرُو" (ṭofṛo) (أي ظفره) الخ... وانتشار هذه الظاهرة اقل من انتشار انقلاب الحروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا اسنانية بل قل انها تكاد لا تطبق في كليتها ابدا ذلك ان تطبيقها تعاكسه نزعة الى الرجوع الى الحروف الاصلية سواء بتأثير العربية الفصحى او بتأثير لهجات البدو المجاورين. ومن العسير ان نعين لهذه الظاهرة سببا حقيقيا : أهو نطق الظاء مهموسة اي شبيهة بنطق بعض العرب في العربية الفصحى كما يذكره النحاة؟(انظر اعلاه صفحة50) ام هو نطق مهموس متولد عن الاطباق ؟ ام هو ظاهرة تابعة للغة البربرية (قارن بقلب كلمة "أدَدْ" (aḍaḍ) بدال بن مطبقتين أطَدْ" (aṭaḍ) بطاء ودال مطبقة في شرق القبائل (انظر أ. باسي (A. Basset) دراسات في الجغرافية اللغوية بالقبائل ص 75 والخريطة عدد 15) .

ومما ينبغي ذكره ايضا في هذا السياق ابدال الحروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا رخوة شفوية—اسنانية في عدد من لهجات سكان التل البدو في مقاطعة مستغانم نحو قولهم في "ثاني" "فاني" (Tani ⟶ fani) وفي "ذهَبْ" "ڤهَبْ" (ḏhāb ⟶ vhāb) وفي ظلمة "ڤلمة" (ḏalma ⟶ valma) (قارن هذا بما جاء في كتاب و. مارسي" ص20) وقد شوهد وجود مثل هذا بالشرق نحو قول سكان تدمر في ثلج "فلجّ"

(fēlg ← ālg') وقد يحدث العكس كما راينا ذلك اعلاه ص
في ان الفاء قد تبدل ثاء نحو قولهم في كثير من اللهجات الشرقية : ثم
(tumm) ويجمع على ثمام (tmam) عوض فم (fum) اي فم.

ولننظر الآن في بعض التغييرات التعاملية التي تطرأ على الحروف الرخوة التي من بين الاسنان : فإذا كانت الذال المجهورة بجوار حرف مطبق او لهوي جاز ابدالها ظاء مطبقة ويكثر ذلك بالجزائر نحو قولهم في فخذ "فخظ" (fahd ← fhad) وفي أخذ "خظى" (hdā) وفي ذا الوقت "ظروك" (dörwok) (انظر و. مارسي "اولاد ابراهيم ص 21) واذا كانت الحروف الرخوة التي من بين الاسنان متبوعة بتاء ادغمت فيها وذلك كثير جدا فوليام مارسي يذكر في كتابه "أولاد ابراهيم" ص 22 الامثلة التالية من لهجة مدينة صيدا .

حرثتُ ← حرُتّ (Harattu ← ḥ^{a}rött). لذّتهُ ← لتّه (laddatahu ← lettah) قبضتُه ← قبُتّه (qabadtuhu ← gböttāh)

وكذلك تدغم الحروف الرخوة التي من بين الاسنان في شين النفي نحو :
مايحرثش ← يحرش (māyaḥröṯš ← māyaḥröšš)
مانتخذش ← نتخش (اي لن أفاجأ) (mā nthödš ← mā nthöšš)
مايقبظش ← يقبش (mā yegbödš ← mā yegböšš)
(انظر و. مارسي نفس المرجع) .

واذا كانت الحروف الرخوة التي من بين الاسنان بجوار حروف الصفير او الشأشأة ابدلت حروفا شديدة تباينا فوليام مارسي يذكر في كتابه "أولاد ابراهيم" ص 23 امثلة من لهجة صيدا يبدل فيها الذال دالا لتأثير حرف سابق سواء من حروف الصفير او من حروف الشاشاة نحو قولهم "سميد" (smīd) في سميذ وجبد (žbed) في جبذ وشاد (šādi) في شاذي (ālšādī) (؟) (ومعناه القرد) وتباين ملحوظ ذلك الذي يطرأ على كلمة ثلاثة في ولاية وهران حيث تصير ثلاثه (tlāta) الى : تلاته (tlāta) او ثلاته (ṯlāta) ونجد في تلمسان : تلاتسه (tlātˤa) وتسلاسه (tˤlāsa) عوض "تسلاتسه" (tˤlatˤa) (انظر و. مارسي "تلمسان ص : 156) .

4 — حروف الصفير الرخوة

كان في اللغة السامية ثالوث من الحروف الشديدة الاسنانية ذات زائدة سينية رخوة هو :

ثّ سّ — دّ زّ
دّ زّ

t^s — d^z
d^z

وقد صارت هذه الحروف في العربية القديمة الى حروف رخوة ذات صفير وكذلك فعلت في أكثر اللغات السامية فحدث ثالوث جديد هو :

س — ز
ص

ومما يلاحظ أولا هو ان السين في العربية لا تمثل الا "تّسّ" السامية النادرة نسبيا فقط بل وتمثل ايضا وبالخصوص الشين السامية التي صارت الى السين منذ عهد قديم (انظر فيما سيجيء من حديث حول الشين : نظرية "تبادل حروف الصفير") ومما يلاحظ ثانية هو ان حرف الصفير المطبق اي الصاد حرف مهموس (١) فقد ذكر سيبويه (II ص 455) ان "لولا الاطباق لكانت الصاد سينا"الا ان العرب قد عرفوا وجود نطق مجهور مطلق لحرف الصاد وكثير من القراء ومنهم ابن العلاء (١) بالخصوص قد قرأوا "الزراط المستقيم" (ق ١ ، 5) بزاي مطبقة مكان الصاد.

ومخرج هذه الحروف هو "طرف اللسان وما فويق الثنايا" (سيبويه II 453) وهو طرف اللسان والثنايا (الزمخشري ابن يعيش، X، 124—125) فهي اذن حروف رخوة اسنانية او مغارزية (alvéolaires) وقد سماها العرب حروف الصفير بسبب ذلك الصوت الخاص بها.

ولا يطرأ على حروف الصفير الا عدد قليل من التغييرات المطلقة وعروض ذلك نادر جدا فقد ذكر ابن يعيش (X ،ص : 24) بيتا آخره "وابوك

---

(١) وليس لهذا الهمس في الحقيقة وظيفة لانعدام مقابل مجهور في اللغة تكون له وظيفة صوتية .

سادى " عوض "سادس" ومرد ذلك الى مقتضيات القافية بدون شك. ويذكر بعد ذلك بقليل (ص 36) بعض الابيات ينتهي مصراعان منها بـ : "النات" عوض "الناس" وبـ: "اكنبات" عوض "أكياس" وذلك لمقتضيات القافية ايضا. فالامر هنا كما نرى هو مجرد تغيير ناتج عن الاجازات الشعرية.

وبخلاف ذلك فان السين والزاي والصاد معرضة لكثير من التغييرات المقيدة. فاذا كانت السين قبل حرف من الحروف اللهوية مثل الغين والخاء والقاف او قبل حرف الطاء الاسناني المطبق جاز ابدالها صادا. من ذلك جواز قراءة "واسبغ عليكم نعمه" (ق XXXI 19) هكذا "واصبغ عليكم نعمه" اي بالصاد عوض السين. وكذلك قالوا "صلخ" في "سلخ" و"مس صقر" في "مس سقر" (ق LIV ، 48) و"صاطع" في "ساطع"... الخ (انظر الزمخشري. ابن يعيش. X . ص : 51—52).

ويلاحظ ابن يعيش في شرحه للمفصل ان هذه الاحرف الاربعة مجهورة (وفي هذا خطأ فيما يتعلق بالخاء) مستعلية وان السين مهموس مستفل فوجب ابدال السين صادا لضرب من التقريب. الا ان هذا التقريب لا يحدث في الحالات التي تكون فيها السين مسبوقة باحد هذه الحروف . واذا كانت السين والصاد متبوعتين مباشرة بحرف الدال ابدلتا زايا مطبقة تقريبا نحو قولهم "يزدُل" (او يزِدل) ثوبه من "سدل" ويزدُق" في "يصدق" ويبدو ان الاطباق يبقى في الزاي المبدلة من الصاد تقريبا وان "تزدق" تنطق بزاي مطبقة (انظر الزمخشري، ابن يعيش X ، 52 — 54) وعند بني كلاب تبدل السين زايا (لا صادا) اذا كانت متبوعة بقاف. فقد كان اهل هذه القبيلة يقرأون مثلا "مس زقر" عوض "مَسَّ سَقَر" (ق : LIV ، 48) (انظر الزمخشري. ابن يعيش X ، 52) ويمكن في هذا السياق ان نقارن المزدوجات (doublets) الآتية : "رقص" و "رقز" — "بَسَقَ" و "بَصَقَ" و "بَزَقَ" — "قرز" و "قرص" — "لسق" ولزق" — "زعق" و "صعق" واذا كانت السين والصاد متبوعتين بزاي ادغمتا فيها نحو قولهم "احز زردة" في "احبس زردة" (اي امسك حلقة من الزرد) وقولهم "افخز زائدا" في "افحص زائدا".

واذا كانت الزاي متبوعة بسين أو صاد ادغمت فيهما نحو قولهم "رُسْ سَلاَمَةً" في "رُزْ سَلامة" (اي جَرِّبْهُ وَاَخْبِرْهُ) وقولهم "أَوْجِصْ صَابِرًا" في "أَوْجِزْ صَابِرا" (انظر الزمخشري ابن يعيش ص : X ، 145 — 146).
وفي الالسن الدارجة العربية العصرية ينطق الصاد مجهورا اي زايا مطبقة بجنوب الجزيرة العربية باليمن (انظر لاندبارق (Landberg) "حضرموت" ص : 239) الا انه يبدو ان هذه الظاهرة ليست مطردة اطرادا مطلقا. ويكاد لا يطرأ على حروف الصفير اي تغيير في الالسن الدارجة العصرية. والتغيير الوحيد الذي يكثر حدوثه هو اما ذهاب الاطباق او عكسه. واليك بعض امثلة اكتساب الاطباق :

رَأس ← رَاص (rāṣ) وسُوق ← صوق (ṣōg) وسور ← صور (ṣōr) وساق ← صاق (ṣāg) .

وبعض امثلة ذهاب الاطباق :

صَدْر ← سَدِرْ (sder) وصَهُد ← سْهُد (shöd) (من صَهَدَتَ الشمسُ اذا احرقت) ... انظر و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص 15 و م. كوهين "لهجة يهود الجزائر" ص 90—94. وتبدل الصاد زايا في اكثر اللهجات السورية نحو قولهم "زْغِير" (Zġīr) في "صغير". (وعلى الراغب في النظر في ادغام السين والصاد والزاي في الشين ("س ش" و"ص ش" و"ز ش" ← ش) وادغام السين والصاد والزاي في الجيم ("س ج" و"ص ج" و"ز ج" ← ج) الرجوع الى و. مارسي "أولاد ابراهيم ص: 1") نذكر مما جاء في ذلك المرجع على سبيل المثال قولهم "ما نلبش" (mā nelbešš) عوض "ما نلبسش" (mā nelbesš)

١٧ الحروف المائعة

١ — حرف الراء المكررة

كان في السامية حرف تكرير هو الراء، وقد احتفظت اللغة العربية الفصيحة بهذا الحرف خالصا وهو راء مكررة تنطق بقرع اللسان قرعات مكررة فويق مغارز الثنايا بقليل..ولذلك سماها النحاة العرب "حرف

تكرير " فهذه الراء هي اذن من نوع الراء الايطالية او الاسبانية (1) وقد ع ن
النحاة العرب القدامى نطقين مختلفين لحرف الراء : نطق الراء "مفخمة"
ونطقها "مرققة". فالراء المرققة هي راء عادية واما الراء المفخمة فذات
نطق خاص فصوتها اقوى من صوت اختها اذ تنطق كما لو كانت مضاعفة
(انظر سيبويه II ص 289—293 والزمخشري، ابن يعيش IX ص
61—62) وقد اعتنى هؤلاء النحاة اعتناء كبيرا بضبط الحالات التي تكون فيها
الراء مفخمة واليك اهم ما جاء في هذا الباب (2) .

يتولد تفخيم الراء عن الجوار الصوتي فهو اذن ظاهرة مقيدة. وسبب
حدوثه الاساسي هو جوار الفتحة او الضمة او الحروف المستعلية اى الطاء
والظاء والصاد والضاد والقاف والخاء والغين. واما الاسباب التي تمنع ظهوره
والتي تنزع اذن الى ظهور الراء المرققة فهي بخلاف ذلك جوار الكسرة
أو الياء وهي نصف حركة مجانسة للكسرة. ولننظر الآن في تفاصيل هذه
الظواهر :

تكون الراء مفخمة اذا كانت متبوعة بالفتحة او بالضمة او بحرف
من حروف الاستعلاء وهي الطاء والظاء والصاد والضاد والقاف والخاء والغين
على شرط ان تكون هذه الحروف نفسها متبوعة بفتحة او بضمة. وتكون
الراء بخلاف ذلك مرققة اذا كانت متبوعة بكسرة او بالياء نصف الحركة.

واذا كانت الراء متبوعة بحرف مستقل تعلق التفخيم او الترقيق بالحركة
السابقة. فكان التفخيم اذا كانت هذه الحركة فتحة او ضمة وكان الترقيق
اذا كانت كسرة .

واذا كانت الراء متبوعة بحرف مستعل متبوع هو الآخر بكسرة جاز
الترقيق والتفخيم الا ان الترقيق اكثر .

---

(1) بينما الراء الفرنسية الباريسية هي بخلاف ذلك من نوع جد مختلف وتنطق بدعك الهواء بين ظهر اللسان وبين اقصى الحنك أو غشائه فهي اذن من جنس الغين لا من جنس الراء المكررة العربية .

(2) انظر التلخيص الجيد لهذه المسألة الذى قام به : أ. بريتزل (O. Pretzl) بعنوان « علم التجويد » (Die Wissenschaft der Koranlesung) والذى صدر فى مجلة اسلاميكا (Islamica) ١٧ (1934) ص 326 ...

وبمقتضى هذه القواعد قرأوا بالتفخيم "الرحمن" و"كبر" و"يفكر" و"بروح" و"قرطاس" و"مرصود" و"مرسول" و"مرتصف". وبخلاف ذلك فقد قرأوا بالترقيق "قريب" و"مريم" وترددوا في قراءة "فرق" مثلا بين تفخيم الراء وترقيقها.

ومما ينبغي ملاحظته ان التفخيم ينتج عما يتبع الراء من حروف اكثر مما ينتج عما يسبقها منها. وقد بسط القارىء المشهور وَرْش نظرية مخالفة شيئا ما (انظر أ. بْرِيتْزِلْ "علم قراءة القرآن" ص 326–328) ومهما يكن من حال فالراء المفخمة والراء المرققة انما هما في العربية القديمة مجرد عوضين تعامليين لصوت واحد فالتمييز بينهما له قيمة من حيث النطق فقط وليس من حيث علم وظائف الاصوات.

ويكاد لا يطرأ على الراء من التغييرات المطلقة شيء ولا يطرأ عليهامن التغييرات المقيدة فيما يبدو الا شيء قليل من الادغام.

ولن نذكر الا ادغام الراء في اللام (رل ← لّ) ويعتبر كثير من النحاة هذا الادغام خطأ الا اننا نجده عند بعض القراء فقد كان يعقوب الحضرمي يقرأ "يَغْفِلَّكُمْ" عوض "يَغْفِرْ لَكُمْ" (ق XLVI 30) وعن أبي بكر بن مجاهد ان ابن العلاء القارىء المشهور كان يقرأ "فَاغْفِلَّنَا" عوض "فَاغْفِرْ لَنَا" (ق III، 14) و"سَخَّلَّكُمْ" عوض "سَخَّرَ لَكُمْ" (ق XXII، 64) مع اسقاط حركة الراء (انظر الزمخشري، ابن يعيش؛ ... ص : 143)

ولا يطرأ على الراء في الالسن الدارجة العربية من التغييرات المطلقة الا تغيير واحد يمكن اعتباره حقيقي الاهمية: وذلك التغيير هو نزعة الراء في بعض لهجات الحضر الى الانقلاب غينا (1) وقد شاهدت بنفسي هذه الظاهرة عند مسيحيي بغداد كما ذكر بعضهم انها موجودة ايضا في كثير

(1) نجد تطورا مماثلا فى اللغة الفرنسية فلم ينطق الراء الفرنسى فى السابق نطقه اللهوى الذى هو نطقه اليوم • فقد كان فى الماضى ينطق مكررا كالراء الايطالى والاسبانى ولم يصر راء لهوية في مجموع فرنسا تقريبا الا ابتداء من القرن الثامن عشر فقط.

من لهجات الحضر بالمغرب الاقصى وخاصة بمدينة فاس. وقد بقيت المقابلة القديمة بين الراء المفخمة والراء المرققة في اللهجات العربية العصرية وبقيت هذه المقابلة بالشرق مقابلة صوتية بحت لا خاصية لها من حيث تمييز المعاني. واسباب التفخيم عندهم مما ثلة لاسبابه في العربية القديمة فاتصال الراء بحروف مفخمة او بحركات خلفية (اى الضمة والضمة نصف المنغلقة (o) والفتحة) ينتج عنه تفخيم بينما اتصالها بالحروف المرققة او بالحركات الامامية (الفتحة الامامية الممالة امالة متوسطة والفتحة الممالة إمالة شديدة والكسرة (i, e, a) ينتج عنه الترقيق (انظر "ماتسون" (Mattson) "لهجة بيروت العربية العامية" : ص 68—70 " وفغالي " : "كفر عبيدة" ص69 وكانتينو "لهجة تدمر" ص 54—56 و"لهجات البدو"، ا ص : 21-25)

واما بالمغرب فالامر بخلاف ذلك اي أن تاثيرات قياسية كثيرا ما تخفى اصل التفخيم وأن لمقابلة الراأين قيمة تمييزية بلغت من الوضوح درجة تجعل من الجائز ان نقول ان هنالك صوتين اثنين من نوع الراء. الراء البسيطة والراء المفخمة فقد يختلف اللفظان المتماثلان تماثلا تاما فيما عدا الراء بسبب وجود راء عادية في احداهما وراء مفخمة في الثاني. ومن امثلة ذلك قولهم دار (dār) بالترقيق (ومن المحتمل ان يكون ذلك قياسا على المضارع يدير (idīr) بالترقيق بمعنى "عَمَلَ" وقولهم "دار" (dāṛ) بالتفخيم بمعنى "أَبْدَلَ وِجْهَتَهُ" (ويحتمل ان يكون ذلك قياسا على يدُور (idōṛ) بالتفخيم) ومن ذلك قولهم "برد" (bṛad) بالتفخيم اي : استعمل المبرد (من العربية الفصحى بَرَدَ ؟) وقولهم "بْرِدْ" (bred) ضد سخن (من العربية القديمة بَرِدَ عوض بَرُدَ ؟)... وفيما يتعلق بالراء المفخمة بافريقيا الشمالية : انظر و. مارسي "اولاد ابراهيم ص 25—26 و "كوهين" "لهجة يهود الجزائر" ص 53—54 و أ. فيشر" صوتيات العربية المغربية ص 8. تعليق عدد 2.

ولا يطرأ على الراء في الالسن الدارجة العربية العصرية من التغييرات المقيدة الا شيء قليل ونكتفي بذكر بعض عمليات التباين التي تبدل بمقتضاها الراء نونا بجوار راء اخرى او حرف خيشومي من ذلك "كرسان" (corsar)

تعبر "قُرْصان" (qarṣān) في "ألف ليلة وليلة" ولهجة المغرب العربي) ومنه "جِنِرَال" (général) تعبر "جِنَّـارْ" (gennenār) " في العربية المصرية وكذلك امريكـان (américan) تعبر : "مَلَكَانْ" : (malakān).

واما فيمـا يتعلق بكلمـة "رِجْل" التي اصبحت "إِجْـر" (eğer) (عند بعضهم) فانظـر ما بعد هذا ص 84 . ومـن الادغـام نـذكـر ادغام الراء في اللام في قولهم نْدِيلَّكْ (ndīllek) عوض "نْدِيرْ لَكْ" (ᵉndir lek) (اي اعمل لك) وكذلك "دَالَّه" (dāllāh) عوض "دَارْ لَه" (dār lāh) اي عَمَـلَ له (انظـر و. مارسي "اولاد ابـراهيم" ص 27)

2 ـ اللام الانحـرافيـة

كان في اللغـة السامية حرف مائع انحرافي هـو اللام.

واحتفظت اللغـة العربيـة القديمـة بهذا الحرف خالصـا. ومخرجـه هو جميع حافـة اللسـان بينـه وبين ما يليـه من مقدم الحنك الاعلى فويـق الضواحك والانيـاب والثنـايا. ولهذا الحرف نطق خاص يسمى "الانحراف" ذلك ان اللسان ينحرف عند النطـق به بان يعتمـد طرف اللسان على المخرج المذكـور اعلاه فيجري الهواء من جانبيه: ولذلك سماه علماء الاصوات الاوروبيـون حرفـا "جانبيـا" : (Latérale)

ولا يطرأ على اللام في العربيـة القديمـة من التغييـرات المطلقـة الا شيء قليـل من ذلك ظهـور حرف الميـم عوض اللام في اداة التعريف في لهجة قبيلة طي وفي لهـجات اليمن وكـان النَّمير بن تولب يذكـر الحديث التالي عن النبيء "لَيْسَ مِنَ امْبِرِّ امْصِيَـامُ فِي امْسَـفَـر" (الزمخشري ابن يعيش : X . ص : 33) الا انـه لم يقم الدليـل بعد على ان هـذه الميم بديلة من اللام واكبـر الظن ان هذه الميـم هي عنصر آخر من عناصر اسم الاشارة (بـروكلمـان " المختصـر" ... ص : 137). وبخلاف ذلك فكأن ان النحـاة ... كانـوا يميزون بين الراء المفخمـة والراء المرققـة"

فقد كانوا يفرقون ايضا بين اللام "المُغَلَّظَة" واللام "المُرَقَّقَة" (1) وقد اتفقوا كلهم على ان اللام المضعفة في اسم "الله" تنطق مغلظة وجوبا اذا كانت مسبوقة بضمة او بفتحة ومرققة وجوبا اذا كانت مسبوقة بكسرة. وهكذا فيجب قراءة "رَحْمَةُ اللّهِ" و"خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ" بتغليظ لام "الله". و"بِسْمِ اللّهِ" بترقيقها. وعلاوة على ذلك فقد جاء في كتب التجويد وخاصة في كتاب التيسير للداني وكتاب الكافي للاندلسي بعض القواعد فيما يتعلق بتغليظ اللام وبترقيقها في سائر كلام العرب واليك اهم هذه القواعد نقلا عن أ. بريتزل (O. Pretzl) .

1) اذا كانت اللام مسبوقة مباشرة باحدى الحروف المطبقة الاربعة وهي الصاد والطاء والضاد والظاء وكانت متبوعة بفتحة او بضمة لزم التغليظ. فيجب اذن قراءة "فَصْلٌ" و"نَطْلُبُ" و"أَضْلَلْنَا" و"أَظْلَمَ" بتغليظ اللام.

2) واذا كان بين الصاد والطاء فقط (اي باستثناء الضاد والظاء) وبين اللام فتحة وكانت اللام متبوعة بفتحة (باستثناء الضمة) جاز التغليظ نحو: "صَلاة" و"طَلَبَ" تقرآن بتغليظ اللام .

3) واذا كانت اللام مسبوقة او متبوعة بكسرة بطل التغليظ ويبدو ان ثمة نطقا وسطا بين التغليظ والترقيق ويكون ذلك النطق اذا توفرت الشروط المذكورة اعلاه (في باب ثانيا) وكانت اللام مضعفة او متبوعة بضمة نحو "صَلَّى" و"طَلَّقَ" (بلام وسط بين التغليظ والترقيق) ومن هنا نرى ان تغليظ اللام لا يتولد الا عن وجود الحروف المطبقة فقط وعلى شرط الا تعاكسه الحركات المجاورة. وهو كتغليظ الراء ذو أهمية صوتية صرفة ولا وظيفة تمييزية له بين المعاني . وتطرأ على اللام التغييرات التالية :

اذا كانت اللام بجوار لام اخرى جاز ابدالها نونا تباينا فقد ذكر

(1) انظر فيما يتعلق بهذه المسالة أ. فيشر (A. Fischer) : « في نطق اسم الله » : مجلة اسلاميكا (Islamica.) (1924) I ص : 544 – 547 . وكذلك « مجلة الجمعية الملوكية الآسياوية » (JRAS) : 1931 ، ص 847 وكذلك أ. بريتزل (O. Pretzl) « علم قراءة القرآن » ، مجلة اسلاميكا : VI (1934) ص 326 و 328 – 330 .

النحاة "لَعَنَّ" عوض "لَعَلَّ و" لا بَنْ فعلتَ كذا" عوض" لا بَلْ فعلتَ كذا". الا ان الادغام اكثر في اللام من التباين بكثير. فمن المشاع ان لام اداة التعريف تدغم في 13 حرفا اولا في الكلمة منها عشرة احرف اسنانية هي التاء والدال والطاء والنون والثاء والذال والظاء والسين والزاي والصاد ومنها حرف التكرير المائع وهو الراء وحرف الانحراف وهو الضاد وحرف مشاشا هو الشين. ويجوز ادغام اللام اذا وقعت طرفا في اول حرف من حروف الكلمة الموالية اذا كان هذا الحرف احد الاحرف الثلاثة عشر المذكورة. ويقع ذلك بالخصوص في لام "بَلْ" و"هَلْ" (انظر الزمخشري ابن يعيش X ، 140—143) ومن ذلك ان جميع القراء يقرأون بادغام اللام في الراء قوله "بَرَّانَ" (ق LXXXIII 14) عوض "بَلْ رَانَ" وقد قرأ حمزة والكسائي (بادغام اللام في التاء والثاء والسين)

• بَتُّؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (ق : LXXXVII ، 16) عوض "بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا"

• هَثُّوِّبَ (ق : LXXXIII ، 36) عوض "هَلْ ثُوِّبَ"

• بَسَّوَّلَتْ (ق : XII ، 18، 83) عوض "بَلْ سَوَّلَتْ"

وقرأ الكسائي وحده (بادغام اللام في الطاء والنون والظاء والزاي والذال)

• بَطَّبَعَ (ق : IV 154) عوض "بَلْ طَبَعَ"

• بَنَّتَّبِعُ مَا لَقِيْنَا (ق : II ، 165) عوض "بَلْ نَتَّبِعُ..."

• بَظَّنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ (ق: XLVIII، 12)عوض "بَلْ ظَنَنْتُمْ"...

• بَزَّيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا (ق : XIII ، 33) عوض "بَلْ زُيِّنَ..."

• بَذَّلُّوا (ق : XLVI ، 27) عوض "بَلْ ذَلُّوا"

وفي اعتقادنا ان هذا النوع من الادغام كان اكثر وقوعا في لغة الحديث اليومي ولا سيما في اللهجات القديمة على ان سيبويه (II ، ص 467) قد لاحظ ان عدم الادغام في نحو "هَلْ رَأَيْتَ" كان من خصائص لغة الحجاز.

وقد احتفظت الالسن الدارجة العربية العصرية بحرف اللام عادة احتفاظا كاملا. ونجد التمييز بين اللام المفخمة او المغلظة وبين اللام المرققة في كثير منها ولم تدرس هذه الظاهرة الى حد الآن دراسة كاملة. بيد انه يبدو ان تفخيم اللام يتولد عن جوار الحروف المطبقة والحروف اللهوية وان جوار الحركات الخلفية لا يكفي لذلك (انظر ملاحظاتي بخصوص هذه المسألة في "لهجة تدمر العربية" ا ، ص 51—52) وفي "لهجات البدو الرحل" (ا ، ص : 21—22) وفي "لهجات حوران العربية" الاطلس – الخرائط عدد 15 و 16 و 17 و 18) من ذلك قولهم بالتفخيم "صَلا" (ṣaḷa) اي : "صَلَاةٌ" "وطُولٌ" (ṭōḷ) وطَلاَق (ṭaḷāq)

ويبدو ان تفخيم اللام في الشرق اكثر في لهجات البدو الرحل منه في لهجات الحضر. وينقسم فلاحو حوران انفسهم (وهم من البدو الذين انقلبوا حضرا منذ عهد قديم) الى فريقين فريق اسمهم "نَاس القُلاَّيَا" (nās el-guḷḷāye) (بتفخيم اللام) و"القلايا" عندهم مقلاة من الحديد المقصدر يتخذون فيها البرغل مقليا بالسمن، واللام عندهم هي كلام كثير من البدو الرحل مفخمة فيقولون : بَصَلَه (baṣaḷa)وبَغَلَه (baġḷa) ونْخَالَه (nḫāḷa) وطْوَالَهْ (ṭwāḷa) (وهي المِعْلَفُ). الخ كل ذلك بتفخيم اللام .وفريق ثان اسمهم "ناس القلايا (nās el-göllāye) بترقيق اللام) واللام في لهجتهم كلامُ فلاَّحِي سهل دمشق وحرمون (l'Hermon) ذوي الاصل الحضري لام مرققة دوما او تكاد فيقولون : بَصَلى (baṣale) وبَغْلَى (baġle) ونْخَالَى (nḫāle) وطْوَالَى (ṭwāle) (بترقيق اللام وامالة الفتحة الاخيرة)

ومثل هذه المقابلات موجودة في افريقيا الشمالية. فمن المعروف ان صغار البدو الرحل التَلْيِيِّين يقولون : "قَلْبٌ" (gaḷb) بتفخيم اللام بينما يقول البدو الرحل الصحراويّون : "قَلْبٌ" (gälb) بترقيقها. وعلى من يبتغي النظر في مسالة تفخيم اللام في اللهجات الجزائرية ان يرجع الى: و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 25، والى م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 54—55: وينشأ التفخيم عندهم عن جوار حروف مفخمة اخرى الا انه ينشأ احيانا عن اسباب نفسية وقد يحدث بدون

سبب ظاهر . وتفخيم اللام عكس تفخيم الراء تفخيم يكـون - فيما يبدو دائما موقعيا وليس له قيمة تمييزية بين المعاني .

ويظهر ان التغييرات المطلقة التي تطرأ على اللام قليلة جدا وبخلاف ذلك فان التغييرات المقيدة من تباين وادغام كثيرة جدا. ويكون التباين في الكلمة الواحدة او في جزء واحد من الجملة اذا كانت اللام مجاورة لراء أو لنون او لميم او للام اخرى. فاذا كانت في جوار الراء ابدلت تباينا نونا او ميما (اذا كان بعد الميم حرف شفوي) من ذلك قولهم في كثير من اللهجات الشرقية : "بَنُّورْ" (bennūr) عوض بَلُّور الفصيحة وقول اهل تونس "جنبرائين" (Žubrāʾīn) عوض "جَبْرَائِيلْ" وقولهم في اكثر اللهجات السورية الفلسطينية : "امبارح" (embareh) عوض "البارح" في الفصحى. واذا كانت اللام بجوار النون او الميم ابدلت تباينا اما نونا واما راء نحو قولهم في كثير من اللهجات "اسْمَاعِينْ" (smāʿīn) عوض "اسْمَاعِيل" وميخائين" (Mīḫāʾīn) عوض "ميخائيل . الا ان اهل اللهجة العراقية يقولون: "قُنْصُرْ"(qonṣur) في قنصل (من الفرنسية consul) .

واذا كانت اللام بجوار لام اخرى تباينت ايضا اما نونا او راء. من ذلك قولهم في مقاطعة وهران وبالمغرب الاقصى "سَنْسْلَة" (sensla) في "سِلْسِلَة" الفصيحة وزنزلة (zenzla) في "زَلْزَلَة" الفصيحة وقولهم: "كرغلي (qŏröğlī) في كُلُوغْلِي (من التركية : كُلْ أغلو (kul oğlu) (انظر و. مارسي "تلمسان" ص 33، 96 و "اولاد ابراهيم" ص 28 . م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر ص 86—89) ونجد الى جانب هذه الامثلة التي تتباين فيها اللام بجوار الراء واللام والميم والنون امثلة اخرى يحدث فيها بخلاف ذلك تقريب بين منفصلين في حالة تجاور اللام والراء من ذلك قولهم في مصر : "رَاخَرْ" (rāḫar اي الآخر) ومنه قولهم في تونس "ابْرِيرْ" (ibrīr) في ابْرِيلْ (ibrīl) من الايطالية aprile) (انظر بروكلمان "مختصر I ، ص 178)

كما ثمة امثلة تدل على ان اللام سقطت من الكلام تماما نحو قولهم الشائع في العربية الدارجة بالمغرب العربي "قَاتْلَكْ" (gātlek)

وقَلَّه (gullāh) وقُلُّــو (gullọ) وهي في الفصحى "قَالَتْ لَكَ" و"قلت لَهُ" ونحو قولهم في الاكثر بالجزائر "لُومْنَامِس" (lūmnāmes) اي في الفصحى : "الأَوَّلَ مِنْ أَمْسِ" (قارن هـذا بما جاء عند و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 28) .

واما ادغــام المتصلين فيمكننا القول بان اللام وخاصـة لام اداة التعريف ليس تدغم في نفس الحـروف التي ادغـمت فيهـا في العربيـة الفصحى فقط بل وايضا في حـروف اخرى. ومـن المسائـل الهامـة بالخصـوص مسالة ادغـام لام "ال" في الجيم الواقعـة اولا اوعـدم ادغامهـا فيهـا. فاذا نطقت الجيم حرفـا مشأشأ مجهـورا (اي كالجيـم التونسيـة) كان الادغــام مطردا او يكـاد (مثلـه في ذلك مثـل ادغـام لام "ال" في الشيـن المشأشأ المهموس) .

الآن و. مارسي قد لاحظ في : "ثلاثة نصوص من حامة قابس"–ص: 231 أن هذا الادغام لا يلزم في لهجة تلك القرية الا اذا كانت الجيم اول عنصر من مركب حرفي (اي متبوعة بحرف آخر أو اكثر) نحو : "اجّبَلْ" (ež-žbāl) (عـوض الجبـل) وبخلاف ذلك فان هذا الادغــام يصير جائزا فقط فيجوز وقوعـه كمـا يجوز عدم وقوعه اذا كانت الجيم الاولى من كلمة ما متبوعـة بحركـة نحو قولهم : "إجَّـرْ" (ež-žarṛ) بالادغام والجر (el-žarṛ) بعدم الادغام ومعناه : "رِقَّمٌ مِنَ الْوَاحَةْ" واذا نطقت الجيم شديـدة وبزيادة رخوة اي "دْجْ" ادغمت في جهـات ولم تدغم في جهات اخـرى فيبدو حسـب ما يمكننا الحكم به الآن ان لام "ال" لا تدغـم في المغـرب. وامـا بالشرق فيبـدو بخـلاف ذلك – وفي نـطاق المعلومات التي لدينا – ان هذا الادغــام مُطَّرِد نحو : "ادْجَبَـلْ" (eğ-ğābāl) بيد ان ل. باور (L Bauer) يلاحظ في كتابه "عربيـة فلسطيـن" (Das Palastinische Arabische) الطبعـة الرابعة، ص : 5 "ان المثقفيـن من سكـان المدن يجتنبـون هذاالادغـام فيقولـون مثلا : "الدْجَوْ" (el-ğaw) والدْجُمْلَة (el-ğumle) (بدون ادغام). ونلاحظ الى جانب ادغــام لام "ال" في الجيـم التي في اول الكلمات ادغاما مماثلا للام "ال" في حرف "تْشْ" المتولد في بعض اللهجات عن كاف قديمة نحو قولهم "اتْشَّلْبْ" (اي الكلب) (eč-čalb) .

ومن ناحية اخرى يجوز ادغام لام "ال" في بعض الحروف الاخرى كفي الكاف مثلا في قولهم الشائع : أكُّل (ökkul) (اي الكُلّ) (انظر و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 28 و ك. بروكلمان مختصر 1 ، ص176) وكفي القاف المصرية المتولدة عن الجيم نحو "اقزّار" (eg-gäzzār) (اي الجزار) (بروكلمان : نفس المرجع)

واخيرا فان من اللهجات العربية كلهجات القبائل الصغرى بالجزائر مثلا. ما تدغم فيه لام "ال" في الحروف الشفوية والاقصى حنكية ادغاما مطردا .

واذا استثنينا لام "ال" لاحظنا ان ادغام اللام في حرف بعدها قليل جدا. الا انه يجدر الاشارة الى ادغام اللام في النون (لن ← نّ) في نحو : "قُنّا (gunna) (اي قلنا ونّا (nna) (اي لَنَا اي لَنَا) ويحدث مثل ذلك في اللام المتبوعة بالراء (لر) فقد ذكر و. مارسي في "أولاد ابراهيم" ص 27 : الجملة التالية : "يدَخَّرْ رُوحَه فِي قَلْبِي" (Idahher rōhah fi-gölbi) (اي يُدَخِّلُ رُوحَهُ فِي قَلْبِي : أي يحاول ان يَسْتميلني) وكذلك في اللام المتبوعة بالشين (ل ش) نحو : "ما يَاكُش" (mā yākušš) في : مَا يَاكُلْش (mā yākulš) (اي لا ياكل) (و.مارسي نفس المرجع) وكذلك في اللام المتبوعة بالتاء (ل ت) نحو : "قُتْلَه" (guttläh) (في قُلْتُلَهُ) (gultläh) (اي قُلْتُ لَه) (و. مارسي نفس المرجع ص : 28).

ومن أغرب ما يجدّ في هذا المضمار ما جد في كلمة "رِجْل" الفصيحة فقد طرا عليها في كثير من اللهجات السورية — الفلسطينية تقريب بين منفصلين ثم تباين فصارت : "ادْجْر" عن طريق صيغة اخرى محتملة هي "رِدْجِر" . (reǧr → ʾeǧr)

3 — الضاد الانحرافية :

يبدو انه كان في السامية ثالوث من الحروف الشديدة الاسنانية ذات زائدة انحرافية هو :

ت ل — (د ل)
د ل

ويظن أن مخارج هذه الحروف كانت جد أمامية وأن شدتها كانت معينة وانها لم تكن تفرع بين طرف اللسان متجافيا عن الحنك بل عند حافتي اللسان فكان يحدث عن ذلك في السمع نوع من اللام. ومثل هذه الحروف موجودة في كثير من لغات هنود أمريكا الشمالية وبعض اللغات الافريقية وبعض لغات "القوقاس".

وقد تفكك هذا الثالوث في اللغة العربية القديمة فقلبت الـ "تـ ل" المهموسة شينا (انظر ما بعد هذا) .

ولم نعثر على ممثل معروف لـ : "د ل 2" المشكوك في وجودها في السامية وبخلاف ذلك فان "د ل" المفخمة قد بقيت في اللغة خالصة مدة ما وسنثبتها على سبيل التيسير : (ḍ) أي : ض .

وعن النحاة القدامى أن هذا الحرف من خصائص العربية وحدها وان الاعاجم لا قدرة لهم على النطق به (وفعلا فان الحروف الشديدة الاسنانية الانحرافية عسيرة في النطق على من ليس في لغته القومية من هذه الحروف شيء) .

ويسمى العرب "الناطقين بالضاد" "وروي عن النبي قوله : "انا افصح من تكلم بالضاد"". وقد وصف النحاة العرب النطق بالضاد وصفا حسنا كافيا نوعا ما. فمخرجها هو "اول حافة اللسان وما يليه من الاضراس" (سيبويه : II ، ص : 543، والزمخشري ابن يعيش : X ، ص : 124 — 125) ويجوز نطقها من الجانب الايمن أو من الجانب الايسر الا أن نطقها من الجانب الايمن أصح. وهذا يثبت اذن أن الضاد حرف انحرافي ومن جهة اخرى فقد نعتوا الضاد بانه حرف رخو مطبق وبانه ليس له مقابل منفتح (سيبويه : II ، ص : 454 — 455) واخيرا فقد أضافوا الى هذا الحرف صفة خاصة هي : "الاستطالة" بسبب استطالة مخرجه (انظر هول (Howell) كتاب النحو العربي : IV ص : 1707—1709) . على ان هذا التحديد ليس كافيا تمام الكفاية اذ يجوز معه التردد في نطق هذا الحرف بين : "دْلّ" (d^l) و"ظْلّ" (d^l) و"زْلّ" (z^l) (اي بين دال مفخمة ذات زائدة لامية وبين الظاء ذات

الزائدة الانحرافية وبين الزاي المفخمة ذات الزائدة الانحرافية الا ان اتجاه تطور هذه الاحرف لا يترك لك أي شك في هذا الصدد فالنطق القديم كان : "ظُلٌ" اي ظاء ذات زائدة انحرافية. أي بتقريب طرف اللسان من الثنايا كما في النطق بالظاء وبان يجري النفس لا من طرف اللسان فقط بل ومن جانبيه ايضا (١).

ومنذ القديم كان هذا الحرف المعقد العسير على النطق عرضة للتغيير. فقد ذكر النحاة القدامى منذ عهدهم نطقا مستهجنا لهذا الحرف اسموه الضاد الضعيفة (سيبويه : II ، ص 452) وفي شرح السيرافي للكتاب ان هذه الضاد الضعيفة كانت تنطق كالظاء او بين الضاد والظاء وأقل من ذلك ابدال الضاد لاما في نحو ما ذكروه من قول الشاعر منذور بن حبة الأسدي في نصف بيت من قصيدة :

"مَالَ إِلَى أَرْطاةِ حِقْفٍ فَالْطجَعَ" اي فَاضْطَجَعَ" (إفْتَعَلَ من ضَجَعَ) (سيبويه : II ، ص : 480، والزمخشري، ابن يعيش، X ، ص 45—46) ولا يطرأ على الضاد من الادغام الا شيء قليل. فقد اختلفوا في ادغام الضاد في الشين : (ض ش ← ش) فعن ابي شُعَيْب السُوسي عن اليزيدي عن ابن العلاء كان يقرأ "لِبَعْشَأنِهِمْ" (في لِبَعْضِ شَأنِهِمْ : ق : XXIV . 62) الا أن أكثر الرواة قد رفضوا صحة هذه القراءة ولم يشهد بوجودها الا أبو شعيب المذكور. وعن سيبويه (II ، ص 473) أن ادغام الضاد في التاء (ضت ← طّ) جائز نحو "مُطّجِعٌ" في "مُضْطَجِعٌ" (وأصله مُضْتَجِعٌ)

---

(١) انظر فيما يتعلق بنطق الضاد نطقا انحرافيا : ن. يوشمانوف (N. Jusmanov) : « مقابلة الضاد العربية للعين الآرامية » في : « تقريرات أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي » ، 1926 . وكذلك انظر م. كوهين في « نشرة جمعية باريس اللغوية » ، 1927 ، تقريرات ص 172 . وكذلك انظر ج. س. كولين (G.S. Colin) « تعليقات في دراسة اللهجات العربية » في مجلة : « هسبيريس » (Hespéris) 1930 ، ص 91 وما بعدها . وبخلاف ذلك يجدر رفض الافتراضات الواهية التي افترضها ج. فيلانيسيك (J. Vilencik) في « ما هي قيمة الضاد الصوتية في السامية الاصلية » وهو فصل بالالمانية صدر في « الجريدة الادبية الاستشراقية » (O.L.Z.) 1930 ، ص 90 .

وقد صارت الضاد ظاء في الالسن العربية الدارجة العصرية عادة
وتنوب تماما في الظاءات الأصلية في اللغة. فنشأ عن ذلك كيفيات
مختلفة في نطق الضاد مماثلة لمختلف كيفيات نطق الظاء في العالم
الناطق بالعربية. فتنطق في اللهجات المغربية ظاء ودالا مفخمة وطاء نحو
ظرْبْ (drab) ودْرَبْ (drab) وطْرَبْ (trab) (في "ضرب")
وكذلك لرْظْ (lard) ولرْدْ (lard) ولرْطْ (lart) (في الارض)
وأثر هذا النطق المختلف للضاد في اللهجات على نطقها في العربية الفصحى
امثله في ذلك مثل اللغة اللاتينية واختلاف النطق بها باختلاف الشعوب
الناطقة باللغات الرَّوْمَنِيَّة (romanes) (أي المتولدة عن اللاتينية
كالفرنسية والايطالية والاسبانية... الخ)

واكثر انواع نطق الضاد في الفصحى شيوعا هو نطقها كالظاء اذا
كان في لهجة المتكلم حروف ما بين الاسنان وكالدال المفخمة اذا
انعدمت من لهجته تلك الحروف . الا أن نطق الضاد نطقا انحرافيا
مازال موجودا في بعض جهات قليلة متشتتة . من ذلك ما نجده في نقل
الأسبان العربية بالأحرف اللاتينية. فقد نقلوا الضاد عادة بواسطة حرف :
d (دال) الا ان ثمة بعض الكلمات نقلوا فيها الضاد بواسطة حرفي:
" ld " (ل د" نحو قولهم : " al-calde; al-calle " (الكَلْدِي)
أو (الكَلْيِي) في "القاضي" وقولهم : " al-bayalde " (البَيَلْدِي)(ومعناه
مادة بيضاء من مواد الدهن) في "البياض" وقولهم : " ravalde "(رَبَلْدِي)
في ربَض". (انظر شتيغر (Steiger) "مساهمة في دراسة الصوتيات الاسبانية
العربية" : (Contribution à la fonética hispano-arabe) ص : 165).
في جنوب الجزيرة العربية وبالخصوص في جهة "دَثِينَة" تنطق الضاد
كاللام المفخمة فيقولون تِتْقَلّ بَهْ (titgalla bah) في تِتْقَضّ بَهْ
(titgadda bah) (أي تتقضى به) ولَوْعْ (lawᶜ) في ضَوْعْ ومعناه
أصحاب القبيلة الواحدة (أنظر لاندبرق (Landberg) : "حضرموت" :
ص : 637 و ك. بروكلمان "المختصر" : I ، ص 132) ولم يبق أثر
لنطق الضاد نطقا انحرافيا اذا استثنينا اللهجتين المذكورتين أعلاه بملاحظة
ان أولى هاتين اللهجتين اي اللهجة الاسبانية - العربية قد انقرضت بعد.
وفي الخاتمة فان الضاد صار ظاء أو لاما في الالسن الداوجة العربية العصرية
واذا يجوز القول بأن هذا الحرف قد خرج من هذه الالسن واضمحل منها .

V = الحروف الادنى حنكية

كان في السامية حرفان أدنى حنكيان هما : الشين المشأشأة والياء نصف الحركة. وخلافا لذلك فان عدد هذه الحروف في العربية ثلاثة هي الجيم الشديدة ذات الزائدة الرخوة والشين المشأشأة والياء نصف الحركة وليس ثمة من بين هذه الحروف الأدنى حنكية الثلاثة الا حرف واحد يمثل امتدادا لمقابله بالذات في السامية . وهذا الحرف هو الياء. واما الجيم فتمثل القاف (g) الشديده الحنكية في السامية مع شيء من تحوير النطق بتقديم مخرجها الى ادنى الحنك. وأما الشين العربية فلا تمثل الشين السامية وانما تمثل حرفا شديدا اسنانيا ذا زائدة انحرافية لامية كان موجودا في السامية وهو : تْ ل (ṯ) وسندرس هذه الحروف الثلاثة واحدا واحدا .

١ — الجيم الشديدة ذات الزائدة الرخـوة :

قد سبق لنا ان قلنا (ص : 27) وسنعيد ذلك القول فيما بعد — ان السامية كانت تحتوي على ثالوث من الحروف الشديدة الاقصى حنكية هو :

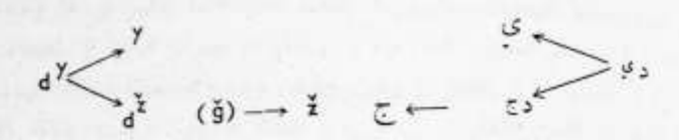
ک — ڤ
ق

وقد تقدم مخرج الـ "ڤ" المجهورة في العربية القديمة تقدما كبيرا بصفة مطلقة ولأسباب نجهلها فصار الى جهة أدنى الحنك. ومعلوم أن الحروف الشديدة الظهرية (١) الادنى حنكية حروف غير قارة وأن نازعة الى التغير بالتليين ثم بعد التليين بان تصير طرفية (١) مغارزية ...ة ايضا ولذا جاز ان نعتبر الرسم التالي لتطور هذا الحرف رسما مطردا:

---

(١) يطلق لفظ « ظهرية » (Dorsales) على الحروف التى تقرع بظهر اللسان ولفظ « طرفية » (Apicales) على التى تقرع بطرفه . ففى النطق بالظهرية — الادنى حنكية ينطبق ظهر اللسان على ادنى الحنك وفى النطق بالطرفية — المغارزية (alvéolaires) ينطبق طرف اللسان على مغارز الاسنان وهى أصولها .

في ادني حنكية ← ق يّ ← دْيْ (dy ← gy ← g prépal) ثم يطرأ على : الـ "دْيْ" وهو دال ملين مغارزي المخرج نوعان من التغييرات اما بذهاب الشدة فلا يبقى الا مجرد "يـاء" او بانقـلاب الزائـدة المليّنة الى زائدة مشأشأة فيصير الحرف "دْجْ" ثم يجوز أن يفقـد هذا الحرف الاخير دالـه فينتهي بـه المطاف الى مجرد جيم تونسيـة على النحو التالي :



وليس من اليسيـر أن نقـول إلى أية مرحلـة من هذا التطـور قد وصل هذا الحرف في العربيـة القديمـة ولا بد أنـه كان يوجد ما يوجد الآن من اختلافات ذات بال في النطـق من لهجـة الى لهجـة. وقد عـرفوا الجيم بالنسبة الى العربية الفصحى بأنـه حرف شديـد حنكي ظهـري (..."وسط اللسـان" : سيبويه : II ، ص 453 والزمخشري، ابن يعيش : X ، ص : 124) الا أن النحـاة القدامى لم يقولوا لناهل كان في الجيم تليين أو زيـادة رخوة ولا يـذكرون إلاّ نطقيـن "مستهجنَيْن" للجيم هما الجيم التي كالـكاف نحو "كَمَل" في "جَمَل" و "رَكُل" في "رجُل" وذلك من لغـة اليمن ولغة بغداد. والجيـم التي كالشيـن نحو "إشْتَمَعُوا" في إجْتَمَعُوا" و "الأشْدَر" في "الأجْدر (سيبويـه : X ، ص 452) والزمخشري ، بن يعيش : X ، ص 125 و127). الا أن الجيم حرف مجهـور والحروف المجهـورة المقابلة للكاف والشين معدومة في الـكتابة العربية ولذا لزمنا أن نفهم من ذلك كما فعل برافمان : ("مـواد"... ص 40) ان هذيـن النطقين المستهجنين هما الجيم التي كالقاف (الجيم في مصر)والجيم التي كالجيم في تونس اي "قَمَل" (gamal) و"رَقُل" (ragul) مـن جهـة "والأجْـدر" (بجيم تونسية) من جهة اخرى. فاذا طرحنا هكذا نطق الجيم كالجيم المصريـة وكالجيم التونسية واذا طـرحنا كذلك نطقهـا : "دْيْ" (دال ملينـة بيـاء خفيفـة) و"دْجْ" (دال ذات زائـدة هي جيم تونسيـة خفيفـة كمـا في الجزائـر) ـ وذلك لأن مخرجها هو ظهـر اللسان وليس طرفـه ـ بدا لنا أن هؤلاء النحاة كانوا

يعتبرون أن نطق الجيم الصحيح الوحيد هو نطقها : "قْـغْيَ" (1) (g^y) (اي جيم مصرية متبوعة بزائدة يائية خفيفة) الا ان مختلف الكيفيات المحلية الدارجة في نطق الجيم قد أثرت في قراءة العربية الفصحى شانها في ذلك شأن الضاد. وأكثر النطق شيوعا فيما يتعلق بالجيم هو أن تنطق "دْجْ" أو "ج" (تونسية) في قراءة اللغة الفصحى.

وعلاوة على الجيم التي كانت تنطق كالقاف (أي كالجيم المصرية) وكالجيم التونسية — وهما نطقان موجودان أيضا في العربية الدارجة — قد يطرأ على الجيم بعض التقريبات وبعض الادغامات. من ذلك أن الجيم إذا كانت قبل التاء ابدلت شينا تقريبا نحو قولهم "اشتمعوا" في "اجتمعوا" المذكور اعلاه ويذكر النحاة علاوة على ذلك الادغامات الآتية :

ج ش ← شّ : نحو "أخْرِجْ شَبَثاً" ← "أخْرِ شَّبَثاً" ونحو قوله في : (ق : XLVIII ، 29) أخْرَجَ شَطْأَهُ تقرأ "أخْرَشَّطْأَهُ" باسقاط حركة الجيم (الزمخشري، ابن يعيش : X، ص 138)

ج ت ← تّ وهو ادغام ذكره الزمخشري (نفس المرجع) عن اليزيدي. واليزيدي ينسب هذا الادغام على ما فيه من الغرابة الى ابن العلاء في قوله (ق: LXX ، 4) "ذِي المَعَارِجِ تَعْرُجُ" تقرأ : ذِي المَعَارِ تَّعْرُجُ" باسقاط حركة الجيم.

ج ز ← زّ : ذكره ياقوت : (II ، ص 204) ونسبه الى لغة لعام في قولهم "حُزَّةُ السَّرَاوِيل" في "حُجْزَةُ السَّرَاوِيل".

ونجد في الألسن الدارجة العربية العصرية أنواعا مختلفة من نطق الجيم هي الأنواع التالية :

• نطقها كالقاف (g) (وسط حنكية أو أقصى حنكية) في مصر حيث يقول الناس "قَبَلْ" (gabal) (في جبل) و "نَقْمْ" (negm) (في نجم) و "أقَ" (aga) (في جاء) ومثل هذا النطق موجود في عُمان على ما يبدو.

(1) انظر فيما يتعلق بنطق الجيم بروكلمان ، مختصر ... ، ص 222 و ، فولارس ، اللغة الدارجة ... ص II (ويعتبر فولارس نطق الجيم دج في العربية الفصحى مناقضا لوصف النحاة العرب لها) و و. مارسي دائرة المعارف الاسلامية فصل ، جيم ، ، ص 1075 — 1076 .

. نطقها : "قْيْ" (g^{y}) (ادنى حنكية وملينة تليينا خفيفا وكثيرا ما يعسر التمييز بينها وبين "دْيّ") موجود عند البدو الرحل في شمال الجزيرة العربية وخاصة عند عشيرتي شمر وعنز (انظر "دراساتي في لهجات بعض البدو الرحل" : I ، ص 25—26، نحو قولهم "انعَغْيَه" ($n^{c}ag^{y}a$) (في نَعْجَة) و"قْيَبْهَــة" ($g^{y}abha$) (في جَبْهَة و"قْيَفَن" ($g^{y}efen$) (في جَفْنٌ) والى جانب نطق الجيم "قْيْ" نجد في نفس هذه اللهجات البدوية نطقا آخر ايضا يظهر في ظروف ما زالت غامضة وهو نطق الجيم "ق" (g) نحو قولهم "رِقْـلْ" (regel) (في رجل) و"قلْـدْ" (geld) (في جالد) ويبدو ان نطقا مماثلا لهذا موجود في قسم من اليمن (انظر أ. روسي) (E. Rossi)في دراسته باللغة الايطالية "تعليقات حول دراسة لهجة اليمن": (Appunti di dialettologie del Yemen) ص 7 (في مجلة الدراسات الشرقية : (R S O) : XVII ، ص 236) .

. نطقها كالياء (وقد تصير هذه الياء كسرة) وهو موجود عند عدد من قبائل شمال الجزيرة العربية كقبيلة السردية وبني صخر والفحيل والسرحان والشرارات وكذلك عند حضر تيماء ودومة الجندلية (جوف) وجبة وحايل وكذلك عند بعض قبائل ادنى الفرات. وقد اثبتّ شخصيا وجود هذا النطق عند بني سردية وسرحان وعند سكان جوف وذلك في "دراسات بعض لهجات البدو الرحل" : I ؛ ص 24—25 و II : ص 137—138) والتقطْتُ بعض الامثلة نحو قولهم : يَبْهَة (yabha) ج. إبَاهْ (ibāh) (في جَبْهَة) وحَايِبْ (ḥāyeb) (في حاجب) ويثنى على : حَايْبِين (ḥāibēn) و: رِيل ($riy^{e}l$) (في رِجْل) ولكنهم يقولون : ريلي (rīī) (في الاضافة الى ضمير المتكلم) ... الخ.

وأكثر أنواع نطق الجيم شيوعا هو نطقها "دْجْ" ونطقها "ج" (اي كال " j " في الفرنسية) واليك ما نعرفه فيما يتعلق بالمناطق الخاصة بهذين النطقين :

ففي اليمن تنطق الجيم "دْجْ" وهو اكثر انتشارا من أي نطق آخر: انظر أ. روسي : نفس المرجع. وفي العراق يبدو أن نطقها "دْجْ" يحتل بها مكانة هامة وهو النطق الذي سمعته شخصيا في جميع الأماكن التي أجريت البحث فيها .

وفي الصحراء السورية نطق الجيم "دْج" نطق مطرد عند قبائل صغار البدو الرحل مثل الحديديين والموالي وبني خالدْ ونْعيم وفضل... الخ بينما ينطقها العنز وشمر : "فنْق") وتطقها جيما تونسية غير موجود عند البدو الرحل في هذه الجهة على الاطلاق.

وبخصوص سوريا وفلسطين والاردن نجد في الخريطة عدد 2 من "الاطلس اللغوي" لبرغشتريسر توضيحا جليا للحالة في هذا المضمار. نطق الجيم في هذه البلاد جيما تونسية نطق مدني نجده في مدن دمشق وبيروت وحيفا ونابلس وبيت المقدس ويافا وغزة... الخ.

ويوجد هذا النطق أيضا في جميع لبنان والجبل الشرقي بسوريا (l'Anti-Liban) وجبل الدروز. وبخلاف ذلك فان نطق الجيم "دْجْ" أكثر انتشارا في الارياف الفلسطينية والاردنيّة والسورية.

وأما بافريقيا الشمالية فان الحالة هي عكس ذلك تماما فنطق الجيم جيما تونسية أكثر انتشارا بكثير من النطق الآخر فهو النطق الموجود ببلاد طرابلس وبلاد تونس والمغرب الاقصى (مع ملاحظة أن نطقها "دْجْ" لا يظهر بمدينة طانجة إذا كانت الجيم مضعفة) وهو النطق المنتشر عند أكثر البدو الرحل ولا يوجد نطق الجيم "دْجْ" بصفة مطردة الا في قسم من الجزائر كمقاطعة قسنطينة ودائرة السطيف ودائرتي بلديتي جيجلي وفج مزالة المختلطتين وقسم من دائرتي بلديتي بريكة والقنطرة وبلديتي قسنطينة وبجاية. كما يوجد هذا النطق أيضا في مقاطعة الجزائر العاصمة بجميع التل وفي مقاطعة وهران بالجزء التلي من دائرة مستغانم وفي قسم من دائرة معسكرة (Mascara) وفي أقصى شرقي دائرة وهران وأخيرا في مدينة تلمسان.

وكل ما ذكرناه إلى حد الآن من مختلف الأنواع في نطق الجيم هو نطق مجهور والى جانب هذا النطق المجهور نجد بعض الانواع القليلة من النطق المهموس وتوجد في مناطق ضيقة محدودة. من ذلك نطقهم الجيم "تْشْ" في تدمر وفي بعض قرى الجبل الشرقي في سوريا هو : "تْشار" (čār) (في جار) "وتْشَمَل" (čamal) (في جمل)

و"تشيشي" (tčeče) (في دجاجة) و"اتشي" (eče) (في جاء... الخ . وتنطق الجيم في واحة سُخْنَة (بين تدمر والعُمرات) "تْشْ" من ذلك قولهم "حِيتْشِبْ" (hīćeb) (في حاجب) و"تْسِلْدْ" (ćeld) (في جلد) و"تْسِيتْسِي" (ćīćī) (في دجاجة)... الخ ومن الجائز ان يكون هذا النطق المهموس للجيم ناتجا عن تأثير اللغة الآرامية.

وقد يحدث في كثير من اللهجات اليهودية العربية أن تختلط الجيم (ذات النطق التونسي) بالزاي : انظر كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" : ص 24—25 (الجيم المنطوقة : "دْجْ" تصير الى "دْزْ") ويقع هذا الإبدال بالأخص في لهجات يهود مدينتي قسنطينة وتلمسان.

ويطرأ على الجيم علاوة على ذلك تغييرات مقيدة مختلفة وأهمها التغييرات التي تطرأ اذا كان في الكلمة حرف جيم وحرف من حروف الصفير أي السين والزاي والصاد أو حرف الشأشأة وهو الشين، فإذا كان الأمر كذلك حدثت عدة ظواهر كالادغام والتباين. وقد تختلف هذه الظواهر من لهجة الى أخرى. :

فاذا اتّصلت الجيم بإحدى الحروف المذكورة وقع الادغام أو التقريب من ذلك "بالجزاف" في الفصحى تصير في اللهجة الجزائرية "بزّاف" (bezzāf) وكذلك "يَتجزى" في الفصحى تصير في لهجات المغرب العربي "يدْزي" (yedzi) بل وحتى "يزّي" (yezzi) وكذلك لفظة "الجزيرة" قد صارت في اللهجات الجزائرية "دْزِيرَة" (dzīra) ومنه لفظ الجزائر الذي صار الى "ادْزَايرْ" (ed-Dzāir) وكذلك لفظتا "جَسَد" و"جِسْم" في الفصحى فقد صارتا في لهجات يهود الجزائر الى "تْسِد" (tsed) و"تْسِم" (tsem) والعملية الصوتية التي حدثت في هذه الأمثلة هي عملية تقريب أبدلت فيها الجيم دالا أو تاء بذهاب عنصر الشأشأة منها (انظر بروكلمان "المختصر" 1، ص . 177 حيث يستشهد ب : د مارسي. وانظر م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر ص : 80).

وقد تسقط الجيم إذا وقعت بعد السين (ويحتمل انها صارت أولا الى الياء ثم سقطت تماما كما في لفظة "مَسْجِد" التي صارت الى "مْسِيد"

الجواليقي "خطأ العوام" طبعه ديرنبورغ (Derenbourg)
(Fest... ص145–146 و. مارسي "لهجة تلمسان ص . 315)

... ان ادغام الجيم أو قلبها إذا كانت بجوار حرف من حروف
... أحيانا في كثير من اللهجات العربية فإن وقوعها أكثر
... الجزائرية بالخصوص. ويمكن ترتيب هاتين الظاهرتين ترتيبا
:

... لهجات البدو الرحل التونسيين وتعرف بلهجات "و" (E)
ذات النطق التونسي زايا إذا كان في الكلمة زاي أو سين
... ← ززار (ǧazzār ← zazzār) وعجوز ← عزوز
(ᶜaǧ...) أو "عزوزة" (ᶜazūza) وزوج ← زوز
(zu...) (بنطق الضمة كالـ 0 الممدودة) أو "زوز" (zuᵃz)
... لة خفيفة بين الواو والزاي) أو "زوز" (zūz) (بنطق
... كما في الفصحى) ونحو "جوزة" التي صارت الى زوزة
(ǧaw...) (أي بواو منفتحة نوعا ما) وزوزه (zūza) وكذلك
... (zlēz) (أي بياء منفتحة بعض الشيء) وزليز (zlīz)
... في "زليج" وقولهم "زنس" (zens) في "جنس"
(zabs) في "جبس".

... النوع من الإدغام الذي يقع بذهاب الشأشأة من الجيم
... العربية بتونس وتوغل نحو غربي الجزائر إلى مسافة لا
... مدينة قسنطينة ودوائر مدينة سكيكدة (انظر كانتينو
... في مقاطعة قسنطينة – الخريطة).

... البدو الرحل بصحراء الجزائر (لهجات "أ" :
(A ... النطق التونسي) زايا إذا احتوت الكلمة على زاي أو
... في نفس الوقت الزاي او السين جيما تونسية أوشينا
... تبادل الشأشأة نحو جزار ← ززار (zazzār) (1)

(1) ... اذ المفهوم من السياق ان جزار تصير الى زجار .
المترجم

وعجوز ← عزوج (ᶜazūž) وجـز ← زج (zāžž) وجاز ← زاج (zāž) وجبس ← زبش (zebš) وجنس ← زنش (zenš) وجامـوس ← زامـوش (zāmūš) وجبش ← زبش (ze'š) (بياء خفيفة) وجحش ← زحش (zaḥš) ... الخ (قارن بما ورد في كتاب و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص. 13)

وقد امتدت هـذه الخاصية الغريبة من صحراء الجزائر الى الشمال بعيدا فتوغلت في مقاطعة الجزائر العاصمة حتى بلغت "بروغية" و"بويرة" وفي مقاطعة وهران حتى بلغت ساحل البحر بين مستغانم وبني ساف (انظر كانتينو "اللهجات العربية بمقاطعة الجزائر" و"لهجات مقاطعة وهران" الخرائط.

وأما اللهجات المغربية فيطرأ فيها على الجيم أحد التغييرات الثلاثة التالية (وفي بعض الأحيان تطرأ هذه التغييرات الثلاثة كلها في لهجة واحدة) ولم يحدد بوضوح الى حد الآن مركز انتشار كل واحد من هذه التغييرات تحديدا جغرافيا.

1 – تبدل الجيم (ذات النطق التونسي في الوقت الحاضر ولكنها كانت فيما يرجح تنطق "قـغ" (gʸ) في هذه اللهجات) تبدل "ق" (g) فيتأخر مخرجها وذلك اذا كان في الكلمة حرف من حروف الصفير نحو قولهم قزّار (gᵃzzār) وعقوز (ᶜagūz) وقلس (gles) (من جلس وقنس (gens) وقاموس (gamus)و"قبس" (gebs)

وقد يقع ذلك أحيانا إذا كانت الكلمة تحتوي على شين نحو "قيش" (gis) (وهو حرس السلطان) ويوجد نطق من هذا القبيل بالجزائر أيضا بالقسم الغربي من مقاطعة وهران. من ذلك خاصة قولهم "قزار" (gāzzār) ومن ذلك أيضا قول المالطيين في لهجتهم "قزيرة" (gzīra) (أي جزيرة) .

2 – وتبدل الجيم (ذات النطق التونسي الآن ولكنها كانت تنطق (gʸ) في هذه اللهجات) تبدل دالا تباينا بذهاب عنصر

الشأشأة منها نحو قولهم دَزَّارْ (dazzar') (جزار) و "دزْ" (daz) (من جَازَ) و "دزَّة" (dezza) (من جزة) و "دبس (debs)(جبس) وداصر (ḍaṣer) (بتغليظ الدال).(من جاسر) ودحش (dheš) (أي جحش) ومن ذلك أيضا كلمة "شجرة" في الفصحى فقد آلت عندهم أولا إلى "سَدْجرة" (sağra) (بإبدال الشين الأولى : انظر ما سيأتي في هذا) ثم في النهاية الى سَدْرة (sadra)وقد توغل هذا النوع من النطق في الصحراء الوسطى وخصوصا في قُوارة وتُوات" ولكن هذا النطق باستثناء النطق المدرج أعلاه في باب أولا – موجود أيضا بسوريا وبالعراق (انظر بروكلمان "المختصر" : ج 1 ، ص. 255) وهكذا نفسر قولهم في سوريا "دَشَّرْ" (daššar) (بتفخيم الراء) اي : "تَرَكَ" وهو من الفصيح "جشر" (الاناء اي افرغه)

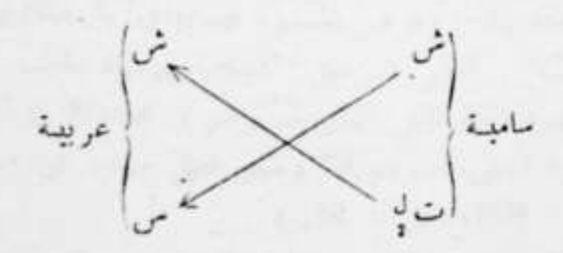
3 – تبقى الجيم على حالها وهو أقل من سابقيه وفي هذه الحال يبدل حرف الصفير حرف شأشأة نحو قولهم "جُوج" (žuž)وعجوج (caǧuž) وججة (žažža) (اي جزة) وقد توغل نطق من هذا القبيل في لهجات صحراء وهران .

وهكذا ترى مدى تنوع الظواهر الصوتية الطارئة على الجيم إذا كان هذا الحرف مجاورا لحرف من حروف الصفير أو الشأشأة في كلمة واحدة ولا تبقى الجيم خالصة في هذه الحال الا في ميدان لهجات البدو الرحل المرموز اليها بحرف ب (B) وفي بعض اللهجات الحضرية (شرقي مقاطعة وهران وشمالي مقاطعة الجزائر وغربي مقاطعة قسنطينة) واذا كانت الجيم بجوار الدال ابدلت ايضا تباينا من ذلك كلمتا "جَديد" و"جَدْي" فقد آلتا في الأكثر الى جْدِيد (ždīd) وجْدي (ždi) حتى في اللهجات التي تنطق الجيم فيها "دْجْ" ولكن هذا الابدال التبايني قد يقع بأن تبدل الجيم قافا (g) من ذلك قولهم "قِد" (gidi) (في جَدْي) في اللهجة المالطية. ويطرأ مثل هذا في كلمة "دجاج" فقد آلت هذه الكلمة الفصيحة في اللهجات التي تنطق الجيم فيها "دْجْ" الى "دْجَادْجْ" (ǧaǧ) (وقد اشتقوا منها قولهم "دْجوادْجْ" (ǧawwaǧ) ومعناه بائع الدجاج والبيض وهي من لغة مدينتي الجزائر والبليدة).

ولكن قد يحدث أيضا تبادل الشأشأة في هذا المضمار من ذلك قولهم "جذاذ" (ždād) في "دَجاج" (انظر و. مارسي : نصوص طانجة ص 248) ولم يختلفوا بصيغة "دْجَـاجْ" (džāž) الا في اللهجات الشمال افريقية التي صارت الجيم فيها الى جيم تونسية منذ عهد قديم.

2 ـ الشين المشأشأة

كان في اللغة السامية حرف مشأشأ (هو الشين وقد صار هذا الحرف في العربية الفصحى الى السين (واختلط هكذا بالسين التي أصلها في السامية حرف "ت س") وبخلاف ذلك فقد آل الحرف الذي كان في السامية حرفا شديدا مهموسا ذا زائدة انحرافية أي الـ "ت ل" آل في العربية إلى الشين ويمكن تصوير هذا الاشتباك بالكيفية التالية :



وقد أطلقوا على هذا التغيير المشتبك اسم "قلب حروف الصفير" (بالالمانية : (Zischlaut verschiebung)). متى وقع هذا القلب في حروف الصفير؟ من المرجح أنه جد في أثناء القرون الاولى من العهد المسيحي ويشهد بذلك فيما يظهر بعض التردد في كتابة حرفي الشين والـ "ت ل" القديمين (فقد كانا يرسمان هكذا : اما ء أو ءُ) وقد لوحظ هذا التردد في الرسوم النبطية والتدمرية و بقي أثره في الكلمات الآرامية الدخيلة في العربية (انظر بروكلمان "المختصر" ج ا ، ص. 129—130 وانظر كذلك كانتينو "اللغة النبطية" ج ا ، ص. 42—44 و"نحو التدمرية المرقومة" (Grammaire de palmyrénien épigraphique) ص 41—43).

ومخرج الشين في العربية القديمة حسب النحاة العرب كمخرج الحروف

الأدنى حنكية القديمة أي وسط اللسان ووسط الحنك الاعلى : (انظر سيبويه : II ، ص 453، والزمخشري ابن يعيش ج X ، ص. 124).
وقد زعم بعض النحاة أن مخرج الجيم هو من بين مخارج الجيم والشين والياء أدخلها في النم وأن مخرج الياء هو أشدها أمامية وان مخرج الشين مخرج وسط بين مخرج الجيم ومخرج الياء .

ويكاد لا يطرأ على الشين من التغييرات المطلقة شيء فلم يرد من ذلك فيما يظهر إلا قلب الشين سينا في كلمتين من مادة صرفية واحدة ليس غير وذلك قولهم : (رجل) "مسدود" عوض "مشدود" وقولهم "سدّة" عوض "شدة" : (انظر "هول" النحو العربي ج : IV ، ص. 1393 نقلا عن الرضي والأشموني)

وليس التغييرات المقيدة التي تطرأ على الشين بأكثر من التغييرات المطلقة بكثير فلم يأت في القرآن في باب ادغام الشين الا ادغامها في السين (ش س ← سّ) وحتى هذا الادغام الوحيد لم يقرأه الا قارىء واحد هو ابن العلاء. فقد قرأ في السورة : XVII ، الآية : 44 : "إلى ذي العَرِسّبيلا" عوض "ذي العرش سبيلا" بادغام الشين في السين بعد اسقاط حركتها (انظر ابن يعيش : X ؛ ص : 139).

ويعتبر ابدال الشين جيما إذا كانت متبوعة بحرف مجهور على سبيل التقريب نطقا جائزا : نحو قولهم "أَجْدق" في "أَشْدق" (انظر سيبويه : II، ص:452 والزمخشري ابن يعيش ج : X ص 125—127) وهنالك بعض الأمثلة أبدلت فيها الشين تباينا. من ذلك قولهم أحيانا "قلْدة" عوض "قشْدة" وهي عشبة كثيرة اللبن. ويرجع هذا التباين فيما يحتمل الى العهد الذي كانت للشين الحالية فيه صفة الانحراف .

وكلمة "شمس" تمثل مشكلا في هذا السياق. فمن المحتمل أن الصيغة السامية القديمة كانت "شمش" ولكن إحدى هاتين الشينَيْن قد أبدلت منذ عهد قديم جدا في العربية وفي العربية الجنوبية إما "ث" أو حرفا منقلبا عن "ث" وذلك على سبيل التباين.

ففي العربية الجنوبية أبدلت الشين الآخرة فآلت الكلمة الى "شمش"

(ت$_{1}^{ل}$ ← ش) وهي صيغة موجودة في المرقومات. وفي العربية ابدلت الشين الأولى وآلت الكلمة الى "شمس" (ت$_{2}^{ل}$ ← ش وش ← س)

وقد تابع تطور كلمة "شمس" في العربية الدارجة كما سنرى ذلك فيما بعد.

ولم يطرأ على الشين في العربية الدارجة من التغييرات المطلقة إلا شيء قليل. من ذلك نزعة الشين إلى الانقلاب سينا في بعض لهجات الحضر المسلمين (كلهجة الميليا بمقاطعة قسنطينة).

ويُوجد نفس هذا الأمر في كثير من اللهجات اليهودية. نحو لهجة يهود تونس العاصمة : انظر اشتمه (Stumme) "حكايات وأشعار تونسية" (Tunisische Marchen und Gedichte) ص. 52 و72. من ذلك قولهم ما كُنْتِسِي (ma kuntsi) (عوض ما كُنْتشي (ma kuntši) وسُو أدَّ (Su ada) (عوض إشْنُوَّه هذا)(اي ما هذا) ونحو لهجة يهود الجزائر العاصمة : انظر كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" 24—25. ونحو لهجة يهود مدينة فاس انظر بْرُونُو (Brunot) "ملاحظات حول لهجة يهود فاس العربية" وهو فصل صدر في مجلة هسبيريس (Hespéris : 1936، ص : 10).

وأما فيما يتعلق بادغام الشين في السين والصاد والزاي فانظر و. مارسي "لهجة اولاد ابراهيم" ص. 17—18.

ويجوز إبدال الشين سينا تباينا إذا كان في الكلمة حرف مشأشأ آخر وهناك مثال حسن لهذه الظاهرة وهو كلمة "شجرة" الفصيحة فقد صارت هذه الكلمة في كثير من اللهجات الى سَجَرَةْ (saǧara) (براء مفخمة) في الشرق والى سَجْرَه (säǧra) (براء مفخمة) في المغرب العربي، وفيما يتعلق بكيفية توزع صيغتي شَجَرَه (šaǧara) (براء مفخمة) وسَجَرَه (saǧara) بين جنوب سوريا والاردن: انظر كانتينو "لهجات حوران العربية" : الاطلس — الخريطة رقم 13.

وشبيه بهذه الظاهرة ما يقع في كلمة "شِطْرِنْج" إذ تنزع إلى

صيغة : "سَطْرَنْج" (satranǧ) وفي صيغة "شَجِيج" إذ تنزع إلى صيغة "شجيج (sagīᶜ) (انظر بروكلمان "المختصر" ج ١ ، ص. 235 و و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص. 19... الخ)

وأما لفظ "الشمس" فقد تابع في العربية الدارجة سلسلة تغيراته واستحالاته : ففي لهجات المغرب العربي نجد عادة صيغة "سَمْش" (sämš) بتبادل الشأشأة. ولكننا نجد أحيانا وخاصة في اللهجات اليهودية صيغة ابدلت فيها السين الاولى شينا بتأثير الشين الآخرة وذلك تقريب بين منفصلين فآلت الكلمة عندهم الى "شَمْش" (šämš) فبعثت هكذا الصيغة السامية القديمة بعثا جديدا .

3 ـ الياء نصف الحركة

سينظر في الياء فيما بعد عند التعرض الى نصف الحركة الأخرى أي الواو.

الحروف الاقصى حنكية

سبق لنا أن قلنا إنه كان في السامية ثالوث من الحروف الشديدة الظهرية الحنكية وهو : ك ـ ق ـ ڨ

وكان الحرف المفخم من هذا الثالوث أي القاف لهويا أكثر منه أقصى حنكيا.

وقد تفكك هذا الثالوث في العربية القديمة : فقد راينا ان القاف (g) المجهورة قد آلت بصفة مطلقة الى حرف ظهري أدنى حنكي بل والى حرف بين طرف اللسان ومغارز الأسنان اما مليّن أو ذي زيادة رخوة مشأشأة (انظر صفحة : 89) وهكذا فقد خرج هذا الحرف (أي القاف) من الثالوث السامي المذكور ولم يبق في العربية إلا زوج من الحروف متركب من حرفين شديدين هما : ك ـــ ق

أولهما أي الكاف أقصى حنكي مهموس وثانيهما أي القاف حرف لهوي مفخم .

وسندرس هذين الحرفين على التوالي :

١ ـ الكاف الشديدة الأقصى حنكية المهموسة

إن مخرج الكاف حسب النحاة العرب هو "أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الاعلى" : انظر سيبويه، II ، ص. 453 والزمخشري، ابن يعيش ، ج : X ، ص. 123—124 وعلاوة على ذلك فقد حشروه في زمرة الحروف المهموسة الشديدة فهذا الحرف هو إذن وبدون أي شك حرف شديد مهموس أقصى حنكي .

ولا يطرأ على الكاف عادة أي تغيير. الا أن النحاة العرب قد ذكروا منذ عصرهم بعد وجود نطق مستهجن للكاف هو الكاف التي كالجيم نحو "جافر" عوض "كافر" (انظر سيبويه : II ص. 452، والزمخشري، ابن يعيش : X ص. 125—128 وهول "النحو العربي" IV : ص. 1720) ولما كان الكاف حرفا مهموسا والجيم مجهورا فالمفروض ان يكون هذا النطق المذكور هو نطق الكاف "تْشْ" واذن يصير الشاهد "تْشافر" عوض "كافر". وهكذا يستقيم فهمنا لما ذهب إليه سيبويه وابن يعيش عندما وصفا هذا النطق في نفس الفقرة بأنه بين الكاف والجيم. ومهما كان الأمر فان هذا النطق هو تغيير مطلق يطرأ على الكاف فيصيرها "تْشْ". وستجد نفس هذا التغيير في بعض الالسن الدارجة العربية اليوم.

ويشير النحاة العرب إلى جانب ذلك إلى تغيير مشابه هو إبدال الكاف شينا (او "تْشْ") أو ابدالها سينا (أو "تْسْ") إلاّ أن هذا التغيير يختلف عن الأول إذ هو تغيير مقيد وقد أطلق النحاة العرب على هاتين الظاهرتين الصوتيتين اسم "الكشكشة" و "الكسكسة" (١) والكشكشة

---

(١) فيما يتعلق بالكشكشة وبالكسكسة في معنى مخالف تماما اى : قلب الكاف عند الوقف ، كفش ، او ، كس ، انظر ما سيجيء عن هذا فيما بعد .

هي أن يصير ضمير المخاطبة المفردة وهو "كِ" إلى "شْ" أو "شِ" وقد حدث ذلك أولا عند الوقف نحو "ما الذي جاء بش" عوض "بكْ" ثم حدث أيضا في سياق الكلام نحو قراءة بعض القراء "جعل رَبُّشِ (أي ربك) تحتشِ (أي تحتك) سريا". والكشكشة عندهم من خصائص لغة بني تميم وربما كانت أيضا من خصائص لغة بني أسد بل وكامل بني ربيعة .

وأما الكسكسة فعملية قريبة جدا من الكشكشة : فهي ابدال نفس الضمير المتصل "كِ" فيصير "سْ" أو "سِ" سواء عند الوقف أو في السياق نحو "أبوسِ" أي "أبوكِ" و"أمسِ" أي "أمكِ" وهي عندهم من خصائص لغة بني بكر. انظر فيما يتعلق بهاتين الخاصيتين: الزمخشري، ابن يعيش IX ؛ ص. 48–49 والسيوطي "المزهر" I ، ص. 109 والحريري "الدرة" ص. 184–185 وفولرس "لغة الشعب" ص 11–12 وبروكلمان "المختصر :" I ، ص : 206 .

وأما سبب إبدال "كِ" "شْ" او "شِ" فواضح : فقد أصبحت الكاف أدنى حنكية من جراء جوار الكسرة فأصبحت ملينة بياء خفيفة "كْ ي" ثم صارت "تْ ي" ثم "تْ شْ" ثم آلت في النهاية الى "شْ" حسب تطور شبيه بالتطور الذي سبق لنا أن رأيناه بخصوص القاف (g) السامية القديمة التي صارت في العربية الى "دْ جْ" ثم الى "ج" (تونسية)

وليس تطور كهذا التطور بنادر : فنرى في كثير من اللغات أن الحروف الشديدة الحنكية من شأنها أن تتغير فتبدل "تْشْ" أو "شْ" أو "تْسْ" و"سْ" إذا كانت بجوار حركات من وسط الحنك أو من أدناه : من ذلك الكاف في اللاتينية ففي جميع اللغات الرومنيّة أي المتفرعة عن اللاتينية تبدل هذه الكاف إذا كانت بجوار الكسرة (i) أو الفتحة الممالة إمالة شديدة (e) أو حتى الفتحة العادية (a) نحو كلمة "كيرامْ" (Ceram) في اللاتينية ومعناها الشمع فقد آلت في الايطالية الى : "تشيرا" (Cera) وفي الفرنسية الى "سيرْ" (cire) ونحو كلمة "كينرامْ" (Cinerem) اللاتينية (أي الرماد) فقد آلت في الايطالية إلى:

"تشنري" (Cenere) وفي الفرنسية الى "سانْدْرْ" (Cendre)
وكذلك كلمة "كَنَـام" (Canem)في اللاتينية (أي الكلب) فقد آلت
في الفرنسية الى "شيـان" (chien).

وقد يدغم الكاف في قاف تليه فيجوز قراءة "اذا خرجوا من عِنْدِ
قالوا " (باسقاط الحركة) عوض "اذا خرجوا من عِنْدِكَ قالوا (قرآن
سورة : XLVII ، آية : 18) ذكره الزمخشري، وابن يعيش، X ،
ص. 139، الا أن عدم الادغام في هذه الآية أحسن عندهم من الادغام.
ويطرأ على الكاف في الالسن الدارجة العربية أيضا تغييرات مطلقة ومقيدة
فالتغييرات المطلقة: هي التي تطرأ على الكاف مهما كان الجوار الصوتي
حركات وحروفا. وسببها تقدم مخرج الكاف فيصير أدنى حنكيا بعد أن
كان في أقصى الحنك وينتج عن هذا التقدم تعرض الكاف لعمليات
صوتية مختلفة من تليينه الى دخول الزوائد الرخوة عليه الى ارتخائه تماما.

ونجد عمليات من هذا النوع — وهي عمليات نجهل أسبابها الاصلية
جهلا — نجدها في الشرق بوسط فلسطين (انظر برقشتراسر : "الأطلس
اللغوي" — الخريطة رقم 3. ولا يفرق المؤلف في هذه الخريطة بين
دخول الزوائد الرخوة على الكاف بصفة مطلقة ودخولها عليه بصفة
مقيدة) ونجدها كذلك في قريتين بجنوب سوريا هما : تشناتشر
(Čanačer) وزاتشيه (Začye) وفي واحة سخنه (Suḫne)
بصحراء سوريا من ذلك قولهم "رِتْشْبَة (ročbe) في "ركبة" و"تْشُرْسِ"
(čorsi) في "كرسي" و"دَارْتْشُو" (dārčo) في "داركُم"...الخ
ونوجد أمثلة من هذا النوع في منطقتين من مناطق الجزائر أيضا هما :
أولا : منطقة القبائل الصغرى (La petite Kabylie) المسماة أيضا قبائل
البابور (Kabylie des Babors) أي القسم الناطق بالعربية من دائرة بلدية
واد مرسى ودوائر بلديات دجيجلي وطاهر والميليا وما يليها جنوبا من
دوائر بلديات ذات التصرف الفرنسي البحت وكذلك القسم الغربي من دائرة
بلدية كُلُّو (Collo) وكذلك الاقسام الشمالية من دائرتي بلديتي فج مزالة
وتَكْتُونْت. وثانيا منطقة الجبال الواقعة شمالي تلمسان (أي قبيلتا
"المسيردة" و"الطرارة القديمتان) وأخيرا لهجات اليهود بتلمسان ووهران.

ففي القبائل الصغرى تبدل الكاف "تْشْ" مطلقا فلُوتْشَة (Flūča) (فلوكة) وبُوتْشْ (Būč) (ابوك) وناتْشُلْ (naččol) (نأكـل) اي (آكل) وأما عند قبيلتَيْ المسيردة والطرارة فان الكاف تصير بخلاف ذلك إلى حرف رخو أدنى حنكي شبيه بالشين يرمز إليه بـ (ç)(وهو الـ (ch) في الالمانية (Ich) (١) أي (أنا) نحو قولهم "فلُوشَة" (flūça) وبُوشْ (būç) وناشُلْ (nāçōl) بهذه الشين الخاصة

واما في اللهجات الاخرى كلهجات يهود قسنطينة مثلا فإن مخرج الكاف يتقدم فيها كثيرا إلى أدنى الحنك ويطرأ عليه شيء من التليين ولكن بدون أن يتغير الكاف أو يبدل حرفا آخرا.

وأما سبب هذا الإختلاف في نطق الكاف فيجدر البحث عنه في كون التغير القديم الوحيد الذي طرأ على هذا الحرف هو تقدم مخرجه فقط ثم يمكن أن تكون التغييرات التابعة الاخرى التي طرأت عليه بعد أن أصبح نطقه أدنى حنكيا قد وقعت بصفة مستقلة ومن جراء تأثيرات مختلفة: فيمكن مثلا إعزاء الشين الخاصة بالمسيردة والطرارة إلى تأثير الطبقة اللغوية السفلى وهي اللغة البربرية .

وأما التغييرات المقيدة التي تطرأ على الكاف فهي التغييرات الناتجة عن جوار الحركات الأمامية وهي الكسرة والفتحة الممالة امالة خفيفة (ä) والفتحة الممالة امالة شديدة (e) وهذه التغييرات من نوعين إما ابدال الكاف "تْشْ" أو إبدالها "تسْ". ويختلف انتشار هذه الظاهرة فيقل ويكثر وحدوثها محدود بعمان وباليمن إذ لا تطرأ إلا على ضمير المخاطبة المفردة أي "كِ" (كما في الكشكشة والكسكسة اللتين ذكرهما النحاة القدامى) وإذا تبقى الكاف فيما عدا ذلك سالمة خالصة.

وفي لهجات الفلاحين الأردنيين يبدل عدد لا بأس به من الكافات "تْشْ" إذا كانت بجوار الكسرة أو الفتحة الممالة إمالة شديدة (e) أو خفيفة (ä) إلا أن بعض الكافات تبقى سالمة لا تتغير في نفس

---

(١) توضيح من المترجم .

ذلك الجوار الصوتي في حين ان بعض الكافات القديمة تبدل "تش" اذا كانت بالعكس بجوار الضمة (u)أو الضمة نصف المغلقة (o) أو الفتحة (الخلفية أو الوسطية) (ɑ) ويبدو أن هذه الظاهرة قد ضبط استعمالها داخل كل مادة من المواد الصرفية بتأثير عمليات قياسية ذلك أنهم يقولون في الجمع "ديوتش" (dyūč) قياسا على المفرد "ديتش" (dīč) ويقولون "كان" (kān) قياسا على المضارع "يكون" (ikūn)فينبغي علينا ان نقرر وجود صوتين (1) متباينين هما "تش" والكاف في اللهجات التي من هذا القبيل.

وبخلاف ذلك فإن تغيير الكاف في مجموعة اللهجات الضخمة التي سميتها "لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية" قد انتشر انتشارا كبيرا فتبدل الكاف في هذه اللهجات كلما كانت بجوار الكسرة (i) أو الفتحة الممالة امالة شديدة (e) أو خفيفة (ä) بدون حدوث تأثيرات صرفية قياسية ترمم بناء الكلمات الصوتي. من ذلك قولهم في "كرش" (وهي معدة الحيوان المجتر) "تشرش" (čarš) الا انها تجمع على على "كراش" (krāš) (بتفخيم الراء) أو "كروش" (krūš) (بتفخيم الراء أيضا) وقولهم في ركب "رتشب" (rečeb) الا ان مضارعها "يركب" (yirkab) وهكذا فان "تش" هي مجرد عوض تعاملي (variante combinatoire) من الكاف وتكون مع الكاف صوتا واحدا.

وأما دخول الزائدة الرخوة على الكاف فيتولد عنه عند بني عنز وبني شمر حرف "تس" وفي سائر اللهجات حرف "تش" نحو "تسف" (ċaff) و"تشف" (čaff) أي كف ولكن جمعها كفوف (kfūf)بالكاف ونحو "تسيس" (ċīs) و"تشيش" (čīš) أي كيس ونحو "تستف" (ċetᵉf) وتشتف (četef) اي كتف. ولكن جمعها كتوف (ktūf) بالكاف ونحو "رتسب" (reċeb) و"رتشب" (rečeb) اي ركب ولكن مضارعها "يركب" (yirkab) بالكاف ونحو "ديتس" (dīċ)

(1) اي phonèmes

و"دِيتْش" (dīč) أي ديك ولكنها تجمع على "ديوك" (dyūk) بالكاف ... الخ (انظر "كانتينو" دراسات في بعض اللهجات العربية عند البدو، : I ، ص 27—30 و II ، 23—28).

وقد تكون الكاف المتحركة في بعض اللهجات العربية متبوعة بزائدة شفوية أي بواو خفيفة من ذلك ما أشار اليه و. مارسي في كتابه "أولاد ابراهيم في مدينة صيدا" ص.14 وذلك قولهم "لُوكْوَانْ" (lūkʷan) (بواو خفيفة بعد الكاف) إلى جانب لُوكَانْ (lūkan) أي "إذا" أو "لَوْ" وقولهم "شْكَاوْرَه" (škāʷra) (بواو خفيفة بعد الكاف) إلى جانب شْكَارَة (škāra) أي كِيسْ. وقد لاحظت بنفسي بمدينة تدمر انهم يقولون "كْوُرْ" (kʷurr) أي حمار صغير الى جانب "كُرّ" (kurr) (انظر كانتينو" لهجة تدمر : I ،ص. 61. وتوجد أمثلة من هذا القبيل بالمغرب الاقصى : انظر بروكلمان "المختصر ؛ : I ، ص 208)

والأمثلة التي تدغم فيها الكاف في حرف مجاور قليلة العدد نسبيا قد تدغم الكاف في القاف (g) هكذا (ك ق ← قّ) وقد تدغم الكاف في القاف هكذا أيضا (ك ق ← قّ) وقد تدغم القاف في الكاف (ق ك ← قّ) : انظر و. مارسي "تلمسان" ص. 25 وشتمه (Stumme) "العربية التونسية" (Tunisische Arabisch) ص. 2. وقد يبدل الكاف قافا (g) فيصير مجهورا إذا كان متبوعا بحرف مجهور نحو يكْذِبْ (yikdeb) ← "يقْذِبْ (yigdeb) (أي يَكْذِبُ).

وقد تبدل الكاف بعد الراء قافا (g) (ر ك ← رق) في بعض الكلمات القليلة المنعزلة : انظر م. كوهين "يهود الجزائر العاصمة" ص. 72 و 81.

2 — القاف الشديدة اللهوية المفخمة

لقد عرف سيبويه (II ، ص 453) مخرج القاف هكذا : "من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى" أي أن أصل اللسان ينطبق على غشاء الحنك. ولما كان هذا الغشاء رخوا نتج عن ذلك أن شدة هذا

الحرف ليست كاملة ولذلك كان نطق القاف مصحوبا بصوت خاص وقد رتب سيبويه والزمخشري القاف في عداد الحروف المجهورة : فيظهر إذن أنهما كانا يعتبرانه مجهورا بمعنى مَسْرُور (sonore) (انظر ما جاء في هذا صفحة 38) ولكن نطق القاف التقليدي في العربية الفصحى اليوم هو نطقه مهموسا بمعنى "مَسْرُود" (sourde) .

وبما أن قسما كبيرا من الألسن الدارجة العربية كما سنرى ذلك فيما بعد، ينطق أصحابها بقاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والترجيح بأن القاف كان فعلا حرفا مجهورا في العربية القديمة. ويمكن أن يكون نطقه مهموسا في العربية الفصحى اليوم ناتجا عن كونه أصبح مهموسا في اللهجات الحضرية المدنية لأن أغلبية المثقفين اليوم هم من أصل مدني .

وكثيرا ما يذهب النحاة الأوروبيون إلى أن في نطق القاف شدّة ثانية (مصاحبة للشدّة الاولى) تحصل بغلق رأس قصبة الرئة (من ذلك قول و. مارسي في "أولاد ابراهيم" ص. 12).

وقولهم هذا محتمل وان لم يقيموا عليه البرهان القاطع وبه يمكن تفسير انتقال هذا الحرف من الجهر إلى الهمس إذ أن كل اغلاق لرأس القصبة يحول دون ارتعاش الاوتار الصوتية ويؤدي إلى نقيض الجهر.

وكثيرا ما يعتبر النحاة الاوروبيون القاف حرفا مفخما (emphatique) الا أن الملاحظ أن النحاة العرب لم يعتبروه حرفا "مطبقا" على أن سيبويه (" ، ص 285) يذكر هذا الحرف في زمرة الحروف المانعة لا مالة الألف أي الحروف المستعلية أو المفخمة .

وان ما ذكره العرب من التغييرات المطلقة التي تطرأ على القاف قليل. وستحدث بعد هذا حين يأتي الكلام عن الألسن الدارجة العصرية عن نطق القاف وسطا بين القاف والكاف. وهنالك كلمة ترددوا فيها بين القاف والكاف وهي قولهم عربي "قُحّ" أو "كُحّ" (انظر هول النحو العربي، ١٧ ، 1195) .

ويدغم القاف في الكاف الساكنة أو المتحركة إذا وقعت بعده من ذلك قراءتهم "خَلَكُّلَّ دَابَّة" (باسقاط الحركة) عوض "خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ" قرآن : XXIV ، 44)

وأما الألسن الدارجة العربية العصرية فإن نطق القاف بها هام جدا فيما يتعلق بترتيبها ولنضع أولا مبدأ أولا (وهو مبدأ معترف بصحته منذ زمن طويل : انظر مثلا و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص. 12—13. و "تكرونة" ص. XX) وهو الآتي : إن اللهجات التي صار القاف القديم فيها حرفا مهموسا (أي القاف أو الكاف المفخمة أو الكاف أو الهمزة انظر أسفل هذا) لهجات حضرية .

وبخلاف ذلك فإن اللهجات التي صار القاف القديم فيها حرفا مجهورا (أي الغين أو القاف (g) أو "دْجْ" أو "دْزْ"... الخ. انظر أسفل هذا) هي لهجات بدوية. ولم يشذ عن هذا المبدإ شيء شذوذا حقيقيا. فلئن وجدنا عند البدو بشمال افريقيا بعض الكلمات التي جاء فيها قاف مهموس نحو "قْرَا" (qrā) (قرأ) وقُلْمْ (qulm) (قَلَم) وبقى (bqā) (أي بقي).. الخ فإن هذه الكلمات هي فيما يظهر دخيلة عندهم اقترضوها إما من اللغة الفصحى أو من لغة المدن (انظر و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص. 12—13) ولئن وجدنا كذلك في جميع اللهجات الحضرية بافريقيا الشمالية بعض المفردات القليلة التي تنطق بقاف مجهور (g) نحو قولهم "بَقْرَة" (bagra) (بقرة) "وقْنين" (gnīn) (أي أرنب) وقُرْبَه (görba) (قِرْبَة)... الخ فإنما ذلك راجع إلى أن تلك المفردات هي فيما يظهر دخيلة عندهم اقترضوها من اللهجات الريفية) وانظر (و. مارسي "تلمسان" ص 17 و م. كوهين "يهود مدينة الجزائر" ص 46—50) فبان بهذا أن هذه الكلمات ليست من النوع الحقيقية .

1 — اللهجات التي تعد فيها حرف مهموس :

وهذه اللهجات ... هي دائما لهجات حضرية (ونرمز اليها بـ: لهجات "ح") وبـ... إلى ثلاثة أقسام : أولها ينطق أصحابه القاف قافا وثانيها هي إما كافا مفخمة أو كافا عادية

وتمتد اللهجات التي القاف فيها حرف لهوي أي قافا (ونرمز اليها بلهجات "ح ا") تمتد على مساحات لا بأس بكبرها وخاصة بسوريا وبشمال افريقيا : من ذلك الساحل التونسي ومدينتا تونس وقسنطينة وقسم هام من المنطقة الحضرية بمقاطعة قسنطينة ويحد هذه المنطقة خط ينطلق بعد رأس الحديد (Cap de Fer) بقليل ويمر بجماب(Jemmapes) وبكندي سمندو (Condé Smendou) وبيزو (Bizot) ورُفاش (Rouffach) وميلا (Mila) وفج مزاله (Fedj Mzala) وشوفروي (Chevreuil) ويبلغ قريبا من شوفروي هذه حدود اللغة القبائلية : وخاصة القسم الاكبر من دائرة سكيكدة ينطق أهله هذا الحرف قافا (انظر كانتينو "اللهجات العربية بمقاطعة قسنطينة : الخريطة) .

وأما في مقاطعة مدينة الجزائر فإن نطق هذا الحرف قافا موجود عند السكان المسلمين بمدينة الجزائر وعند أهل شرشل وتدليس والبليدة ومليانة ومدية وتنس أي بأقدم مدن تلك المقاطعة .

وأما في مقاطعة وهران فلا يكاد يوجد القاف إلا بمدينة مستغانم. وأما بالمغرب الأقصى فإن نطق هذا الحرف قافا موجود في أغلبية اللهجات الحضرية (انظر فيما يتعلق بانتشار مدى هذه اللهجات جغرافيا الخريطة اللغوية" الموجودة بـ "أطلس المغرب الاقصى" لـ : ج. س. كولين (G. S. Colin).

وأما اللهجات التي صارت القاف فيها إلى مجرد همزة تنطق بغلق رأس قصبة الرئة فلهجات مدنية في أكثرها : وخاصة لهجات حلب واللاذقية وحماه وحمص ودمشق وطرابلس وبيروت وصيدا وصفد وحيفا ويافا وبيت المقدس وحبرون وغزة والاسكندرية والقاهرة والقسم اليهودي من مدينة الجزائر والقسم المسلم من تلمسان وفاس. ولكن هذه اللهجات مدنية فقط. ذلك أن أكثر سكان الجبال بلبنان تنطق القاف عندهم همزة (انظر برقشترامسر : "الاطلس اللغوي" الخريطة رقم 4) وقد أطلقنا على هذه اللهجات "لهجات ح ا". ...

وأخيرا فإن اللهجات التي تنطق القاف فيها كافا أعني حكية (أي

لهجات ح 2) هي نفس اللهجات التي بتغير الكاف فيها بصفة مطلقة غير مقيدة : فكما أن الكاف الاقصى حنكية قد صارت أدنى حنكية عندهم كذلك نرى القاف اللهوية قد صارت كافا حنكية حسب تطور مماثل لتطور الأول أي تقدم المخرج إلى الأمام. من ذلك قولهم كَلْبْ (ḱalb) في قَلْب وكَال (kāl) في قَالَ وركْبه (rakba) وَرَكَبه (rakaba) في رَقَبة... الخ.

وهذه اللهجات هي لهجات الحضر بفلسطين (انظر برقشتراسر "الاطلس اللغوي" – الخريطة رقم 4) ولهجات قربتي تشناتشر (Canacer) وزاتشيه (Zacye) وواحة سُخْنَة بسوريا والقبائل الصغرى والمسيردة والطارارة بشمال تلمسان . .

ب) اللهجات التي القاف فيها مجهورة اي كالقاف (g) وهي كما سبقنا لهجات بدوية.

ونجد عند قسم أول من هذه اللهجات قافا خلفية جدا قريبة من اللهوية إلا انّها لاتظهر في جميع المواقع الصوتية. وهذه اللهجات قليلة نوعا ما. نجد البعض منها بشمال الجزيرة العربية وبالجنوب التونسي : انظر و. مارسي "نصوص من حامة قابس" ص. 199. وانظر كانتينو "لهجات البدو" II ص. 23 .

وهناك قسم ثان من هذه اللهجات نجد فيه قافا أقصى حنكية في جميع المواقع الصوتية. وهي بدون شك اللهجات التي أشار اليها السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه عند كلامه عن القاف التي بين القاف والكاف. انظر كذلك ما يقوله ابن خلدون في هذا السياق في "المقدمة" طبعه كاترومار (Quatremère) III ص. 302–305 في فقرة شهيرة يتحدث فيها عن نطق القاف نطقا خاصا عند العرب الرحل من قبيلة مضر وكيف أنهم امتازوا بهذا النطق دون سائر سكان الحضر. ويشمل هذا القسم من اللهجات بالشرق فلاحي حوران والاردن وهم من البدو الرحل في السابق وكذلك بدون شك قسما هاما من سكان اليمن وعمان وبالمغرب جميع اللهجات البدوية بالجزائر والمغرب الاقصى .

وهنالك قسم ثالث من هذه اللهجات وهو لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية وقد طرأت على نطق القاف في هذه اللهجات عملية صوتية موازية تماما لما طرأ على الكاف فيها من عمليات صوتية. أي أن القاف يبقى قافا بجوار الحركات الخلفية أي الضمة (u) والضمة نصف المنغلقة (o) والفتحة الخلفية (a) وتطرأ عليه تغييرات مقيدة إذا كان بجوار الحركات الأمامية أي الكسرة والفتحة الممالة إمالة شديدة (e) وخفيفة (ä) فيبدل بزيادة زائدة رخوة أي انه يصير "دْجْ" وذلك عند صغار البدو الرحل (Petits Nomades) بسوريا وما بين النهرين ويبدل "دْزْ" عند كبار القبائل العربية كبني عنز وشمر. ويشعر الناطقون بهذين الحرفين الشديدين ذوي الزائدتين الرخوتين بانهما مجرد عوضين تعامليين من القاف (g) وانهما يكونان معه صوتا (ا) واحدا فيقولون في هذه اللهجات مثلا "بْرِيدْجْ" (brīğ) و"بريدز" (brīǵ) (أي إبْرِيقٌ) ويجمعونه على بُرقان (borgān) (بالقاف) و"عَدْجِبْ" (ᶜağeb) وعَدْزِبْ (ᶜaǵeb) (اي عَقِبٌ) ولكنهم يجمعونه على أعْقَابْ (aᶜgāb) وعقُوبْ (ᶜögūb) (بالقاف) و"دْجِدِرْ" (ğeder) و "دْزِدِرْ" (ǵeder) (اي قَدَرٌ) ولكن المضارع عندهم يَقْدر (yögdar) (بالقاف) ... الخ انظر فيما يتعلق بهذه المسألة كانتينو "لهجات البدو" I ص، 29—39 و II ، ص 25—28)

وقد يبدل الحرف القديم كافا تباينا إذا كان متبوعا بتاء مثل ذلك قتل في كثير من اللهجات الشرقية أو المغربية فقد صار في الشرق كَتَل (katal) وفي المغرب العربي كْتَلْ (ktäl) ومن ذلك أيضا "قَتَبْ" وهو الرحل فقد صارت كَتَبْ (katab) في لهجات حوران وتْشِتَبْ (ćätab) وتْشَتَبْ (čätab) في لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية. ومنه أيضا كلمة "وَقْتٌ" فقد صارت "وَكِتْ" (wakᶦt) (أي بكسرة خفيفة بعد الكاف الساكنة) في بعض لهجات العراق (انظر بروكلمان "المختصر" ص 163) ومن ذلك أيضا المفردات المختلفة التي بمعنى "الآن" والتي نجدها بالمغرب العربي نحو قولهم "دُرْوُكْ" (dörwok) في مدينة الجزائر و"ظَرْكْ" (ḏark) و"ظَرْوكْ" (ḏarwok) بالارباع (Arbāᶜ) ونحو قول أولاد ابراهيم "ذَاكِلْوُكْتْ" (ḏākelwokt) و"ضَرْوُكْ" (ḍarwok) ... الخ.

(1) أي: phonème

ونجد في لهجات المغرب العربي الحضرية منها والبدوية إلى جانب قاف الفصيح صوتين مختلفين قاف لهوى مهموس وقاف (g) أقصى حنكي. وصوت واحد من هذين الصوتين (القاف عند الحضر والقاف عند البدو يمثل طبعا في اللهجات المذكورة التطور الصوتي العادي للقاف القديم. ولا يظهر الصوت الثاني إلا في الكلمات الدخيلة. فنتج عن هذا تواجد صيغ مزدوجة وأزواج من المفردات يكون في احداها قاف وفي أخراها قاف (g) ويختلف معناهما. من ذلك "بْڨُرَه" (bögra) أي الحيوان المعروف و"بَقْرَه" (baqra) في السورة القرآنية عدد 2، ومنه أيضا ڨُبَّه (gubba) (أي قبة) وقُبَّه (qobba) (أي مقصورة) ونحو "شَرْڨ" (šerg) (أي شرق) (و"شَرْق" (šörq) (أي الحج) ... الخ (1)انظر (و. مارسي "تلمسان" ص. 17.) ومنه قولهم "ڨْلَبْ" (gleb) (أي تقيأ) و"قْلَبْ" (qleb) (أي قلب) و"بْڨَى" (bgā) (اي أنهكه التعب) و"بْقَى" (bqā) (اي بقي) وڨْدَرْ (gder) (أي قوي وسمن) و"قْدَرْ" (qdör) (أي قدر) و"وُرْڨَه" (worga) (أي ورقة الشجرة) و"وُرْقَه" (worqa) (أي ورقة من الكاغذ)... الخ (2) انظر(و. مارسي "أولاد ابراهيم ص 13.) وخلافا لذلك فإنه يظهر أن حدوث مثل هذه المزدوجات لا وجود له في اللهجات الشرقية : وكل ما يوجد في هذه اللهجات هو إما القاف وحدها (q) أو القاف وحدها (g) وذلك بحسب كون اللهجة المعنية حضرية أو بدوية.

وسنرى فيما سيأتي بعد هذا عند التعرض للغين أمثلة أبدلت فيها القاف غينا. ونكتفي هنا بذكر مثال واحد من هذه الأمثلة وهو فعل قدر : "يقْدَر" في الفصحى فكثيرا ما يصير في سوريا "غْدِرْ" (ġeder) بِغْدَرْ (byiġdār) بإبدال القاف غينا (انظر مثلا كانتينو "لهجات حوران العربية" — الأطلس الخريطة عدد 38)

---

(1) لقد سبق لنا أن رأينا (صفحة 95) أن بعض القافات قد تكون متولدة عن الجيم أيضا .

(2) ومن الملاحظ أن أصل بعض القافات فى بعض لهجات بدو الصحراء الجزائرية والموريطانية هو حرف الغين . انظر أسفله ص : 115

الحروف الرخوة اللهوية

من المحتمل جدا فيما يبدو أن تكون السامية قد احتوت على حرفين رخوين لهويين أحدهما مهموس والثاني مجهور وهما : خ — غ

وقد احتوت العربية القديمة على هذين الحرفين بالضبط وهما حرفي السامية المذكورين أعلاه تماما إلا أن عالما من علماء الاصوات وهو رُوجِتْشكا (Růžička) قد ذهب (وذلك خاصة في فصل له بعنوان "تناوب العين والغين في العربية" : « L'alternance de "ع – غ" en arabe » اصدره في الجريدة الاسيوية (Journal asiatique) 1932، II ، ص. 67). قد ذهب قلنا إلى أن حرف الغين لم يكن موجودا في السامية وأنه قد نشأ في العربية منقلبا عن العين. أي أن عددا ما من العينات قد صارت غينات لو أن الغين لم تكن الانطقا خاصا نطقوا به العين. وقد ذكر هذا العالم تدعيما لفكرته بعض الصيغ المزدوجة مثل "عَبَثَ" أي مزج وخلط و"غَبَثَ" أي مزج جُبْنا طريا بالزبدة ومثل "عَسَرَ" أي ألحّ على مَدِينِه و"غَسَرَ" بنفس المعنى. ومثل "عَمِيقٌ" في الفصحى : بعيد القعر و"غَمِيق" في الدارجة بنفس المعنى... الخ الا أن وجود مثل هذه الصيغ المزدوجة لا يكفي عندنا لاقامة البرهان على أن الغين كان حرفا ثانويا.

ويقول سيبويه (II ، ص. 453) إن مخرج الخاء والغين هو "الجزء الحلقي الادنى الى الفم" ويعبر الزمخشري وابن يعيش عن ذلك بنفس العبارة الا أنهما يضيفان أن مخرج الخاء أدنى إلى الفم من مخرج الغين. وفي الحقيقة فان هذين الصوتين يقرعان بدعك الهواء الصاعد من الصدر بين غشاء الحنك وأقصى اللسان والخاء مهموسة بينما الغين مجهورة.

والتغييرات المطلقة التي ذكرها النحاة العرب بخصوص الخاء والغين قليلة العدد. منها إبدال الخاء غينا والغين خاء في بعض الكلمات المنعزلة نحو "أَخَنّ" فيمن يتكلّم بأنفه وهي صيغة قد تكون صيغة ثانوية لـ : "أَغَنّ" بنفس المعنى. ونحو عبارة : "مرّ يَخْطُر بيَدَيه" اي يحرك يديه فقد يكون هذا الفعل فيها أي غطر صيغة ثانوية له : "خَطَر" بنفس

المعنى ومنها ايضا جواز إبدال الخاء حاء أحيانا في الشعر لضرورة القافية : انظر هول (Howell) النحو العربي، ١٧ ، ص. 1194 — 1195. ومنها كذلك ابدال الخاء والغين همزة فيما يبدو في كلمتي "صَرَأَ" أي استجد وهي صيغة ثانوية لـ "صَرَخَ" بنفس المعنى. و "رَأَنَه" أي تمتع بالاستماع اليه وهي موضوعة موضع "رَغَنه" : انظر هول "النحو العربي"، ١٧ ، ص. 1236.

وأما التغييرات المقيدة فقليلة ايضا نذكر منها فقط ادغام الخاء في الغين (خ غ ← غّ) وادغام الغين في الخاء (غ خ ← خّ) من ذلك ما أجازوه من قراءة "أَدْمَغّ خَلْقًا" عوض (اِدمغْ خلقا) و "اسْلَغْ غَنَمَك" عوض (اِسْلَخْ غَنَمَك).

وقد بقيت الخاء والغين سالمتين عادة في الالسن الدارجة العربية العصرية الا أن الغين في بعضها قد يطرأ عليها تغيير ذو بال فقد يصير هذا الحرف الرخو اللهوي المجهور حرفا شديدا لهويا مهموسا اي قافا وذلك بصفة غير مقيدة، ويحدث هذا الابدال من جهة في بعض لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية كلهجة رُقّه (Rögga) الواقعة على الفرات الاوسط وكلهجة قبيلة الموالي (انظر كانتينو : اللهجات البدوية، ا ، ص. 39—40 و اا ، ص 28) ومن جهة أخرى يحدث هذا الإبدال في أغلبية لهجات الصحراء الجزائرية أي في منطقة شاسعة يحدها شرقا واد "رِيغ" وشمالا خط يجانب جبل الهدنه (Le Hodna) جنوبا ثم يتصعد نحو الشمال حتى بُويرَة (Bouïra) ثم ينحرف نحو الجنوب الغربي فيمر بين برّوَغية (Berrouaghia) وبُغاري (Boghari) ثم يتبع المنحدرات الجنوبية من جبال الورسنيس (L'Ouarsenis) ثم منخفض شط الشرقي ثم يتوجه نحو الجنوب فيساير تقريبا حدود قلبي جريبيل (Géryville) ومشرية (Mécheria) ثم يعبر الاطلس الصحراوي بجهة عين صفراء ثم ينفذ الى الصحراء متجها نحو الجنوب الغربي ففي هذه المنطقة تنزع جميع الغينات القديمة الى الانقلاب قافات : من ذلك قولهم هناك "قْلَم" (qläm) عوض "غْلَم" (أي غنم) و "صْقير" (sqēr) (أي صغير) و "قَابَة" (qāba) (أي غابة)

و"قالي" (qāli) (أي غالي) و"قزو"(qazw) (أي غزو) و"قراب" (qrāb) (أي غـراب) ... الـخ.

ويبدو أن هذه المنطقة التي تصير الغين فيها قافا آخذة في الامتداد غربي الصحراء الجزائرية وفي ضم الصحراء الجنوبية من المغرب الاقصى وموريطانيا. (قارن بما جاء في فصل ج. س كولين (G. S. Colin) بعنوان "موريـتانكا"(« Mauritanica ») الصادر بمجلة هـيبريس (Hespéris). XI (1930) ص. 133 و 138).

وأما القافات القديمة التي بقيت في هذه اللهجات فتنزع بالعكس إلى الانقلاب غينات وكأن هذا الأبدال ظاهرة لاعـادة التوازن في اللغة وربما كانت ناتجة عن عمليات ارجاع حديثة العهد ارجعت بها الغين الى اللغة فكثيرا ما سمعناهم يقولـون "الغائد" عوض القائد" و"عبد الغادر" عوض "عبد القادر" وغليل" (glīl) عوض "قليل" أي قليلا وفي التزر و"غفل" (ġfel) عوض "قفل" أي قفـل .

وأما في اللهجة المالطية فقد أبدلت الخاء القديمة حاء والغين القديمة عينا وذلك بتأثير الطبقة اللغوية البونيقية السفلى فيما يظهر : نحو "حدم" (ḥadem, yaḥdem) (في خدم يخدم) و"حمس" (ḥames) (في خمسة) و"حك" (ḥuk) (في أخوك)... الخ ونحو "بعل" (baᶜal) (في بغل) و"عد" (ᶜada) (في غدا) و"عان" (ᶜāni) (في غني)...

وقد عثر على عمليات من نفس القبيل، ولكن فيما يتعلق بابدال الغين عينا فقط في لهجات دثينة (بجنوب الجزيرة العربية) ولا يطرأ على الخاء والغين في الالسن الدارجة العربية من التغييرات المقيدة إلا شيء قليل. وتتمثل هذه التغييرات خاصة في الادغـام نحو قولهم بتلمسان "فرخ خصو"(ferreḫ ḫösstˢu) عوض "فرغ خصو"(أي افرغ اناء وضوئه) وقولهم "فرخا" (ferreḫḫa) عوض فرغها (أي أفرغها) وقولهم "فرخ خزالها" (ferḫḫzalha) عوض "فرخ غزالها" (أي ولد غزالها) : انظر و. مارسي "تلـمسان ص. 26. ومما ينبغي الاشارة اليه أيضا جواز انتقال الغين إلى للهمس اذا كانت قبل حرف مهموس :

نحو قولهم في تونس العاصمة "يَخْسْلُو" (yaḫslu) في "يَغْسِلُو" (yaġslu) (أي يغسله) وقولهم كذلك في اللهجة المالطية "تَخْسِيل" (taḫsil) (أي الغَسيل) وبتلمسان "خْسِل" (ḫsel) (اي غسل) : انظر بروكلمان "المختصر" I ، ص 162.

الحروف الرخوة التي من وسط الحلق

كان في السامية حرفان رخوان من وسط الحلق أحدهما مهموس والثاني مجهور وهما : ح – ع وهذا نالصوتان نادران في المجموعات اللغوية غير السامية .فهما إذن من الخصائص الصوتية البارزة التي كان نظام حروف اللغة السامية يمتاز بها .

وقد احتوت العربية القديمة على نفس هذين الحرفين الرخوين اللذين من وسط الحلق بالضبط وهما يمثلان فيها حرفي السامية المذكورين.

ويذكر سيبويه (II ، ص 453) والزمخشري، ابن يعيش (X ، ص 123–124) أن مخرج هذين الصوتين هو "وسط الحلق" وفعلا فإن هذين الصوتين يقرعان بدعك الهواء الصاعد من الصدر بين جوانب وسط الحلق (pharynx) منقبضة انقباضا شديدا : فهما إذن وفعلا "حرفان رخوان يقرعان من وسط الحلق" (spirantes pharyngales) في عرفنا. والحاء مهموسة (sourde) بينما العين مجهورة (sonore)

ولم يشر النحاة القدامى إلا إلى عدد قليل من التغييرات المطلقة التي تطرأ على الحاء والعين من ذلك – فيما يبدو – أن العين قد أبدلت حاء في المثالين التاليين : "رُبَح" عوض "رُبَع" وهو الفصيل ينتج في الربيع (أو في الخريف) و "ذَبَح" عوض "ذَبَع" تقال في الفرس إذا لهث وهو يجري. وكذلك أبدلت العين همزة في قولهم "أُباب" عوض "عُباب" وهو الموج المتضخم (وهو من بيت ذكره الزمخشري، ابن يعيش، X ، ص 15–16) وأبدلت العين غينا في "لَغَن" عوض "لعن" من بيت للفرزدق (انظر هول "النحو العربي"، ١٧ ، ص 1390) : ويحسن مقارنة هذا

المثال بأمثلة الصيغ المزدوجة التي أبدلت فيها الغين عينا والمذكورة أعلاه.

وثمة عدة أمثلة يظهر أن الحاء قد أبدلت فيها هاء نحو "طَهَرَ" في "طَحَرَ" أي أبعد ونحى. ونحو "مَدَهَ" في "مَدَحَ" (انظر هول "النحو العربي"، ١٧ . ص 1366) .

وأما التغييرات المقيدة الطارئة على الحاء والعين فليست أكثر بكثير من التغييرات المطلقة. وتنحصر في بعض عمليات الادغام من ذلك :

ع ح ← حّ : نحو "ارفَحّاتِما" في ارفَعْ حاتِماً" ونحو قراءة ابن العلاء "فَمَنْ زُحْزِعَّن النّارِ" في "فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ" (قرآن III : 182) باسقاط حركة الحاء وادغامها في العين (الزمخشري ابن يعيش X : ص 136)

ح ع ← حّ : نحو "اذبحَّتُّدا" في "اذبَحْ عَتُدا" وهوالتيس الصغير (الزمخشري ابن يعيش : نفس المرجع)

ع هـ ← حّ : نحو "مَحُّمْ" في "مَعَهُمْ" و"محّاؤلاء" في "مَعَ هؤُلاءِ" ويكثر هذا الادغام بالخصوص في لهجات بني تميم (الزمخشري ابن يعيش: X : ص. 136—137)

ومن المسائل الهامة في الألسن الدارجة العربية العصرية في هذا السياق مسألة تفخيم الحاء والعين أو ترقيقهما. فهذان الحرفان لم يكونا في العربية الفصحى مفخمين ولا من الحروف التي تمنع إمالة الفتحة المجاورة لها (انظر سيبويه : II ، 285) وأما في العربية الدارجة فيجب التمييز بين اللهجات التي الحاء والعين فيها مفخمان في الأصل وتمنعان الامالة (كلهجات سكان المدن بسوريا وفلسطين مثلا) وبين اللهجات التي يجوز فيها تفخيم الحاء والعين أو ترقيقهما وذلك حسب الجوار الصوتي مثل لهجة حوران (بجنوب سوريا) فيقولون في هذه اللهجة "صالْحه" (ṣāliḥe) (بترقيق الحاء وإمالة الفتحة) ولكنهم يقولون "فلاّحَه".

(flāḥa) (بتفخيم الحاء وعدم إمالة الفتحة) وكذلك يقولون "مْلِيحَه" (molihe) (بالترقيق والإمالة) ولكن "مَفْتُوحَه" (maftūḥa) (بالتفخيم وبدون امالة) ... الخ وكذلك "صَبْعَه" (ṣaḅʿa) (اى سبعة و"أَرْبْعَه" (arḅaʿa) (بتفخيم العين وبدون إمالة) ولكنهم يقولون "تِسْعِه (tesʿe) (بترقيق العين وبالإمالة) و"وسيعة" (wasīʿe) (بالترقيق وبالامالة) إلا أنهم يقولون أيضا: "مَصْنُوعَه (maṣnūʿa) (بالتفخيم وبدون إمالة)... الخ ويبدو أن انقباض عَضلات وسط الحلق أدخل في الحلق عند التفخيم منه عند الترقيق (انظر كانتينو : "لهجات حوران العربية" : الاطلس الخرائط رقم 25 26 و48) .

ولا يطرأ على الحاء والعين الا عدد قليل من التغييرات المقيدة في اللهجات العربية منها بعض عمليات الادغام المباشر نحو قولهم : "خْدُحْ حْبَابَه" (ḫdöḥ ḥöbābāh) في "خْدَعْ حْبَابَه" (ḫdöʿ höbabah) (اى خدع احبابه) و"صْبَحْ حْلِيمَه" (ṣbaḥ ḥalīma) في "صْبَعْ حْلِيمَه" (ṣbaʿ ḥalīma) (أي اِصْبَعُ حَلِيمَةٍ و"فْرَحْ حْلِيَّي" (fraḥ ḥalīya) في فْرَحْ عْلِيَّ" (fraḥ ʿalīya) (أي فَرِحَ لِي) و"يْرُوعْ عِنْدْنَا (irōʿ ʿandna) في "يْرُوحْ عِنْدْنَا" (iroh ʿandna)(أي يذهب الينا) ومنها أيضا انتقال العين من الجهر الى الهمس أى إبدالها حاء ويقع هذا الابدال في حالة الاتصال مباشرة أو في حالة الانفصال داخل كلمة واحدة نحو قولهم: "مَحْفُونْ" (maḥfūn) في "مَعْفُونْ" (maʿfūn) أي غير منظم ولا مرتب و"يَحْفِسْ" (yaḥfes) في "يَعْفِسْ" (yaʿfes) أي يدوس و"حُشِبْ" (ḥöšeb) في "عُشِبْ" (ʿöšeb) أي عُشْبٌ و"حَسِلْ" (ḥasel) في "عَسِلْ" (ʿasel) اي عَسَلٌ ومنها أيضا عمليات قلب نحو قولهم : "مْعِيلْقَه" (mʿelqa) في "مْلِيعْقَه" (mlīʿqa) أي ملعقة) ونحو قولهم بالخصوص : "عْمَا" (ʿmā) في "مْعَا" (mʿā) (أي مَعَ) وذلك في كثير من لهجات "الانجاد العالية" (Hauts - Plateaux) وصحراء الجزائر (انظر و. مارسي "تلمسان" ص 25—26 و "أولاد ابراهيم" ص 10—11 وانظر م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 72 و99) .

الهاء الرخوة الحلقية

كان في السامية حرف حلقي هو الهاء

ويوجد نفس هذا الحرف في العربية القديمة ويمثل بها عادة امتدادا للحرف السامي ويذكر النحاة العرب أن مخرج الهاء هو "أقصى الحلق" (انظر سيبويه II ، ص 453 والزمخشري ابن يعيش، X ، ص 123–124) وهو حرف رخو يقرع بأن تدفع الهواء من رئتيك دفعا قويا فيدعك جوانب أقصى الحلق .

ويعتبر النحاة العرب الهاء حرفا مهموسا فيبدو إذن أن هذا الحرف هو من حيث علم الاصوات حرف مهموس في معنى كلمة "سُورْدْ" (sourde) بالفرنسية إلا أنه من حيث علم وظائف الاصوات حرف حيادي بالنسبة إلى الجهر وذلك لأنه لا يوجد في اللغة حرف مجهور يقابله.

يكاد لا يطرأ على الهاء من التغييرات المطلقة شيء على أنه ينبغي الإشارة الى العملية الصوتية المسماة "فَحْفَحَة" أي إبدال الهاء عينا وقد ذكرها السيوطي في كتابه "اقتراح"... ص 99. سطر : 12 (انظر براقمان: "مواد"... ص 42) والفحفحة من لغة بني هذيل وقد يبرز حرف الهاء في آخر بعض الكلمات وذلك عند الوقف وهو ما سماه النحاة العرب "هاء السكت" وسننظر في هذه المسألة في ما بعد عند تعرضنا لدراسة مشكلة "الوقف" وتنحصر التغييرات المقيدة التي تطرأ على الهاء في بعض عمليات الادغام : فتدغم الهاء في الحاء وقعت بعدها أم قبلها فيجوز قراءة "اذبحّاذه" في "اذبَحْ هَذَه" و "إجْبَحّاتِما" في "إجْبَهْ حَاتِمًا" (أي إضْرِبْهُ على جَبْهَتِهِ). وكذلك يجوز ادغام الهاء في العين قبلها أو بعدها وينتج عن هذا الادغام كما سبق لنا أن قلناه أعلاه حاء مضعفة. فيجوز ان نقول "مَحُّمْ" في "مَعَهُمْ" و "إجْبَحُّتْبَة" في "إجْبَهْ عُتْبَة" ويكثر هذا الادغام الأخير بالخصوص في لهجة بني تميم (انظر الزمخشري ابن يعيش X : ص 136–137).

وقد بقي عادة حرف الهاء القديم سالما من التغيير في الالسن الدارجة العربية العصرية إلا أنه تجدر الإشارة إلى :

أ) وجود هاء مجهورة إلى جانب الهاء المهموسة فقد أشار إلى وجود هذه الهاء المجهورة م. كوهين في لهجة "يهود مدينة الجزائر" ص 32 ولاحظتُ بنفسي وجودها في لهجات مختلفة ويبدو في هذا الصدد أن الهاء تكون مجهورة إذا وقعت بعد حرف مجهور وتكون مهموسة إذا وقعت بعد حرف مهموس : فقد تمكنت من التحقق عن طريق التجربة من أنهم يقولون "بيتْهَا" (bītha)بهاء مهموسة" و"دَارْهَا"(dāṛha) بهاء مجهورة وليس لهذه المقابلة بين الهاء المجهورة والهاء المهموسة أية قيمة من حيث تمييز معاني الالفاظ بل لا يشعر المتكلمون بوجودها عادة (مثلها في ذلك مثل المقابلة بين اللام المهموسة واللام المجهورة في اللغة الفرنسية).

ب) جواز تفخيم الهاء في بعض اللهجات إذا وقعت في جوار أصوات تقتضي التفخيم. فقد لاحظ و. مارسي بحامة قابس (انظر الجريدة الاسيوية (Journal Asiatique) : جويلية-سبتمبر 1933 ص 65) أن جرس الحركة الموجودة في ضمير الغائبة المفردة "ها" يتأثر بنوع الصوت السابق لذلك الضمير فقد سمعت في اللهجات الشرقية كلهجات حوران مثلا تفخيما حقيقيا يقع بإشباع انقباض عضلات أقصى الحلق إشباعا أشد نحو قولهم "أبُوهَا" (abūḥa) بتفخيم الهاء و"نَسِيبهِه" (nesīhe) بدون تفخيم وبإمالة الفتحة التي بعد الهاء.

ج) جواز ضعف الهاء أحيانا إلى درجة السقوط والإضمحلال تماما وذلك ما يحدث في ضمير المفرد الغائب فأصل ضمير اللهجات وهو مجرد ضمة (u) أو ضمة منفتحة قليلا (o) هوَـه (ahu-) بسقوط الهاء، وتسقط الهاء أيضا من ضمير المفردة الغائبة "ها" (hā) والجماعة الغائبين "هُمْ" (بالضمة المنفتحة قليلا) (hom-.) وذلك في بعض لهجات الحضر بشمال افريقيا كلهجة يهود مدينة الجزائر مثلا إذ يقولون "شِغْلُمْ" (šeġlum). أي "شُغْلُهُمْ" : انظر م.كوهين ص 339—340. ويجدر كذلك الإشارة إلى سقوط الهاء بشمال افريقيا من العبارة الكثيرة الاستعمال "منَّا" (mönna) أي مِنْ هُنا وسقوطها من بعض الكلمات الاخرى مثل قولهم "فْوَاكْ" fwāki) أي فواكه و"صَارِيج" (ṣārīž) أي "صهريج" انظر و. مارسي "تلمسان" ص 19 .

ويطرأ على الهاء في الألسن الدارجة كما في العربية القديمة عدد من التغييرات المقيدة وخاصة عمليات الادغام. انظر في ما يتعلق بلهجات المغرب العربي : و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 11 و "تلمسان" ص 25 - 26 فقد ذكر هذا المؤلف قولهم "جرَّحَّا" (žraḥḥa) في "جرّحْهَا" (žraḥha) "يكرَحْ حبابْنا" (yekraḥ ḥbābna) في "يكرَهْ حبابْنا" (yekrah ḥbābna) و"قلَحّا" (glaḥḥa) في "قلَعْهَا" (gla^{c}ha) (أي قلعها) .

وجاء في اللهجات الشرقية قولهم كذلك "مَحّ" (maḥḥa) أو "معّ" (ma^{cc}a) "في مَعْهَا" (ma^{c}ha) أي "معَهَا" و"مَحّهم" (maḥḥom) أو "معّم" (ma^{cc}om) في "معْهم" (ma^{c}hom) أي "معَهُم" وقولهم "أصبّحّ" (ʾöṣbaḥḥa) و"أصبَحّم" (ʾöṣbaḥḥom) أو "أصبّعّ" (ʾöṣba^{cc}a)و "أصبعّم" (ʾöṣba^{cc}om) في "اصبَعْهَا" (ʾöṣba^{c}ha) و"اصبَعْهُم" (ʾöṣba^{c}hom) أي اصبعها واصبعهم .

ويجوز في لهجات حوران (بجنوب سوريا) ادغام الهاء في الثاء والتاء والسين والصاد والشين والخاء نحو قولهم : "خَرُوفّا" (ḫarūffa) في خروفها (ḫarūfha) و"بيتّ" (bētte) في "بيتْهَا" (bēthe) "وبَسَاسّ" (bsāsse) في "بسَاسْهَا" (bsāshe) أي قططها "وقرَصّ" (garaṣṣa) في "قرَصْهَا" (garaṣha) أي قرصها و "فراشّ" (frāšše) في "فرَاشْهَا" (frāšhe) أي زرابيها و "فرَاخّ" (frāḫḫa) في فرَاخْهَا (frāḫha) أي فـراخـهـا .

الحرف الشديد الاقصى حلقي

كان في السامية حرف شديد من أقصى الحلق هو الهمزة وكان هذا الحرف يرسم عادة بواسطة علامة تدعى "أليف" (ʾalęp) بالعبرية، "وألاب" (ʾālap) بالآرامية و"الف" (ʾalf) بالحبشية.

وقد ضعف هذا الحرف في اللغة الآرامية (إلا إذا كان في أول

الكلمة فيما يظهر) وفقد تقريبا كل قيمته الحرفية وخصوصا في آخر الكلمة حيث لم يستعمل الا للدلالة على الحركات وخلافا لذلك فإن العربية القديمة قد احتفظت احتفاظا كاملا أو يكاد بهذا الحرف الشديد الاقصى حلقي.

ولما استعمل الناس الخط الآرامي لكتابة العربية (أي ابتداء من القرن الثالث المسيحي) تساءلوا عن كيفية رسم هذا الحرف الشديد الأقصى حلقي: فبان لهم أن الالف وهو ما يوافق الـ "آلاب" (ʾālap̄) في الآرامية لا يفي بالحاجة في هذا الشأن إذ قد فقد تقريبا قيمته الحرفية كلها واذ كان استعماله اصلح لرسم الفتحة الممدودة. ولذلك فقد ابتكروا عندما حسنوا الخط العربي لكتابة القرآن ابتكروا علامة خاصة سموها الهمزة وأفردوها لرسم هذا الحرف الشديد الأقصى حلقي .

الا أن هذه العلامة كانت مثل جميع علامات الرسم تكتب فوق الحروف. فتساءلوا إذن على أي حرف يجب رسم الهمزة : وهكذا قامت مشكلة دقيقة هي مشكلة الحرف الذي ترسم عليه الهمزة. وليس علينا ما أن ندرس هذه المسألة إذ هي تتعلق بالكتابة ولذا نكتفي بالإشارة إلى بعض القواعد العامة في هذا المضمار بدون أن نتعرض إلى الدقائق والجزئيات.

فإذا وقعت الهمزة أولا رسمت على الألف مطلقا وإذا وقعت وسطا وكانت متبوعة أو مسبوقة بكسرة أو بضمة رسمت على الياء أو الواو. أما في الحالات الاخرى فترسم على الألف .

وإذا وقعت آخرا وكانت مسبوقة بكسرة أو بضمة رسمت على الياء أو على الواو. وأما في الحالات الاخرى فترسم على الألف وترسم الهمزة وسطا أو آخرا إذا كانت مسبوقة بحرف ساكن أو بحركة مزدوجة أو بحركة طويلة .

وينسب النحاة العرب (سيبويه : II ، ص 453 والزمخشري ابن يعيش X ، ص 123—124) إلى الهمزة نفس المخرج الذي نسبوه الى الهاء أي اقصى الحلق وعلاوة على ذلك فقد حشروا الهمزة في زمرة الحروف الشديدة أي في زمرة ما يسمى بالفرنسية "أكلوزيف".

(occlusives) وفعلا فان هذا الحرف حرف شديد أقصى حلقي (1) يفرع باطباق الاوتار الصوتية الواحد على الآخر ويحول هذا الاطباق طبعا دون ارتعاش الاوتار الصوتية ولذا كانت الهمزة مهموسة بالطبع وقد اتخذ بعضهم ترتيب سيبويه للهمزة ضمن الحروف المجهورة حجة لنفي توافق لفظي مجهورة بالعربية و"سنور" (sonore) بالفرنسية، وقد سبق لنا (ص 35) أن بيّنا رأينا في هذه المسألة.

وفيما يتعلق بإمكان تفخيم الهمزة يجب الرجوع الى فالين (Wallin) مجلة جمعية الاستشراق الالمانية (Z D M G)، IX ص 45 والى "براتمان" "مواد" ص 39—40.

ويطرأ على الهمزة تغييرات مطلقة مختلفة (على الأقل بصفة جزئية) وأهمها هي ابدالها عينا وتخفيفها او سقوطها تماما ويسمى "نقلا"

فاما ابدالها عينا فخاصية تابعة للهجات تسمى "العنعنة" وتوجد بالخصوص عند بني تميم وقيس نحو قولهم : "ظننت عنّك ذاهب " أي "ظننت أنّك" وقولهم كذلك "عَسْلم" في "أَسْلم" و"عُذْن" في "أُذن" ... الخ انظر السيوطي : "المزهر ا ، ص 109 .

وأكثر من ذلك تخفيف الهمزة وسقوطها تماما، وينبغي الرجوع فيما يتعلق بهذه المسألة الهامة الى فولرس (Vollers) "لغة الشعب"... ص 83—97 و ج. فايل (G. Weil) : "علاج الهمزة — الالف في العربية وخاصة حسب تعليم الزمخشري وابن الانباري (مونيخ 1905) " Die Behandlung des Hamza-Alif im Arabischen besonders nach der Lehre von az-Zamahšari und ʾIbn al ʾAnbārī." (Munich 1905) والى أ. شَادِهْ (A. Schaade) "علم الاصوات عند سيبويه" (Sibawaihis Lautlehre) ص 32—34 والى أ. بريتزل (O. Pretzl)

---

(1) ينبغي اجتناب تعريف الهمزة باستعمال عبارات مثل صدمة حركة صلبة (détente vocalique forte) أو انطلاقة حركية قوية (attaque vocalique dure) فهذه العبارات وان لم تكن غالطة قد تؤدى الى الالتباس ، وينبغى التعود على فكرة أن الهمزة هو حرف شديد كغيره من الحروف .

"علم التجويد" (Die Wissenschaft der Koranlesung) في مجلة : اسلاميكا (Islamica)، VI ، ص 303—316. وأما في ما يخص النحاة العرب فينبغي الرجوع في هذا الشأن الى سيبويه : II ، ص 168—176 والى الزمخشري، ابن يعيش : IX ، ص 107—120 والى أكثر التصانيف في القراءات (وخصوصا كتاب التيسير للداني) وكذلك الى أكثر كتب التجويد.

ويميز النحاة العرب بين :

أ) إضعاف الهمزة ويسمى "تخفيفا" أو "تسهيلا" أو "تليينا" وتنطق الهمزة في هذه الحال وسطا بين نطقها الشديد أو الصحيح ويدعى تخفيفا وبين نطق الحركة : ولذا أسموها "همزة بين بين" أي وسطية.

ب) وبين إبدال الهمزة إما حركة طويلة أي فتحة طويلة أو كسرة طويلة أو ضمة طويلة وإما نصف حركة أي ياء أو واو. ويدخل هذا العلاج للهمزة في طائفة عمليات صوتية عند العرب باسم "البدل" أو "الابدال" أو "القلب".

ج) وبين سقوط الهمزة تماما ويسمى "نقلا" وقد اختلفت طبعا مختلف مدارس القراءات القرآنية في علاج الهمزة اختلافا ذا بال.

فكان القراء الذين أصلهم من ما بين النهرين (أي العراق اليوم) ومن شرقي الجزيرة العربية كابن العلاء من البصرة والكسائي من الكوفة وحمزة من الكوفة مولى بني تميم وعاصم من الكوفة وحفص تلميذه الشهير (وقراءة حفص من اشد القراءات انتشارا في الاسلام) كانوا يخففون نطق الهمزة تخفيفا، وخلافا لذلك فان القراء الغربيي الأصل أي قراء الحجاز مثل ابن كثير من مكة ونافع وتلميذه الشهير ورش (وقراءة ورش قراءة ذائعة جدا كذلك) كانوا قد تأثروا باللهجات المحلية فأقروا عددا كبيرا من عمليات تخفيف الهمزة أو سقوطها.

وسندرس على التوالي

1 — الهمزة إذا كانت أولا

2 — الهمزة إذا كانت وسطا

3 — الهمزة إذا كانت آخرا وخصوصا عند أسوفت

١ – إذا وقعت الهمزة أولا حققت عادة تحقيقا كاملا الا ً أن الهمزة الأولى حسب قراءة ورش التقليدية تسقط اذا وقعت بعد كلمة تنتهي بحرف (ويدخل في ذلك الواو والياء وهما حرفان عندهم والتنوين ولام "ال") فيجب مثلا قراءة "قَالَتُخْرَاهُمْ" في "قالتْ أُخْرَاهم" (قرآن: VII 36) و"قُلَعُوذُ" في قُلْ أَعوذُ" (قرآن : CXIII ، 1 و CXIV ، 1) (حسب البيضاوي) و "اَلَرْضْ" و "الاخِرَة" و "اَلُولَا" في "اْلأَرْض" و "اْلآخرة" و "اْلأُولى"... الخ (انظر الداني التيسير" ص 35–36 و أ. بريتزل "علم التجويد" ص 312–313.

ويذكر فوارس في "لغة الشعب" ص 90 أمثلة سقطت فيها الهمزة وحركتها. الا أنه يظهر في الحقيقة ان سقوط الحركة هو الذى سبب سقوط الهمزة : ولذا فسندرس هذه المسألة في باب "دراسة نظام الحركات"

واما فيما يتعلق بتردّدهم في اوّل بعض المواد الصرفية بين استعمال الهمزة او الواو او الياء فانظر نولدكه (Noldeke) "مساهمات جديدة... (Neue Beitrage) ص 202–206 .

2 – وفيما يتعلق بالهمزة الواقعة وسطا يجب التمييز بين :

أ) الهمزة الواقعة بين حركتين

ب) الهمزة الواقعة بين حركة وحرف

ج) الهمزة الواقعة بين حرف وحركة

أ) فاذا وقعت الهمزة بين حركتين جاز تصور 9 مجموعات هي: "سَأَ" (aʾa) و"سَئِ" (iʾa) و"سَؤُ" (aʾu) و"سِأَ" (iʾa) و"سِئِ" (iʾi) وسِؤُ" (iʾu) و"سُأَ" (uʾa) و"سُئِ" (uʾi) و"سُؤُ" (uʾu)

تخفيفها مطرد في المجموعات الآتية :
سَئِ ، سِئِ وسُؤُ (نحو سَيِّؤُه : قرآن XVII ، 40) وسُئِ و سُؤُ

وأما في المجموعة : "سَأ" فقد ذكر الازرق أن ورشا يحقق الهمزة وانّه يقرأ مثلا "مآبٌ" : قرآن XIII ، 28 و36 الخ ... و"مآرب" : قرآن XX ، 19 و"تأخّرَ" قرآن II ، 193 و XLVIII ، 2، و"فأذّنَ" : قرآن VII ، 42 ... الخ وخلافا لذلك فقد روى الاصبهاني أن ورشا يقر التخفيف في بعض حالات وقوع الهمزة ذلك الموقع : نحو "كانّه" في "كأنّه" قرآن VII ، 170 و XXVII ، 42 ... الخ و"رايت (لرايته) في رأيت قرآن XII ، 4 الخ ...

وكذلك حسب حمزة وهشام السُّلَمي وهو أحد تلامذة ابن عامر قراءة "مآ" في "ماءا" (في الوقف عند النكرة المنصوبة) الا أن قلب همزة بعض الافعال المهموزة العين والمهموزة اللام حرف علة سببه القياس في نظرنا وسنرى ذلك بعد حين.

وأما فيما يتعلق بالمجموعة سَؤُ فعن الأزرق ان ورشا كان يحقق الهمزة ويقرأ "لا يؤوده" قرآن : II ، 256 و"تؤزُّهُمْ" (أي تدفعهم الى الشر) قرآن : XIX ، 86.

وخلافا لذلك فإن حمزة (وهو ممن يحققون الهمزة عادة) كان يقرأ بتخفيفها إذا وقعت ذلك الموقع فيقرا بالخصوص "آباوُكم" : قرآن IV ، 12... الخ (إلا أنه يجوز في هذا المثال تفسير هذا التخفيف بحدوث عملية تباين ناتجة عن تأثير الهمزة الأولى. انظر ما سيأتي في هذا فيما بعد).

وأما بخصوص مجموعة "سِيءَ" فقد اجمع النحاة (مثل سيبويه II ، ص 169) والقراء (مثل ورش عن الاصبهاني وحمزة) على قلب الهمزة ياء فقرأوا مثلا "بِيَبَي" و"فَبِيَي" في "بِأَيِّ" و"فَبِأَيِّ" وكذلك "بِيَنّ" و"بِيَنَّهم" في "بِأَنّ" وبِأَنَّهم" و"مُلِيَت" في "مُلِئَت" قرآن : LXXII ، 8، و"ناشِيَة" في "نَاشِئَة" (أي أول الليل) قرآن : LXXIII ، 6. وهكذا نفسر بترددهم بين قراءة "بَادِيَ" و"بَادِئَ" (قرآن XI ، 29) (ذكره البيضاوي عن ابن العلاء)

وقد أجمع النحاة والقراء كذلك على قلب الهمزة في مجموعة

"ؤ" واوا فقرأوا مثلا "فُوَاد" في "فُؤَاد" قرآن XXVIII ، 9 ... الخ
وقالوا كذلك : غلامُ وَبِيك : ذكره سيبويه II ، ص 169 .

ب) واذا وقعت الهمزة بين حركة وحرف فعن النحاة (كسيبويه: نفس المرجع) وعن القراء (كورش وحمزة) أنها تخفف بل وقد تسقط أيضا وتمد الحركة التي قبلها .

فورش وحمزة يقرآن "يَاخُذ" في "يَأْخُذ" و"يُومِنُون" في "يُؤْمِنُون" وعن الأزرق أن ورشا يقرأ بالخصوص تخفيف الهمزة في الكلمات التالية : "بِئْسَ" و"بِئْسَمَا" و"البِئْر" و"الذِئْب" ولِئَلاَّ".

وروى الاصبهاني أن ورش يُقْرِئُ بصفة أعم تخفيف كل همزة متبوعة بحرف أو اسقاطها ولم يشذ عن هذه القاعدة حسبهم الا الهمزة الوسطى في "لؤلؤ" و "جِئْتُ" و "بَأْس" و "كَأْس" و "رَأْس" و "رِئْيًا" (أي ومنظرا جميلا) قرآن : XIX ، 75 وهمزة مختلف الصيغ المشتقة من مادة "ن ب ء" و"ق ر ء" و"هـ ي ء" و "ع و ي" ويجوز ادغام همزة "وي" هذه في الواو اذا اتصل الحرفان اتصالا مباشرا نحو "تُوِّي" في "تُؤْوِي" (قرآن XXXIII، 51) و"تُوِّيهِ" في "تُؤْوِيهِ" قرآن LXX 13 (وهي قراءة حمزة)

ج) إذا وقعت الهمزة بين حرف وحركة كان تخفيفها وإسقاطها (بِمَدّ الحركة التي بعدها أوبدونه) مطردين وذلك حسب النحاة وحسب القراء على السواء فقد ذكر سيبويه في هذا المضمار II ، 170 قولهم "المَرَة" و"المَرَاة" في "المرأة" و"الكَمْة" و"الكَمَاة" في "الكَمْأَة" وهو نبات يوجد في الربيع تحت الأرض يقال له : "تَرُوف" (truffe) بالفرنسية.

ويذكر سيبويه ايضا أن عيسى (1) كان يقرأ "ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخَبَ (أي الخَبْأَ) في السموات والارض" قرآن XXVII ،25.

---

(1) ويجوز ان يكون عيسى هذا اما أبا الحارث عيسى بن وردان المتوفى سنة 160 هـ وتلميذ ابى جعفر من قراء المدينة واما أبا عمر عيسى بن عمر الثقفي من مدرسة البصرة والمتوفى سنة 149 هـ. واما أبا عمر بن عيسى بن عمر الهمداني الأعمى من مدرسة الكوفة والمتوفى سنة 156 هـ.

ومن حمزة نفسه انه يجوز إسقاط الهمزة تماما اذا وقعت بين حركة في نحو قولهم "السَّرُ" في "المَرْأُ"، و"شَيٌ" في "شَيْءٌ" [illegible] في قرآن" و"يَسَلُ" في "يسأل ... الخ وبذلك تفسر قولهم [illegible] رأى "بَرَّى" عوض" بَرْأَى". وسقوط الهمزة اذا وقعت كانت مسبوقة بكلمة تنتهي بحرف أو مسبوقة بال التعريف سقوط [illegible] هذه النزعة انظر بهذا الخصوص ما ورد أعلاه ص 125 سيبويه II ، 170

- إذا وقعت الهمزة آخرا ووقف عليها وجب التمييز بين أ) الهمزة [illegible] بحركة ب) وبين الهمزة المسبوقة بحرف (انظر سيبويه، ص 311-313 والزمخشري - ابن يعيش IX ص : 73-74).

) وإذا كانت مسبوقة بحركة جاز علاجها بثلاث كيفيات وذلك [illegible] نزعات لهجات النحاة والقراء فإما أن تحقق الهمزة تحقيقا [illegible] ولا أقل نحو "أَكْمُؤٌ" جمع "كَمْأَة" و"خَطَأٌ" وأهْنِئْ" (اي وإما أن تكون مسبوقة بفتحة فتقلب نصف حركة من جنس حركة التي تليها اذا كانت هذه الحركة ضمة أو كسرة نحو قولهم "هذا في" هذا الكَلَوُ" و"مررت بالكَلِيْ" اي بالكلإ الا انهم يقولون الكلا" أي "الكَلَاْ" بسقوط الهمزة ومد الفتحة السابقة وذلك [illegible] حركة الاعراب هي نفسها فتحة في هذه الحال وإما أن تسقط وتمد السابقة لها نحو "أكْمُو" و"خَطَا" و"أهْني" ويبدو أن هذا هو من خصائص لغة الحجاز ونجده كذلك في قراءة حمزة وهشام [illegible] حمزة من أصل شرقي) انظر [illegible] : "تيسير" ص 37-38 [illegible] "علم التجويد" ص 314

ب) وإذا كانت الهمزة مسبوقة بحرف جاز علاجها بأربع كيفيات :

[illegible]) فإما أن تحقق وأن تدخل بينها و[illegible] الحرف الذي قبلها -تسهيلا [illegible]- حركة فصل يكون جرسها [illegible] من جنس جرس حركة الاعراب [illegible] للوقف نحو "هذا الوَثُـ[illegible]" في "هذا الوَثْأُ" (أي الوصم

بسبب اللحم ولا يبلغ العظم) (Lésion) و"من الوَثيِ" في "من الوَثْء" و"رأيت الوَثَا" في "رأيت الوَثْءَ" — أو من جنس جرس الحركة الأصلية السابقة للهمزة نحو قولهم: "بُطُو" في "بُطْءُ" و"رِدي" في "رِدْءُ" (أي الاعانة) و"وَثَا" في "وَثْء" وذلك في جميع حالات الاعراب.

2) واما أن تقلب الهمزة نصف حركة أي واوا إذا كانت حركة الاعراب ضمة أو ياء اذا كانت حركة الاعراب كسرة أو تقلب فتحة طويلة إذا كانت حركة الاعراب فتحة فنقول في الأمثلة السابقة ذاتها : "هذا الوَثْو" و"هذا الرِّدْو" و"هذا البُطْو" في حالة الرفع ونقول "من الوَثْيِ" "ومن الرِّدْيِ" و"من البُطْيِ" في حالة الجر ونقول "رأيت الوطَا" و"الرِّدا" و "البُطَا" في حالة النصب.

3) واما أن تقلب الهمزة حركة طويلة يكون جرسها إما من جنس جرس حركة الاعراب التي سقطت (للوقف) نحو "هذا الوَثُو" و"الرِّدُو" و"البُطُو" في حالة الرفع و"من الوَثِي" و"الرِّدِي" و"البُطِي" في حالة الجر و"رأيت الوَثَا" و"الرِّدَا" والبُطَا" في حالة النصب (أي كما في الحالة السابقة) أو من جنس جرس حركة المقطع السابق نحو "بُطُو" "رِدِي" و"وَثَا" في جميع حالات الإعراب.

4) وأما اخيرا، أن تسقط الهمزة بدون أن يبقى لها أثر : نحو "وَثْ" "رِدْ" و"بُطْ" ولا نجد في آخر هذه الكلمات حركة الا في حالة النصب اذا كانت الكلمة نكرة فنقول بفتحة طويلة "وَثَا" و"رِدَا" و"بُطَا" ويبدو أن قراء القرآن وخاصة حمزة وهشام قد تبنوا هذا العلاج الرابع للهمزة : انظر الداني "تيسير ص 37—39 (و أ. بريتزل : علم التجويد" ص 314—315.)

ومن الطبيعي أن يكون لهذا الضعف في الهمزة في مواقع مختلفة تأثير في الصرف وخاصة فيما يتعلق بتصريف الأفعال من ذلك قولهم "سَال" إلى جانب "سأل" وبمعناه وينبغي البحث عن أصل هذه الصيغة أي "سال" في مبني الأمر والمضارع المجزوم من نحو "سَلْ" (قرآن II ، 207) "سَلْهُمْ" (قرآن LXVIII ، 40) : وأصل "سَلْ" فيما يبدو "إسْأَلْ".

وقد بنَوْا من هاتين الصيغتين صيغة "سالَ" في الماضي (وهي قـراءة نافع وابن عامر في "قرآن LXX ،1" : قارن بما جاء في كتاب سيبويه II ،123.

ومن ذلك أيضا وقد سبق ذكره – صيغة المضارع "يرى" الأمر منه "رَ" أو "رَهْ" وكلها من رأى. وينبغي كذلك في هذا العدد المناظرة بين بعض الصيغ المزدوجة مثل "جَأَشَ" اي تكدر واضطرب و"جاشَ" اي اضطرب اضطرابا شديدا ومثل "تَأَشَ" أي أخذ وقبض بشدة، و"تاشَ" أي أخذ وتناول بيده. ومثل "لأمَ" أي اعتبره لئيما ووبّخه و"لام" أي وبخ... الخ.

ونجد مثل ذلك في الافعال التي وقعت الهمزة فيها موقع اللام من ذلك ما جاء في بعض القراءات القرآنية من إسقاط همزة "خَطِيءَ" أو تعويضها بياء في بعض الصيغ المشتقة من هذا الفعل نحو "خَاطِيُون" و"خَاطُونَ" عوض "خاطِئُون" (قرآن LXIX، 37) ونحو "خَطِيَّتُه" (قرآن II 75) و"خَطًا" عوض "خَطَأً" (قرآن ١٧ ، 94) و"خِطًا" عوض "خِطْأً" ومن ذلك أيضا قوله "والصَّابُونَ" عوض "والصَّابِئُونَ" (قرآن ٧ ، 73 : حسب البيضاوي) ... الخ

وبذلك نفسر وجود عدد كبير من الصيغ المزدوجة مثل "كفأ" و"كفى" بنفس المعنى و"اجزأ" و"اجزى" بنفس المعنى ايضا و"غبأ" وغبى" بمعنى: ربأ ورنب ... الخ.

ويمكن أن نعتبر أن نقطة الانطلاق في هذا التطور المتعلق بالهمزة في الأمثلة الفعلية المذكورة هو المضارع المجزوم إذ تسقط الهمزة في آخره وتمد الحركة التي قبلها نحو : يُكَافِيءُ ←—— يُكَافِي

وهناك أيضا أمثلة من هذا النوع نجدها في صيغ اسمية بحتة فيجوز إبدال الهمزة ياء أو واوا إذا وقعت عينا في بعض الاسماء نحو قولهم "سُوَال" في "سُؤَال" و"رَاس" في "رَأْس" ومن ثمة قولهم في الجمع "رُوس" عوض "رُؤُوس" و"أَرْؤُس" ونحو قولهم أيضا "مِيسَاد" في "مِيسْاد" وهو الزق توضع فيه الزبدة أو العسل . ..

وقد تتغير الصيغة الأصلية في بعض الاسماء تغيرا بليغا في نحو "مَلَك" وأصله "مَلْأَك" ... الخ . وكذلك الأمر فيما يتعلق بالاسماء التي الهمزة فيها لام نحو: "مَرْأَة" تصير عندهم "مَرَاة" أو "مَرَة" ونحو "كَمْأَة" تصير "كَمَاة" "وكَمَة" ونحو "قُرْآن" تصير "قُرَان" ... الخ وينبغي الرجوع في هذا الغرض إلى الامثلة العديدة الواردة في كتاب "فولرس" "لغة الشعب" ... ص 83—97. ويجد الباحث في نفس هذا الموضع من الكتاب كلاما يتعلق بـ "ارجاع الهمزة بعد أن سقطت ارجاعا زائفا".

ويطرأ على الهمزة علاوة على عمليات التخفيف أو السقوط العديدة والتي نظرنا فيها أعلاه يطرأ عليها تغييرات مقيدة مختلفة أهمها عمليات الادغام وعمليات التباين.

وعن تعليم النحاة العرب مبدئيا أن الهمزة لا تدغم ولا يدغم فيها (انظر الزمخشري — ابن يعيش × ص 134—135؛ و"هول" "النحو العربي" ١٧ ، 1757—1759) إلا أن ثمة بعض الامثلة لا يمكن تفسيرها الا بافتراض ادغام الهمزة من ذلك ما ذهبوا اليه من وجوب قراءة "المَرّ" عوض "المَرْء" (قرآن : VIII ، 24) و"جُزّ" عوض "جُزْء" (قرآن XV 44 حسب البيضاوي) فقد أدغمت الهمزة إذن في المثالين السابقين في الراء والزاي الواقعين قبلها. انظر أمثلة أخرى كثيرة عند "فولرس" "لغة الشعب" ص 92—93؛ وقد سبق لنا ان ذكرنا مثال "تُؤْوِي" (قرآن XXXIII ، 51) التي يجوز أن تصير "تُوِّي" بادغام الهمزة في الواو (ءو ← وّ) وكذلك مثال "وَرِيًّا" بادغام الهمزة في الياء (ءي ← يّ) انظر : أ. بريترل "علم التجويد" ص 314—315 حيث نجد بعض الأمثلة الأخرى.

ومثل هذا تماما ادغام الهمزة في تاء صيغ المطاوعة في افتعل نحو قولهم "اتّخذ" في "اءْتَخَذَ" و"اتّزر" في "اءْتَزَرَ" و"اتّكل" في "اءْتَكَلَ"(ومعناه اشتعل غيضا) و"إتَّمَرَ"في "اءْتَمَرَ" (انظر فولرس : ص89) بيدأن قراءة "تُّمِنَ" عوض "أُتُمِنَ" (قرآن II، 283)قراءة غالطة حسب البيضاوي .

واذا تتبعت همزتان في كلمة واحدة نزعتا الى التباين فتخفف إحداهما وقد تسقط تماما من ذلك أن مجموعة "أء"+ حرف تصير في أول الكلمة

«آ» مطلقا وذلك ما يحدث في صيغة أفعل التعدية من الافعال المهموزة الفاء نحو قولهم "آمنَ" في "أأمَنَ" و"آثر" في "أأثَرَ" وفي هذه الحال يشيرون عادة الى الفتحة الطويلة برسم مدة فوق الألف. تختلط الصيغة الرابعة الدالة على التعدية أي أفْعَلَ (causatif) بالصيغة الثالثة الدالة على الاجتهاد أي فَاعَلَ (conatif) وأما عن المجموعة «أأَ» كما في "أأنْذَرْتَهُم" (قرآن II ؛ 5) فانه يجوز فيها :

أ) تخفيف الهمزة الثانية وسلامة الحركتين

ب) تخفيف الهمزة الثانية ومد إحدى الحركتين

ج) سقوط الهمزة الثانية وادغام الحركتين فتصيران حركة طويلة أي فتحة طويلة "ـا" فيقرأ المثال السابق "آنْذَرْتَهُمْ"

وأما المجموعة "أإِ" كما في "أإذا" فانه يجوز فيها تخفيف الهمزة الثانية بمد الحركة الأولى أو بدونه وتعالج المجموعة "أأُ" بنفس العلاج ويبدو ان جميع المجموعات الممكنة الاخرى تخضع ايضا لنفس العلاج.

وقد تخفف الهمزة تباينا حتى إذا لم تقع الهمزتان في مقطعين متاليين أي حتى اذا وقعتا بعيدتين الواحدة عن الاخرى نحو قولهم «أفَأنْتَ» و"أفَأنْتُمْ" و"أفَأمِنُوا" (قرآن VII 97 و XII ، 107) فان الهمزة الثانية تخفف في كل ذلك. وكذلك في قولهم "أفَأصْفَاكُمْ" (قرآن XVII ، 42) و"لأمْلَأنَّ" (قرآن VII ؛ 17) ... الخ.

وأخيرا فقد تحدث نفس عمليات التباين هذه في كلمتين منفصلتين ويميز القراء في هذا الصدد ثماني حالات ممكنة هي :

ا) حالة : ءَ ءَ نحو "جاءَ أجلهم" (قرآن VII ، 32 ... الخ: اما ورش وقنبل (تلميذ ابن كثير) فيسقطان الهمزة الثانية ويدغمان الحركتين الواحدة في الأخرى فتصيران فتحة طويلة فيقرآن "جاءَ اجَلُهُمْ"

وأما قالُون (تلميذ نافع) والبَزِّي (تلميذ ابن كثير) وابن العلاء فانهم يسقطون بالعكس الهمزة الاولى فيقرأون "جا أجَلُهم".

2) حالة : ءء نحو "هؤلاء إنْ كنتم" (قرآن II ، 29 الخ.) فاما قُنبل ووَرْش فيسقطان الهمزة الثانية ويدغمان الحركتين فتصيران كسرة طويلة "ي" فيقرآن هؤلا ئينكُنْتُمْ" في "هؤلاء ان كنتم" (ولكنهما يقرآن أيضا" هؤلاءِ ءيِن كنتم" : قرآن II ، 29 و "البغاء ين" قرآن XXIV ، 33 أي بابدال الهمزة الثانية ياء) وأما قالون والبزّي فيبدلان الهمزة الاولى باء ويقرآن "هؤلاي إنْ كنتم" واما ابن العلاء فيسقط الهمزة الاولى وحركتها ويقرأ "هؤلاَ إن كنتم".

3) حالة : "ءُءُ" كما في المثال الوحيد من نوعه "اولياءُ أُولائك" قرآن XLVI ، 31، فاما ورش وقنبل فيقرآن "اولياءُ وُلائك" بابدال الهمزة الثانية واوا واما قالون والبزي فيقرآن "أوليا وُأولائك" بابدال الهمزة الاولى واوا واما ابن العلاء فيقرأ "أوليا أُولائك" فيسقط احد المقطعين

4 و 5) حالتا "ءَءُ" "ءَءِ" : قرأوا ذلك بتخفيف الهمزة الثانية

6) حالة "ءُءَ" قرأوها بابدال الهمزة الثانية واوا.

7) حالة "ءِءَ" قرأوها بابدال الهمزة الثانية ياء

8) حالة "ءُءِ" قرأها أغلب القراء بابدال الهمزة الثانية واوا وأما بقية القراء والنحويان الخليل وسيبويه فيقرأون بتخفيف الهمزة الثانية فقط.

وارجع في جميع ما يتعلق بتباين الهمزة إلى : سيبويه II ، ص 172—174 وشاده "علم الاصوات" ... ص 53—54، والزمخشري — ابن يعيش IX ؛ ص 116—120، والداني : كتاب التيسير : ص 31—35 ؛ و أ. برجترل "علم التجويد" ص 305—312 .

وأما الالسن الدارجة العربية العصرية فنجد نزعتين متغلبتين في علاج الهمزة وهنا :

إما تخفيفها حتى درجة الاسقاط أحيانا
واما ابدالها واوا أو ياء

فاما في اللهجات الشرقية فقد بقيت الهمزة وان ضعيفة تمثل "صوتمًا" (phonème) في معنى هذه الكلمة الوظائفي وبقيت تمثل عنصرا مكونا هاما من عناصر النظام الحرفي في هذه اللهجات.

واذا وقعت الهمزة اولا حققت عادة نحو قولهم "أرْنَب" (ʾarnabe) و"أصْبَع" (ʾöṣbaʿ) "أرَانِب" (ʾarāneb) و"اصَابِع" و(ʾaṣābeʿ) في الجمع فيظهر من هذه الامثلة ان الهمزة إذا وقعت أولا احتفظت بقيمتها بصفتها حرفا أصليا.

وقد تبدل الهمزة الأولى وان في الندر نصف حركة أي واوا أو ياء نحو قولهم "ولّف" (wallāf) أي جمع أدباشه وأصله في الفصحى "ألّف" وقولهم "وَدّب" (waddāb) من "أدّب" في الفصحى وقولهم "وَاخَذ" (wāḫaḏ) من آخذ في الفصحى وقولهم "يَمّ" (yamᵐ) أي من جهة ... وأصلها "أمّ"

واذا وقعت الهمزة وسطا كان الأمر بخلاف وقوعها أولا أي انها قلما تحقق (فلا تحقق تحقيقا برهانيا إلا في مثال وحيد هو فعل "سأل" وأما الامثلة الاخرى التي تحقق فيها فيبدو ان سبب التحقيق فيها هو حملها على غيرها قياسا أو افتراضها من العربية الفصحى) . وكثيرا ما تسقط الهمزة الوسطى نحو قولهم "رَاس" (rās) (من الفصحى "رأس") وبير (bīr) (من الفصحى بئر) و"مرا" (من الفصحى مَرْأة) و"كَمَة" (Kame) (من الفصحى كَمْأة)

ويكثر كذلك ابدالها واوا أوياء في ذلك الموقع نحو "أتْاوَب" (öttāwab) (من تَثَاءَب) و"لايَم" (Lāyam) (من لآمَ أي ناسب) و"مَلْيَان" (mälyān) (من مَلآن) و"مِيَه" (mīye) (من مِئَة).

واذا وقعت الهمزة آخرا سقطت كذلك بدون أن يبقى لها أي أثر أحيانا نحو قولهم "غَدَا" (ġadā) (من غَدَاء) و"سَمَا" (samā) (من سَمَاء) وقد تبدل أحيانا نصف حركة : من ذلك أن الافعال المهموزة اللام قد صارت كلها أفعالا يائية اللام وقد تدغم هذه الياء أحيانا في الحرف الذي قبلها نحو قولهم "ضَوّ" (ḍawʷ) (من ضَوْء) و"فَيّ"...

(fayʸ) (من فيء) وارجع فيما يتعلق بتفاصيل هذه الامثلة الى ما يلي : كنفر عبيدة ص 1—14 والى كانتينو "لهجة تدمر العربية" ، ص 66—69 وكذلك "لهجات حوران العربية، الفصل المتعلق بعلم الاصوات.

وأما في لهجات المغرب العربي فإن تطور الهمزة هذا قد بلغ حدا ابعد مما بلغه في الشرق ذلك أن الهمزة لم تعد تمثل "صوتما" (phonème) وكادت تضمحل تماما من اللغة فقد أشار و. مارسي في كتابه "أولاد ابراهيم" ... ص 5—6 الى أن الحروف الشديدة الأقصى حلقية التي تسمع عندهم لا تظهر الا في الكلمات التي أخذوها عن العربية الفصحى وأما في اللغة الشعبية فإن الهمزة إما تسقط تماما وإما تعوض بنصف حركة أي بواو أو بياء كما في اللهجات الشرقية. وإليك بعض الأمثلة التي وقعت فيها الهمزة مواقع مختلفة .

أمثلة وقعت فيها أولا :

"ضايَة" (ḏāya) : وهو الغدير (من أضاة) وبِلّ (bell) (من إبل) و"بْرَا" (bṛa) براء مفخمة (من إبرة) و"ارض" (arḍ) بدون همزة (من أرض) و"اهْل"(āhel) بدون همزة (من أهْل) و"يجْرَ" (yužra) (من أجرة) و"يَامِس" (yāmes) (من أمس) و"وَخْذَ(ه) (waḫḏa) (من أخذة)

امثلة وقعت فيها وسطا

"ذيبْ" (ḏīb) (من ذئب) و"بِير" (bīr) (من بئر) و"بْيَار" (byār) (من بئار) و"رَاس" (rāṣ) (من راس) و"رُوس" (rūṣ) (من رؤوس) و"سَال" (sāl) (من سأل) و"مْسَالَ(ه) (msāla) من مَسْأَلَة) و"تْوَام" (twām) (من تُؤَام) و"مْلاَن" (mlān) أو "مَلْيَان" (mälyān) (من ملآن) و"فْوَاد" (ffawād) (من فؤاد) و"تْاوِب" (ttāweb) (من تثاءب) و"لايم" (lāyem) أو "لاَيْم" (lāim) بمجرد كسرة بين اللام والميم) (من لائم)



أمثلة ا وقعت فيها آخـــرا

"بْرَا" (brā) (من برىء) و "قْرَا" (qṛā) (من قـرأ) و "سْمَا" (smā) (من سماء) و "ضَوّ" (ḍawʷ) (من ضوء) و "شَيّ" (šāy) (من شيء)

ارجع فيما يتعلق بجميع هذه الأمثلة إلى و. مارسي : "أولاد إبراهيم" ص 5–9 و "تلمســـان" ص 19–21 والى م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 35 – 43 .

أنصاف الحركات

كان في السامية صوتان هما الواو الرخوة التي تفرع من بين الشفتين والياء الرخوة الأدنى حنكية ويسمى هذان الصوتان في الفرنسية حرفين مصوتين (sonantes) أو نصفي حركتين (semi-voyelles) وذلك لقرابتهما من الحركتين المنغلقتين الضمة والكسرة .

وكان واحد من هذين الصوتين يستعمل تارة حرفا وتارة ثاني عنصر من عنصري الحركات المزدوجة وكلاهما قد يصير في بعض الحالات المعينة إلى الحركة التي من جنسه .

وأما العربية القديمة فقد كانت الحالة فيها بخصوص هذين الصوتين نفس تلك الحالة تقريبا وسننظر الآن في أهم التغييرات التي طرأت عليها.

فهناك بعض الحالات سقطت فيها الواو والياء فيما يبدو. ويعتقد المؤلفون عادة أن الواو والياء تسقطان إذا وقعتا بين حركتين قصيرتين (باستثناء مجموعتي "ـُـوَ" (uwa) و"ـِـيَ" (iya) حيث تثبت الواو والياء).

من ذلك أن "قَامَ" أصلها "قَوَمَ" و"سَارَ" أصلها "سَيَرَ" و"خَافَ" أصلها "خَوِفَ" و"طَالَ" أصلها "طَوُلَ" و"يَغْزُو" أصلها "يَغْزُوُ" و"قِيلَ" اصلها "قُوِلَ" و"يَرْمِي" أصلها "يَرْمِيُ" و"الْقَاضِي" أصلها "الْقَاضِيُ" (انظر سوسين : النحو العربي ص 20–21، وبروكلمان "المختصر" ا ، 57 و 138) .

وبخلاف ذلك فإن المضارع المنصوب نحو "يَغْزُوَ" و"يَرْمِيَ" والأسماء المنصوبة نحو "رأيت القاضِيَ" تسلم فيها الواو والياء.

وقد ينبغي إعادة النظر في بعض حالات تطبيق هذه القاعدة إلا أنها نعبر عن شعور المتكلمين الصرفي وكذلك تسقط حسبهم الواو والياء إذا وقعتا بين حركة قصيرة وحركة طويلة (باستثناء المجموعات الآتية :

ـوَّا (awā) ـَيَّا (ayā) ـ ـُوَّا (uwā) ـيَّا (iyā) ـ
حيث تنبثان) من ذلك أن "غـَزَوْا"أصلها عندهم "غَزَوُوا" و"رَمَـوْا" من
"رَمَيُوا" وكذلك "تَرْضَيْنَ" أصلها "تَرْضَـيِنَ" (tarḍaīna) التي أصلها
"تَرْضَوِينَ" و"تَنْسَيْنَ" أصلها" "تَنْسَـيِنَ" (tansaīna) التي
أصلها تَنْسَيِينَ ومن ذلك "يَرْمُونَ" أصلها يَرْمِـوُنَ (yarmiūna)
التي أصلها "يَرْمِيُونَ" ومنه "رَضُوا" فأصلها "رَضِـوُا" (raḍiū)
التي أصلها رَضِيُوا، ومنه "تَرْمِينَ" من "تَرْمِـيِينَ" (tarmiīna) التي
من تَرْمِيِيـنَ .

ومنه "رَاضِينَ" من "رَاضِـيِنَ" (radiīna) التي من "رَاضِوِينَ"
ومنه "يَغْزُونَ" من "يَغْزُوُونَ" (yaġzuūna) التي من يَغْـزُوُونَ"
ومنه "تَغْزِينَ" من "تَغْزُيِنَ" (tagzuīna) التي من "تَغْزُوِينَ"
(انظر سوسين : نفس المرجع، وبروكلمـان نفس المرجـــع)

وكثيرا ما يتعارض القياس الصرفي وتطبيق المبادىء المذكورة أعلاه.
ومن الغريب ان ما شذ عن هذه القـواعد أكثر في الاسم منه في الفعل إذ من
المعلوم أن صرف الاسماء أقل ضبطا ودقـة من صرف الأفعال. ونذكر من
هذه الشواذ قولهم "بُيُوتٌ" (وجميع الجموع التي على هذا الوزن والتي
الياء فيها عين الكلمة وقولهم كذلك "قويم" (وجميع الصفات التي على هذا الوزن
والتي عينهـا واوا)

ولا يخلو هذا الشذوذ من بعث بعض الشـك في النفس فيمـا يتعلق
بالقواعـد المنصوص عنهـا أعلاه.

وتدغـم الواو في اليـاء الواقعـة بعدهـا أو قبلهـا نحو "أيَّـام" جمع
يوم وأصلها "أيْوَام" أدغمت فيهـا الواو في الياء (يْ و ـــ يّ) وكذلك
قولهم "شَيّ" مصدر شَوَى وأصله "شَوْيٌ" أدغمت فيه الواو في الياء
(وي ← يّ).

وقد تنضاف نصفـا الحركتين الواو والياء الى الحركتين المناسبتين لهما
فيكونـان معهمـا حركتين طويلتين من ذلك "ـــوُ" تصيـر الى "ـُو" إذا

كان بعدها حرف نحو "يُوقِفُ" اصلها "يُوْقِفُ" ونحو "كُوعٌ" اصلها "كُوْعٌ" وكذلك "ـيِي" تصير "ـيِ" إذا كانت متبوعة بحرف نحو "ميقان" من "ميْقان" ونحو "دِيك" من "دِيْك" . وسنرى بعد هذا اى عند التعرض إلى الحركات الطويلة أن شعور المتكلمين ينزع بهم إلى اعتبار أن هذه الكلمات تحتوى على المجموعتين الاصليتين اى "ـُوْ" و"ـِيْ" اكثر مما ينزع بهم الى اعتبارها تحتوى على حركتين طويلتين هما الضمة والكسرة. وهذا الشعور متحد ورسم هذه الكلمات تقريبا .

وإذا وقعت الواو بعد كسرة قلبت ياء وينتج عن هذه العملية حدوث مجموعة هي : "ـِيْ" تصير كسرة طويلة أي "ـِي" إذا كان بعدها حرف وتبقى على حالها إذا كانت متبوعة بحركة نحو : ـ مِوْلَادٌ ← مِيْلاد ← مِيلاد .

ـ دِوَار ← دِيَار ـ
ـ غَالِوْ ← غَالِي
أنظر سوسين "النحو العربي" ص 21

وأيضا إذا كانت الضمة متبوعة بياء جاز قلبها كسرة تقريبا وسنرجع الى هذا فيما بعد نحو :

ـ بُيْضٌ ← بِيْضٌ ← بِيض
ـ مَرْمُيٌ ← مَرْمِيٌ
أنظر سوسين : نفس المرجع .

واذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة قصيرة قلبتا همزة: نحو "قَاوِل ← قَائِل" و"بَايِع ← بَائِع" و"عَجَاوِزُ ← عَجَائِز" و"جَزَايِر ← جزائر" و"إرْضَايٌ ← إرْضَاءٌ" و"وفَايٌ ← وَفَاءٌ" : أنظر سوسين : نفس المرجع وبروكلمان "المختصر" ١ ، ص 138.

وبالعكس إذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وفتحة قصيرة سلمتا نحو "قَاوَل" و"سَايَر" وأما قولهم في النصب "إرْضَاءً" و"وَفَاءً" فلا يناقض هذه القاعدة كما يظهر لك وإنما ذلك راجع إلى حملهم حالة النصب على حالة الرفع والجر.

وإليك الآن بعض التغييرات التي تطرأ على الواو والياء وهي تغييرات اعتبروها منذ القدم تابعة للهجات الدارجة :

أ) كانت الياء إذا ضعّفت تنزع الى الانقلاب جيما وذلك إما وسطا: من ذلك ما رواه ابن الأعرابي من أن أبا نجم قال في أحد أبياته : أجَّل عوض أيِّل (وهو الغزال) — وإما آخرا أحيانا من ذلك ما ذكره أبوعمرو بن العلاء النحوي من أنه سأل رجلا من بني حنظلة : ممّن أنت؟ فأجابه أنا فُقَيْمِجٌ (أي فُقَيْمِيٌّ من بني فُقَيْم) فالح النحوي في السؤال قائلا: ومن أيِّهِم ؟ فأجابه : أنا مُرِّجٌ (أي مُرِّيٌّ من بني مُرَّة)

وكانت هذه الخاصية في نطق الياء وتسمى "العجعجة" موجودة ايضا عند بني تميم وبني سعد وقضاعة : انظر سيبويه ١ ، ص 361 والزمخشري - ابن يعيش : × ؛ 50—51 وهول : النحو العربي : ١٧ ، ص 1374—1378 وبروكلمان "المختصر" : ١ ؛ ص 139 و 280. ويبدو أن تضعيف الياء في هذه اللهجات قد أدى إلى حدوث شدة جزئية في هذا المضمار اثناء زمن النطق به .

ب) ويبدو أنه يجب رد إتباع كاف المخاطبة عند الوقف بشين عند مضر وربيعة وعند بني بكر إلى هذه الخاصية ومن المحتمل أنه ينبغي تفسير ذلك بتخيل صيغة أولى لهذه الكاف أي "كِي" بكسرة طويلة ثم تصير الى "كِيْ" ثم إلى "كِجْ" وأخيرا إلى "كِشْ" أو "كِسْ" بانتقال الجيم من الجهر إلى الهمس. وقد خلط العرب هذه الظاهرة الغريبة بظاهرة أخرى هي إبدال كاف المخاطبة شينا أو سينا مكسورتين وأطلقوا على الظاهرتين اسم "الكشكشة" و "الكسكسة" : انظر الزمخشري — ابن يعيش ١X ، ص48 وبروكلمان : مختصر ١ ، ص 280

ج) واخيرا فان واوا قلبت ياء في لهجة كنانة وذلك قولهم "يَازِع" في "وَازِع" ولا يمكن مع الأسف أن نعرف هل أن هذه الظاهرة كانت منحصرة في هذه الكلمة وحدها أم هل كانت عامة كما في اللغات السامية الشمال الغربي (أي الكنعانية والآرامية والأوقاريتية : انظر بروكلمان: المختصر : ١ ص 138— 139) .

وأما في الألسن الدارجة العربية العصرية فان الواو والياء بقيتا سالمتين عادة. الا أنه ينبغي أن نذكر الأمور التالية :

قد تفخم الواو في اللهجات الشرقية اما من جراء موقعها نحو قولهم بتدمر: "خوال" (ẖwāl) و"صفو (ه)" (ṣafwa) أي رماد و"دلو(ه)" (dlawa) بتفخيم الواو وقولهم "داو(ى)" (dêwa) و"دو(ى)" (ᵓödwe) و"شوى" (sāwe) وسروال (sirwēl) الخ بترقيقها .

وإما بالطبع نحو قولهم في لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية وبحوارن : عبو(ه) (ᶜabwa) (وهي معلقة أي صفيحة مستديرة من حديد بأسفل المهمز تنظف بها سكة المحراث) وقولهم دو(ا) (dāwa) و"شو (ا)" (šawa) الخ كل ذلك بالتفخيم. انظر كانتينو : "لهجة تدمر العربية" : I ، 46—47؛ ودراسات في بعض لهجات البدو الرحل : I، ص 12—16 و II ، ص 13—14؛ و : لهجات حوران العربية ص 98—99.

وأيضا سقطت الواو في أغلب الأحيان في اللهجات الشرقية من عبارة "بودي" أو "بودك" الخ فتصير عندهم "بدي" (böddi) أو "بدك" (böddak) الخ .

وتدغم الواو في الصاد بلبنان في قولهم "بصّه" (baṣṣa) (أي شرارة) وهو من الفصحى "بصوة" (baṣwat).

وسقطت الياء كذلك في قولهم "سندان" (sendān) من الفصحى سنديان وهو شجر البلوط : انظر فغالي : كفر عبيدة ص 74 .

وسقطت الواو في قولهم في حوران "بسط" (bosṭ) أي يوسط ...

وكذلك سقطت ياء المضارعة بعد باء المضارع عند أهل تدمر وحوران وذلك قولهم "بكتب" (boktob) "بكتبوا" (bokötbu) (أي "يكتب" "وبيكتبوا" (أي "يكتب" ويكتبون) .

وقد أبدلوا من الياء جيما في أكثر لهجاتهم في اسم اليربوع فيقال

في السريانيــة "يَـرْبُوعَـة" (yarbuᶜa) وفي العربية الفصحى "يربوع" وفي اغلب اللهجات العربية" جَرْبُوع (ǧarbuᶜ) انظر موزي ملحق ... 1 ، ص 181.

وقد تجيء الواو مكان الياء والياء مكان الواو ويكثر ذلك نوعا ما في لهجات المغرب العربي كما في لهجات الشرق على حد ســواء نحو قولهم بلبنان : "أيَّام"(ᵓayyem) ، وقولهم في لهجة بني سعيد "قَيَّم"(qǝyyem) أي قُمْ أي أنهض (من الفصحى "قَوَّمَ") وقولهم "عُيَاد" (ᶜǝyād) جمع عَوْد (ᶜawd) وهو الحصان من قولهم في الفصحى "عَوْد" وهو المسن من الابل والشاء) وقولهم "تَوَارِس" (twāres) جمع تِيرِس (tīres) وهي الارض السوداء ونحو قولهم بلبنان "أَزْوِد" (ᵓazwād) (أي "أَزْيَد" في الفصحى) ، "اتْوَيْنِـ(ى)" (twayne) تصغير "تِيـن" ونحو قولهم في لهجة بني سعيد "عـوينـ(ـه)" (ᶜǝwīna) تصغير "عَيْن". ارجع فـيما يتعلق بهذه الامثلة الى و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص 29—30، وفغالي "... عبيـدة" ص 75.

وكثيرا ما يذهب ... العصريـون الى أن الواو والياء تنقلبان حركتين الى ضمة وكسرة في ... مواقعهما فيكتبون مثلا "يَمُوت" بالأحرف اللاتينيَّة هكذا (imūt) (أي بكسرة عوض الياء التي في أول الكلمة) وكذلك يرسمون "وكيل" هكذا : (ukīl) (اي بضمة عوض الواو) ويرسمون "دلـو" هكذا dalu (اي بضمة عوض الواو) ويرسمون "جَدْي" هكذا : (ǧedi) (أي بكسرة عوض اليـاء).

إلا أن هذا الرأي لا يوافق شعور المتكلمين بالعربية اذ يعتبرون أن الواو والياء تحتفظان في هذه المواقع بقيمتهما الحرفية. فينبغي إذن ان نرسم هذه الكلمات من حيث علم وظائف الاصوات على الصورة التالية: يموت = ymūt — وكيل = wkīl — دلو = dalw — جدي = žedy

نـظـام الحركـات

ا) عـمـومـيـات

1 ـ عـمـومـيـات صـوتـيـة

تختص الحركات ـ كما سبق لنا ان رأينا ذلك صفحة: 20 ـ بانعدام قيام الحاجز في جهاز التصويت فيمر النفس المجهور (1) حرّا طليقا عند النطق بها.

ويمكن ترتيب الحركات حسب مواقع الأعضاء عند النطق بها وتسمى أصناف المواضع (classes de localisation) وحسب مدى انفتاح جهاز التصويت (وتسمى درجات الانفتاح) وحسب ما يختص به نطقها من خصائص (وتسمى صفات النطق) ويكون اجتماع جميع هذه العناصر ما يسمى بجرس الحركة .

أ) اصناف المواضع

يجب اعتبار عاملين اساسيين في هذا المضمار : موقع اللسان من الفم وصورة الشفتين.

ـ فقد يتجمع اللسان في مقدم الفم تحت الحنك الادنى فيحدث اذ ذاك حركات أدنى حنكية أو أمامية وقد يكون تجمعه في مؤخر الفم تحت الحنك فننطق إذن بحركات أقصى حنكية أو خلفية وقد يكون موضع تجمع اللسان وسطا فننطق إذ ذاك بحركات وسط حنكية أو وسطية .

ـ وقد تصور الشفتان فرجة مستديرة تختلف ضيقا واتساعا فتخرج

(1) ليس ثمة حركات مهموسة اذ ان جميع الحركات تكون مصحوبة بتزيز الأوتار الصوتية فهي اذه دائما مجهورة .

إذ ذاك الحركات حركات مستديرة وبالعكس قد تصور الشفتان شقًا أفقيا يختلف مدى طوله فتكون عندها الحركات منفرجة .

واذا جمعت هذين العاملين أمكنك تقسيم الحركات حسب الأنواع التالية :

حركات امامية منفرجة : وهي الكسرة (i) و e (1) (é) في الفرنسية)

حركات أمامية مستديرة : وهي ü و ö (2) (اي u و eu في الفرنسية)

حركات وسطية منفرجة ؛ } وهي أنواع مختلفة من الفتحة (a)
حركات وسطية مستديرة : }

حركات خلفية منفرجة : وهي الـ: (كسرة) التي بدون نقطة في التركية

حركات خلفية مستديرة : وهي الـ : o والـ u (3) (اي ou في الفرنسية)

أما في ميدان التطبيق فليس ثمة لغة تستعمل أصناف المواضع الستة هذه استعمالا وظائفيا أو تمييزيا .

ومن اللغات (كاللغة التركية مثلا) ما يستعمل فيها أربعة أصناف

---

(1) يمكن اعتبار هذه الحركات شبيهة جدا بالفتحة الممالة امالة شديدة دون بلوغ درجة الكسرة : (المعرب) .

(2) الـ ü حركة لا مقابل لها في العربية تحدث بأن تمطط شفتيك وتجعلهما على صورة الدائرة عند النطق به . والـ ö منعدم كذلك وهو أقل تمطيطا واستدارة من سابقه .

(3) اما الـ u فالضمة واما الـ o فضمة متفتحة بعض الشيء (تعليق المعرب) .

من أصناف المواضع الستة ويبدو هذا العدد حدا أقصى. ومنها ما يستعمل فيها ثلاثة مثل اللغة الفرنسية وبعض اللغات لا يستعمل أهلها إلا صنفين من ذلك فقط ومن بين هذه اللغات اللغة العربية كما سنرى ذلك .

ب) درجات الإنفتاح : قد يختلف مدى انفتاح جهاز التصويت عند النطق بالحركات فيكبر ويصغر ولذلك وجب أن نميز بين الحركات المنغلقة والحركات المنفتحة : من ذلك اللغة الفرنسية نميز بين ǫ منفتحة كما في كلمة (pomme) (أي تفاحة) مثلا وبين ọ منغلقة كما في كلمة (paume) (اي كف اليد) مثلا وكذلك نميز بين ę منفتحة كما في كلمة (épais) (أي غليظ) وبين ẹ منغلقة كما في كلمة(épée) (أي سيف).

ومن اللغات (كاللغة الفرنسية) ما نجد فيها اربع درجات انفتاح مختلفة مثال ذلك الحركات الخلفية u — ọ — ǫ — a والحركات الامامية i — ẹ — ę — a

ومن اللغات ما نجد فيه ثلاث درجات انفتاح مثل اللاتينية القديمة. ومنها ما فيه الا درجتا انفتاح وهي الحال في اللغة العربية .

ومما يجدر ملاحظته أن الحركات التي من نوع " a " (أي الفتحة) تمثل أكبر درجة من انفتاح بينما تمثل الحركات التي من نوع " u " (أي الضمة) أو " i " اي الكسرة أصغر درجة منه واما الحركات التي من نوع " o " و " e " فتمثل متى وجدت في اللغة درجة أو درجات وسطى من الانفتاح .

ج) صفات النطق : وإلى جانب أصناف مواضع النطق ودرجات الانفتاح ينبغي التمييز بين خاصيات مختلفة أخرى يختص بها نطق الحركات أهمها الخاصيات التالية :

- المدى : يطلق اسم حركات طويلة على الحركات التي يمتد لها إخراج النفس امتدادا يصير معه مدى النطق بها مساويا لمدى النطق

بحركتين بسيطتين بل وقد يتعدى ذلك. وترسم هذه الحركات الطويلة بواسطة خط قصير أو بواسطة العلامة (^) المسماة بالفرنسية "accent circonflexe" (أي نبرة معقفة). ويكتب هذان الرمزان فوق الحركة البسيطة المناسبة على النحو التالي : a ā — e ē — u ū الخ.

وليس يقابل الحركات الطويلة الحركات العادية أو القصيرة فقط بل ويقابلها أيضا الحركات القصيرة للغاية وهي حركات يكون مداها قصيرا قصرا غير معهود : فيدوم النطق بها نصف الفترة التي يدوم نطق الحركة البسيطة أو حتى أقل من ذلك وكثيرا ما تخلو هذه الحركات القصيرة للغاية من كل قيمة وظائفية إذ أن المتكلم لا يشعر بوجودها وترسم هذه الحركات بواسطة علامة الحركات البسيطة المناسبة ولكن بخط أصغر حجما وفوق السطر على النحو التالي : ᵃ ᵉ ᵘ

ـ الخيشومية : يطلق لفظ "خيشومية" على الحركات التي ينخفض غشاء الحنك عند النطق بها فيمر جزء من الهواء من الأنف : نحو قولهم في الفرنسية an - ain - on - un ويقابل الحركات الخيشومية الحركات الفموية وهي التي يستعلي غشاء الحنك عند النطق بها فيمر جميع النفس من الفم فقط.

وترسم هذه الحركات بواسطة العلامة (˜) وتسمى (tilde) (تيلْدْ) مكتوبة فوق علامة الحركة الفموية المناسبة : فترسم الكلمات الفرنسية المذكورة أعلاه مثلا هكذا : ã - ẽ - õ - ẽ

الظواهر التعاملية

قد تؤثر الحروف أو الحركات في نطق الحركات المجاورة لها فينتج عن ذلك تغييرات مختلفة تلحق هذا النطق. فقد يطرأ على الحركات ما يطرأ على الحروف من عمليات صوتية مثل التماثل والتباين والقلب نحو ما وقع في العربية من تأثير حركة في حركة أخرى على سبيل التجانس في قولهم "فِي رِجْلِهِ" عوض قولهم "فِي رِجْلِهُ". وكذلك من المحتمل

كثيرا أن سبب قولهم في العربية "إبراهيم" بكسر الهمزة في حين أن هذا الاسم هو في العبرية "أبرهيم" (ᵓAbrāhām) بفتح الهمزة هو حدوث عملية تباين بين حركتين وأما القلب فمثال من أمثلته الجيدة قولهم "المرْأة" و"امْرَأة" بتبادل الفتحة والراء مكانيهما من كلمة الى كلمة.

2 ــ نظام الحركات في السامية، ــ في حدود ما يمكننا الآن الاعتماد عليه في حكمنا يبدو ان السامية كان فيها نظام حركي بسيط جدا ينحصر في ثلاث حركات تجيء كل واحدة منها اما طويلة واما قصيرة ويمكن تصوير هذا النظام هكذا .

ā a

ū ī u i

3 ــ نظام الحركات في العربية القديمة

لقد احتفظت العربية القديمة بهذا النظام الحركي البسيط للغاية احتفاظا كاملا تقريبا : فينحصر نظامها في ثلاثة أجراس ويكون لكل جرس منها صورتان اما قصيرة أو طويلة . ولذا يمكن أن نصوره كما صورنا نظام السامية تماما اي هكذا :

ـَا ـَ

ـُو ـِي ـُ ـِ

فقد كان في العربية الفصحى صنفان من أصناف المواضع أي حركات خلفية مستديرة هي الضمة والضمة الطويلة وحركات أمامية منفرجة هي الكسرة والكسرة الطويلة وأما الفتحة والفتحة الطويلة فهما وسيطتان من حيث علم الاصوات وخارجتان عن أصناف المواضع من حيث علم وظائف الأصوات وذلك لانه لا وجود لحركات أخرى من نفس درجات انفتاحهما.

وكان في العربية أيضا درجتان من درجات الانفتاح فالكسرة والكسرة الطويلة والضمة والضمة الطويلة حركات منغلقة بينما الفتحة والفتحة الطويلة حركتان منفتحتان .

ولم يكن في العربية حركات خيشومية – على الأقل من الناحية النظرية فاجتماع أصناف المواضع ودرجات الانفتاح كاف لاحداث. ذلك النظام المثلث المتكون من ثلاثة أجراس المذكور أعلاه وعلاوة على ذلك فقد كان في العربية القديمة مداءان حركيان هما الحركات القصيرة أي الضمة والفتحة والكسرة ويقابلها الحركات الطويلة وهي الضمة الطويلة والفتحة الطويلة والكسرة الطويلة. وكان لهذه المقابلة بين مدى قصير ومدى طويل في الحركات أعظم دور في إيقاع اللغة.

ولننظر الآن في نظرية النحاة العرب فيما يتعلق بنظامهم الحركي. ويطلق هؤلاء النحاة على ما يسمى في الفرنسية " voyelle brève " اسم : حركة وتجمع على "حركات". ومعنى ذلك أنها "حركة الحرف" ويدل هذا اللفظ دلالة واضحة على أنهم كانوا يعتبرون الحركة القصيرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحرف السابق لها فالحركة القصيرة هي إذن عندهم مجرد ذيل للحرف : وقد أفضى هذا الاعتبار شيئا من الغموض على كامل نظريتهم الصوتية .

ويميز النحاة العرب تمييزا صحيحا بين ثلاثة أجراس حركية أساسية الفتح أي (a) والكسر أي (i) والضم أي (u) بل ويذكرون عند الاقتضاء أضربا ثانوية أخرى من الأجراس كالإمالة والتفخيم والإشمام وسنرى ذلك بالتفصيل فيما بعد .

ويعتبر هؤلاء النحاة الحركات الطويلة ناتجة عن اجتماع حركة قصيرة وواحدة من أنصاف الحركات أي الواو أو الياء او الألف ولذلك تسمى انصاف الحركات هذه عندهم : حروف المد اي حروف مد الحركات السابقة. وبعبارة اخرى كانو يعتبرون الحركات الطويلة حركات مزدوجة على النحو التالي : بالاحرف اللاتينية ū = uw و ī = iy و ā = a الألف. وسنرى فيما بعد أن لهذه النظرية ما يبررها جزئيا من الناحية الوظائفية. والحركات الطويلة عرضة لمختلف الاعتلالات في الجرس مثل الإمالة والتفخيم والإشمام اكثر من الحركات القصيرة .

وقد تصير الحركات الطويلة في بعض الظروف المعينة عند تلاوة

القرآن حركات طويلة للغاية فيبلغ مداها احيانا عدة ثـوان.

ونجد من ناحية اخرى في بعض المواقع منذ العربية القديمة بعض الحركات القصيرة للغاية سماها النحاة رَوْمًا او اختلاسا بـل وحتـى إشماما.

ولذا فسندرس نظام الحركـات في العربية في ثلاثـة ابواب اساسية هي الحركـات الطويلة والحركات المزدوجة ثم الحركات القصيرة ثم الحركات القصيرة للغـايـة.

وقد اكتفى النحاة العرب بملاحظة طروء الظواهر التعاملية على الحركات ولم ينظموا تلك الظواهر في نظرية عامة شبيهة بنظريتهم في "الادغـام" المتعلق بالحروف وسندرس هذه الظواهر التعاملية الطارئة على الحركات داخل كل باب من الأبواب الأساسية الثلاثة المذكورة اعلاه كما فعلنا ذلك بالنسبة إلى الحـروف .

4 – انظمة الحركات في مختلف الألسن الدارجة العربية

لقد طرأت في الألسـن الدارجة العربية تغييرات مختلفة على نظام الحركات العربي القديم منهـا – اولا – التغييرات الطارئة على الأجراس إذ ان التغييرات الجرسية المعروفة في العربية القديمة قد تطورت وزاد عددها إلا انـه ليس لهـا في الأغلب اية قيمـة وظائفيـة

وثانيا : التغييرات الطارئة على "المـدى" فلئن ثبتت الحركـات الطويلة في العادة ثبوتا يكاد يكون كاملا فإن كثيرا من الحركات القصيرة إما اصبحت حركات قصيرة للغاية وإما سقطت بينما نشأ عدد من حركـات الفصل القصيرة للغاية او القصيرة في مواقع مختلفة. فنتج عن ذلك ان اعتـل تركيب المقاطع في كثير من الألفاظ اعتلالا ذا بال وان حوّر ايقاع اللغة الكمي نفسه تحورا جزئيـا .

الحركات الطويلة

كان في السامية كما سبق لنا ان راينا ثلاث حركات طويلة هي : ـــو ـــ ـــا ـــ ـــي وقد احتفظت العربية القديمة بهذا النظام الحركي الثلاثي احتفاظا كليا. وسندرسه من اربع حيثيات هي : الرسم والكمية والأجراس والقيمة الوظائفية .

أ) الرسم : ينحدر الخط العربي عن إحدى الخطوط الآرامية هو الخط النبطي (١) . وكانت الواو والياء في الخط النبطي (كفي سائر الخطوط الآرامية) تستعملان لرسم الضمة الطويلة "ـُو" والكسرة الطويلة "ـِي" سواء في آخر الكلمات او في وسطها ولذلك تسمى الواو والياء باللاتينية "أمي القراءة" (matres lectionis) الا انهم كانوا لا يرسمون الفتحة الطويلة "ـَا" بهذا الخط الا إذا وقعت آخرا فيرسمونها بواسطة علامة الحرف الشديد الأقصى حلقي (أي الهمزة) (وقد ضعف ذلك الحرف عندهم ضعفا بالغا) ويسمى "الآلب" (leʾālap)

• وقد طور الخط العربي الخط النبطي في هذا السياق فأحدث نظاما منطقيا لرسم الحركات الطويلة وذلك باستعمال الواو والياء لرسم الضمة الطويلة والكسرة الطويلة وباستعمال الألف لرسم

---

(١) النبط قوم أغلبهم عربي الأصل كونوا من القرن الأول قبل المسيح الى القرن الأول بعده دولة من أصحاب القوافل والتجار وامتدت هذه الدولة على تخوم سوريا وفلسطين بما في ذلك حوران والأردن وقسم كبير من الحجاز • ويبدو أن لغة تخاطبهم كانت العربية الا أنهم كانوا يستعملون في كتابتهم لغة حرفائهم من سوريا وفلسطين أى الآرامية • لكن النصوص الآرامية التى كتبوها قد احتوت على عدة تعابير خاصة بالعربية بل ويمكن اعتبار لغة بعض هذه النصوص عربية • وفعلا فان اول نص معروف هو مرقومة « النمارة » (شرقي جبل الدروز) المؤرخة في سنة 328 (بعد المسيح) وهى نصب تذكارى عن موت امرىء القيس « ملك جميع العرب » وهى محررة بالخط النبطي ولكن باللغة العربية (عدا بعض الجزئيات) •

الفتحة الطويلة اذا وقعت آخرا وكذلك اذا وقعت وسطا : وهكذا تكون نظام ما سموه "حروف المد".

الا ان هذا النظام لم يتكون من اول وهلة فلم نرهم استعملوا الالف لرسم الفتحة الطويلة داخل الكلمات في نصوصهم الاولى : ومثال ذلك انعدام هذه الالف الوسطى من مرقومة "النمارة" ومن اقدم مخطوطات القرآن.بل واهمال الالف الوسطى من كتابة بعض الكلمات الكثيرة الاستعمال امر جائز حتى الآن في رسم الفصحى من ذلك "الله" و"اله" و"رحمن" "وهذا" و"ذلك" و"لكن" و"قيامة" ... الخ .

على انه يجوز رسم الالف في هذه الحال فوق هذه الكلمات في صورة خط عمودي صغير.

وكذلك اهملوا رسم الكسرة الطويلة في آخر كلمة "هذه" وكذلك رسموا ضمة طويلة قديمة في صورة واو ممدودة في اسم الاشارة للجمع "الأولى" ومشتقاته وذلك رغم ان الضمة فيه قصيرة. وسنرى بعد هذا عدة امثلة قصرت الحركات الطويلة فيها تقصيرا ومع هذا فقد استمروا في رسمها طويلة .

ب) الكمية :

جاء في نص هام للفارابي، ذكره "برافمان" في "مواد... ص 13 مايلي : "الألف" (اي الفتحة الطويلة) متكون من فتحتين والواو من ضمتين والياء من كسرتين" وفي هذا النص دليل اساسي على ان الناطقين بالعربية يشعرون بان الحركة الطويلة تضاهي حركتين قصيرتين وذلك كما يفعل الناطقون بلغات اخرى يلعب الإيقاع الكمي فيها دورا اساسيا.

وقد ثبتت كمية الحركات الطويلة السامية القديمة عادة في العربية القديمة ومرد ذلك الى كون هذه الحركات الطويلة القديمة تمثل مبدئيا اقوى قسم من اقسام نظام الحركات .

بيد ان هذه الحركات الطويلة تنزع إلى القصر إذا وقعت في المقاطع المنغلقة (1). من ذلك قولهم في الأجوف في صيغ الأمر وصيغ المضارع المجزوم التي لا تنتهي بزوائد خلفية عنصرها الأول حركة "نَمْ" و"يَنَمْ" (من المضارع "يَنامُ") و"قُمْ" و"يَقُمْ" (من المضارع المرفوع "يَقُومُ") و"سِرْ" و"يَسِرْ" (من المضارع المرفوع يَسِيرُ) فقد صيروا الحركة الطويلة في كل ذلك الى حركة قصيرة.

ويقع مثل ذلك في الحركة الطويلة إذا كانت في كلمة مضاف اليها او حرف جر وكان المضاف او المجرور يبتدىء بحرفين نحو قولهم "ذُو الحِمَارِ" تنطق "ذُولْحِمَارِ" وقولهم "في البَيْتِ" تنطق "فِلْبَيْتِ".

إلا ان تقصير الحركات الطويلة لا يقع إذا خشي به ان يؤدي الى الإلتباس من ذلك ان الفتحة الطويلة التي بعد التاء في قولهم "حلَقْتَا البِطَانَ" تبقى طويلة إذ لو صارت قصيرة لأدى ذلك إلى الإلتباس بـ"حَلَقَةَ البِطَانِ" من قولهم "رايت حلقَةَ البِطَـان"

وكذلك تثبت الحركات الطويلة إذا وقعت قبل حرف مضاعف من ذلك الصيغ التي عينها ولامها من جنس واحد كقولهم : "الدَّابَّة" (واصله دابِبَة) و"مادّ" (واصله مَادِدَ) و"لا الضَّالِّينَ" (واصله ولا الضَّالِلِيـن).

وكذلك تثبت الحركة الطويلة في صيغة : "افْعَالّ" كقولهم : "اصْفَارّ". واخيرا فان الحركات الطويلة تثبت كذلك في المقاطع التي صارت منغلقة من جراء سقوط حركاتها النهائية عند الوقف نحو قوله "هُدًى لِلْمُتَّقِينْ" (قرآن II ، 1) عوض هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (بروكلمان "المختصر" 1 ، ص 63).

وقد تقصر بعض الحركات الآخرة فيما يبدو وذلك في بعض الحالات الخاصة من ذلك ان الفتحة الطويلة في ضمير المتكلم المنفصل "انَا"

---

(1) لنذكر بان لفظ « مقطع منغلق » يطلق على كل مقطع ينتهي بحرف وان لفظ « مقطع منفتح » يطلق على كل مقطع ينتهي بحركة مثال ذلك قولك « قتلت » فالمقطع الأول فيه أي « ق » والمقطع الأخير أي « ت » مقطعان منفتحان بينما المقطع الثاني منه أي « تل » مقطع منغلق .

(وضمان طولها في العربية القديمة وجود حركة خلفية نصف منغلقة طويلة (ō) في نفس الضمير في العبرانية وهو : "أنوخي" (ʼanōḵī) تقصر عادة وخاصة في الشعر على ان سيبويه يذكر (حسب ابن يعيش IX ، ص 83) ان نافعا كان يقرأ بفتحة طويلة قوله : "أنا أُحْيِي وأُمِيتُ" (قرآن II ، 260) وقوله : "انا آتيك به" (قرآن XXVII 39—40) وعن ابن يعيش في نفس المرجع ان سيبويه ذكر ايضا ابياتا مختلفة من الشعر يكون تقطيع ضمير المخاطب المتصل فيها هكذا:(ᴗ —) (اي انا بفتحة طويلة بعد النـون) .

وقد تقصر في الشعر احيانا الفتحة الطويلة في ضمير المتكلمين المتصل "نَا" وفي ضمير المتكلمين في الماضي "نَـا" (انظر بروكلمان : المختصر: I ، ص 74) وكذلك يجوز تقصير الفتحة الطويلة في اسم الاشارة المبهم "ما" اذا كان مسبوقا بحرف من حروف الجر نحو قولهم : "بِمَ" و"لِمَ" و"حتَّامَ" و"إلامَ" ... الخ .

وكذلك يجوز تقصير الكسرة الطويلة إذا وقعت آخرا وذلك قولهم "للأيْدِ" في "للأيْدِي "(قرآن XXXVII ، 16) و"نَبْغِ" في "نَبْغِي" (قرآن XVIII ، 63) وقد ذكر النحاة جواز قراءة "القاضِ" عوض "القاضي" و"الرَّامِ" عوض "الرامي". وكان النافع وابن العلاء يقرآن "من يهدِ اللهُ فهو المهتدِ" عوض "المهتدي" (قرآن XVIII 16) : انظر الزمخشري – ابن يعيش IX ، ص 74—75 وبروكلمان : المختصر : I ص 75 حيث يذكر بعض امثلة اخرى مستقاة من الشعر خاصة .

وعن بروكلمان ايضا ان ضمائر الرفع المتحرك في الماضي اي "تَ" و"تُ" و"تِ" كانت حركاتها طويلة في البداية ثم قصرت فيما بعد. وسنظر فيما بعد اي في باب "المقطع والنبرة والإيقاع" في بعض الحالات التي يبدو ان كمية الحركة الاخيرة التابعة للزوائد الخلفية فيها مرتبطة بكمية المقطع السابق .

وقد يزاد في التجويد على طول الحركات الطويلة فتنقلب حركات

طويلة للغاية بل وقد يتعدى مداها في مقاطع الوقف الثانية انظر فيما يتعلق بهذه الزيادة في طول الحركات وتسمّى مدّاً – ما جاء عند أ. بريتزل علم التجويد في مجلة "اسلاميكا" (Islamica) VI ص : 300–303، وعند برافمان : مواد ... ص 76–81.

واما في الالسن الدارجة العربية الحديثة فان الحركات الطويلة القديمة قد ثبتت عادة ثبوتا كاملا : فتكاد لا تسقط البتة. واما الصيغ التي مثل "وَاد" (wād) (وهي "وادي" (wādī) في اللهجات الشرقية) و"بَاز" (bāz) (وهي البازي في الفصحى) و"مَاش" (māš) في لهجة تونس (وهي ماشي (māšī) في لهجات اخرى) ... الخ فليست صيغا دارجة حديثة وانما مرجعها الى صيغ وقف كانت موجودة منذ العربية القديمة. انظر في هذا و. مارسي : اولاد ابراهيم ص 45.

وقد سقطت بعض الحركات الطويلة القديمة الأخرى من نهاية الكلمة وذلك لأسباب صرفية : فقولهم "مُوسْ" (mūs) في اكثر اللهجات عوض "موسَى" في الفصحى كانهم ارادوا به المذكر باعتبار موسى مؤنثا. وكذلك فيما نعتقد ينبغي تفسير قولهم "جْمَاد" (žumād) عوض "جُمَادَى" واما "بِالسِّيَاس" (bes-syās) عوض بالسِّيَاسَة و"فِي سَاع" (fī-sāᶜ) عوض "في ساعة" فكأنهم اعتبروها صيغا قصيرة إلى جانب صيغ مطولة بالفتحة ... الخ (و. مارسي نفس المرجع).

ولئن كان سقوط الحركات الطويلة القديمة امرا شاذا قبل ما يكون لأسباب صوتية فإن تقصيرها كثير بالعكس في اللهجات المغربية : فكما تنزع الى إسقاط الحركات القصيرة في المقاطع المنغلقة (وسنرى ذلك فيما بعد) فكذلك تنزع الى تقصير الحركات الطويلة القديمة ويقع هذا التقصير خاصة :

أ) في آخر الكلمات مطلقا نحو قولهم : "انْسَ" (nsā) في "انْسَى" اي "انْسِي"

ب) في جوار بعض الحروف كوقوعها آخرا قبل العين او الحاء

نحو قولهم في كثير من اللهجات الحضرية "صْبَعْ" (ṣbaʿ) و"ذْرَعْ" (draʿ) و"كْرَعْ" (kraʿ) و"جْنَحْ" (ğnaḥ) في "صْبَاعْ" (ṣbāʿ) (اي اصبع) و"ذْرَاعْ" (ḏrāʿ) (اي ذراع) و"كْرَاعْ" (krāʿ) (اي كراع) و"جْنَاحْ" (ğnāḥ) (اي جناح) ومن ثم قالوا "صُبْعِي" (ṣöbʿi) و"ذِرْعِي" (derʿi) و"كِرْعِي" (kerʿi) و"جِنْحُ" (ğenḥo) في "صْبَاعِي" (ṣbāʿi) و"ذْرَاعِي" (ḏrāʿi) و"كْرَاعِي" (krāʿi) و"جْنَاحُ" (ğnāḥo) (اي جناحه).

ج) واحيانا إذا وقعت اول عنصر من عنصري الحركات المزدوجة نحو قولهم "كَيْـنْ" (käin) دون كَـايِنْ (kāin) عـادة

د) واحيانا إذا وقعت في مقطع منغلق نحو قولهم "انْقُلَّكْ" nqöllek (عوض "نْقُولَكْ" (nqōllek) (اي أقول لك).

ه) وإذا وقعت كلمة تحتوي على حركة طويلة اخرى : نزعت الحركة الطويلة التي لا تقع عليها النبرة الى القصر نحو قولهم "كَنُونْ" (känūn) و"فِيرَانْ" (firān) و"مُحُودْ" (muḥūd) في "كَانُونْ" (kānūn) و"فِيـرَانْ" (fīrān) و"مُوحُودْ" (mūḥūd) (اي كانون وهو المجمرة وفيران وماخوذ).

واخيرا فإنه يبدو ان مدى الحركات الطويلة القديمة كثيرا ما يكون متعلقا بطول بقية الكلمة الواقعة بعدها : فكلما كانت الحركة الطويلة اقرب من نهاية الكلمة كانت اطول : انظر فيما يتعلق بهذه القواعد ما جاء عند م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 134–138، اذ ان هذه القواعد لا تنطبق على هذه اللهجة فقط بل وايضا على كثير من لهجات المغرب العربي الأخرى.

ج) الاجـــــراس

يجتهد الخط العبري في رسم جميع الأجراس الحركية بدقة تشبه دقة كتابتنا الصوتية وبخلاف ذلك فإن الرسم العربي رسم وظائفي اي انه

لا يراعي فيه الا المقابلات الجرسية التي تميز بين الصيغ النحوية او الالفاظ. ولذلك اكتفوا بثلاثة اجراس اساسية من الحركات الطويلة اي "ـَـا" و"ـِـي" و"ـُـو".

الا ان النحاة العرب قد شعروا شعورا كاملا بأن هذه الاجراس انما هي اجراس وظائفية وان في النطق بكل منها فُوَيْرِقَاتٌ صوتية.

وقد اهتدوا إلى ثلاثة انواع من هذه التغييرات في اجراس الحركات هي : الإمالة والتفخيم وتختصان بالفتحة الطويلة "ـَـا" من جهة والإشمام ويختص بالكسرة الطويلة "ـِـي" من جهة اخرى ويقول النحاة العرب ان الامالة هي جنوح بالألف إلى صوت الياء (وبالفتحة إلى صوت الكسرة). ونقول اليوم في اصطلاحاتنا الصوتية إن الامالة هي نطق الفتحة (ـَـ) نطقا اماميا فيقترب مخرجها من مخرج الـ " e " في الفرنسية بل وحتى الـ " i ".

وينبغي الرجوع في ما يتعلق بهذه المسألة الهامة إلى : سيبويه II ، ص 279—294، والزمخشري — ابن يعيش : IX ، ص 53—66 والداني: "التيسير" ص 46—53، و م. ث. غرونرت (M. Th.Grünert) الامالة اي "الأُومْلَوْطْ" (1) في العربية في "تقرير جلسات اكادمية فينة" — قسم الفيلولوجيا والتاريخ L XXXI ، ص 447—542.
«Die Imàla, der Umlaut in Arabischen», in SbWA Phil. hist. Klasse
ي. كرباسك (J. Karabacek) "في معرفة الأُومْلَوْطْ" (اي الامالة) في العربية «Zur Kenntnis des Umlautes in Arabischen» in Mitteil a. d. Samml d. Pap. Erzh. Rainer . V. 62- 9 : ص ، وي . بارت (J. Barth) وأ. فيشر (A. Fischer) الـ " e " في السامية الأصلية (Ursemitische«e») الصادر في مجلة جمعية الاستشراق الألمانية (ZDMG) LIX ص 633—671

— وشر. سَرَاوْ (Chr. Sarauw) : اتساع في الألسن الدارجة

(1) الأُومْلَوْطْ (der Umlaut) لفظة المانية تطلق على الحركات الممالة في الالمانية — المترجم .

في العربية القديمة في "مجلة الدارسات الأشورية" Die altarabische Dialektspaltung in ZA. XXI ص 31—49

ـ وك. فولرس : لغة الشعب" K. Vollers. "Volkssprache ص15—18

ـ ح. مانسون : لسان بيروت العربي الدارج العلمي ص 65—72
Dialecte arabe vulgaire de Beyrouth - H. Mattsson

ـ و. مانسون : فصل "إمالة" في دائرة المعارف الاسلامية II ،
Encyclopédie de l'Islam - art. «Imala» - E. Mattsson. 502 ص

ـ وأ. شاده : علم الاصوات عند سيبويه ص 35—45.
Sibawaihis Lautlehre A. Schaade

ـ وبروكلمان : المختصر ...، ص 141—142 Brockelmann Grundriss

ـ وبرافمان : مواد... ص 34—35 Bravmann - Materialen p. 34—35)

ـ ونولدكه (برغشتراسر—براتزل) تاريخ القرآن: III ص 36—41—و197
Noldeke (Bergstrasser - Pretzl). Geschichte des Korans. III. : 198—

ـ وأ. برتزل : علم التجويد في اسلاميكا VI ص 318—326
O. Pretzl. «Die Wissenschaft der Koranlesung» - Islamica VI.

ويميز النحاة العرب بين الأمالة الشديدة او "المحضة" اي إمالة تبلغ الـ " e " (وهي حركة امامية نصف منغلقة) بل وحتى الـ " i " (اي الكسرة) وبين "إمالة بين بين" او "المتوسطة" بكون الصوت فيها بين الفتحة (a) والكسرة (i) اي (ä) في المرجح.

ولهم نظريات في اسباب الامالة فهم يعتبرونها ظاهرة مقيدة : فالذي ينحو بالألف نحو الكسرة عندهم هو وجود ياء اصلية في الكلمة او وجود ياء او كسرة في المقطع المجاور للالف. وعرض سيبويه لهذه المسألة عرض مبين : فقد زعم ان الالف تمال اولا اذا كان في المقطع الموالي لها كسرة نحو "عابد" و"عالم" و"مساجد" و"مفاتيح"

و"عذافِر" (فعّال في الجمل القوي) و"هابيل" وثانيا – إذا كان في المقطع السابق لها كسرة نحو "عِماد" و"كِلاب" و"سِربال" (وهو القميص او الدرع) و"شِملال" (وهي الناقة السريعة) – واخيرا إذا كان في اصل الكلمة ياء من ذلك نطقهم بالامالة في ماضي الأفعال الناقصة اليائية نحو "بكَى" و"رمَى" و"مشَى" كذلك في الأسماء المقصورة التي تنتهي بألف مقصورة اصلها ياء نحو "حبلَى" و"معزَى" وكذلك في ماضي الأجوف اليائي نحو "بَاد" (اي اضمحل) و"فَال" (اي ضعف) و"نَابَ" (اي ضربه على نابه) ... الخ .

ولنا ان نتردد في قبول هذا التفسير إذ هو لا يطابق الأمثلة الواردة في لغة التخاطب وإذ ان تطبيقهم له على كثير من الحالات الخاصة كان اقرب إلى البراعة منه الى إرضاء العقل والدليل على ذلك انهم اضطروا في تفسير إمالة "غزَا" و"صفَا" و"دعَا" وهي افعال ناقصة واوية إلى الركون إلى صيغة المبني المجهول نحو "غُزِيَ" او إلى صيغ المزيد نحو "اغزَى" (بالف مقصورة اصلها ياء) وذلك لأن في هذه الصيغ ياء وكذلك اضطروا في تفسير إمالة "مَاتَ" واصله مَوَتَ بالواو إلى الالتجاء إلى صيغة المتكلم في الماضي وهي "مِتُّ" وذلك لاحتواء هذه الصيغة على كسرة. ومن ذلك يظهر ما في مثل هذه التفسيرات من تكلف ولما لم يمكنهم الالتجاء إلى هذا النوع من التفسير في بعض الحالات الأخرى نحو حالة إمالة كلمة "الحَجَّاج" فقد اضطروا إلى الاكتفاء بقولهم ان امالة الحجاج راجع الى استعمال اكثر العرب (انظر سيبويه II : 285) وهو افضل.

وليس معنى ذلك ان السبب الذي ذكروه للامالة باطل محض (فهناك لغات تصير فيها الفتحة الى فتحة ممالة إمالة خفيفة (ä) او شديدة (e) وذلك بتأثير كسرة (i) موجودة في مقطع مجاور من ذلك عملية "الأوملوط" في اللغات الجرمانية مثلا).

الا ان هذا التفسير لا ينطبق على حالة اللغة العربية فيجب اعتبار الامالة ظاهرة مطلقة تصيب جميع الفتحات الطويلة (على انه يمكن التمييز في هذا الصدد بين الفتحات الطويلة الواقعة داخل الكلمة والفتحات الطويلة الواقعة آخرها) ما لم يطرأ عليها مانع من موانع الامالة .

ولئن لم يوفق النحاة العرب في تفسيرهم لاسباب الامالة فإننا بالعكس نوافقهم تمام الموافقة في ضبطهم لموانع الامالة اى الحروف التي إذا جاورت الألف منعت امالتها وهي الحروف السبعة المستعلية الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والخاء والغين وكذلك الحرفان المفخمان في بعض مواقعهما اي الراء واللام. ومن الملاحظ ان الحاء والعين لم يذكرا عادة في قائمة موانع الامالة .

ولا يبطل مفعول هذه الحروف في منع الإمالة إلا القياس فقد جاء في تعليم سيبويه وجوب قراءة "قاعِد" و"غائِب" و"خامِد" و"صاعِد" وطائِف" "وضامِن" و"ظالِم" (II ص 285) وكذلك "راشِد" و"واقِد" بدون إمالة .

إلا ان سيبويه يقول (II ، ص 281) بأنه يجب قراءة "خافَ" بالامالة (رغم وجود الخاء) وذلك لأن في صيغة "خِفْتُ" كسرة وكذلك "طاب" (للكسرة في طِبْتُ) و"سار" (للكسرة في سِرْتُ) وفي ذلك ما فيه من الغرابة إذ لا يطابق النطق الحالي البتة .

ولئن كانت الإمالة ظاهرة قديمة (إذ هي تظهر في نقل اسماء الأعلام العربية بأحرف اللغة اليونانية : انظر بروكلمان : المختصر : I ، ص 141) فهي ليست عامة مطلقا فمنذ النصوص الأولى نجد بعض الفوارق بين اللهجات في هذا المضمار. فلم يتفق القراء البتة على الحالات التي تجب إمالة الألف فيها .

فإذا وقعت الألف وسط الكلمة رأينا حمزة يقرأ بإمالتها إمالة شديدة وذلك في الأفعال الماضية التي عينها حرف علة نحو "جَاءَ" و"شَاءَ" و"زَادَ" و"رَانَ" (ومعناها استولى على) و"خَافَ" و"طَابَ" و"خَابَ" و"حَاقَ" (اي احاط بـ) و"ضَاقَ" و"زَاغَ" .

واما الكسائي وعاصم (وهما من الكوفة) فلا يميلان إلاّ قوله "بل رَانَ" واما ابن عامر (وهو من دمشق) فلا يميل الا "جَاءَ" و"شَاءَ" الخ... (انظر الداني : "التيسير" ص 50–51) وسنرى بعد هذا الفروق في قراءاتهم الألف إذا وقعت آخر الكلمة .

ويذهب فولرس (Voilers) إلى ان الامالة كانت شديدة بصفة خاصة في لهجات شرقي الجزيرة العربية وإلى انها كانت اخف بكثير في لهجات الحجاز.

وفي اللهجات العربية الحديثة حالات عديدة تمال فيها الفتحة الطويلة داخل الكلمات إلا ان إمالتها إمالة شديدة جدا اي نطقها كالكسرة ظاهرة نادرة على اننا نجد هذه الامالة الشديدة جدا بواحة سخنة شرقي مدينة تدمر نحو قولهم "حيشيب" (hīčeb) في حاجب "وتعيب" (čʿīb) في كِعاب (جمع كعب) و"شيرب" (šīreb) في "شارب" الخ... وقد تكون هذه الإمالة الشديدة جدا قد وجدت ايضا في لهجة غرناطة كما يدل على ذلك رسم بيدرو دي ألكالا (Pedro de Alcala) نحو رسمه "لسين" (licín) في لسان و"بيب" (bīb) في باب و"مفيتيح" (mafétih) في مفاتح و"سليلم" (çalílim) في "سلاليم" ... الخ .

وبخلاف ذلك فإن إمالة الفتحة الطويلة الى حد نطقها كالـ " e " (اي فتحة ممالة إمالة شديدة ولكن دون بلوغ حد الكسرة) منتشرة انتشارا كبيرا فتمتد في الشرق على منطقة تضم اكثر لبنان (انظر برقشتراسر "الاطلس اللغوي"... الخريطة رقم 6) وجبل الدروز وكذلك نجد الإمالة بواحة تدمر واما بشمال افريقيا فتمال الألف امالة تبلغ حد الـ " e " بجهة عنابة وقد يطرا على الفتحات الطويلة القديمة (ā) التي اميلت فاصبحت "e" طويلة أي (ē) في بعض الجهات عملية "الانفلاق" فتصبح حركة مزدوجة اي كسرة متبوعة بفتحة ممالة امالة شديدة (ie) وذلك اذا كانت النبرة واقعة عليها وذلك قولهم بجزيرة مالطة "تميين" (tmien) (اي ثمانية) ولكنهم يقولون "تمنيين" (tmenin) (ثمانين) وكذلك قولهم "تليت" (tliet) (ثلاثة) ولكن "تلتين" (tletin) (ثلاثين) .

واما الإمالة الضعيفة اي (ä) فكثيرة جدا الى درجة ان البحث عن اللهجات التي لا تقع فيها هذه الإمالة البتة اولى من البحث عن اللهجات التي تقع فيها.

ووجود هذا النوع من الامالة آخر الكلمات اكثر من وجودها وسطا وقد كانت تلك هي الحال منذ العربية الفصحى : فحمزة والكسائي (وكلاهما من قراء الكوفة) كانا يميلان جميع الفتحات الطويلة الآخرة التي ترسم بواسطة الألف المقصورة والواردة في الأسماء والأفعال في القرآن (باستثناء الحروف) بل ومن المحتمل ان هذا الرسم (اي الألف المقصورة) كان يستعمل للدلالة على الإمالة اذ ان الفتحات الطويلة الآخرة المرسومة بواسطة الألف الممدودة كانت قلما تسمع مع الفتحات الطويلة الآخرة المرسومة بواسطة الالف المقصورة ويذكر سيبويه (II ، ص 284) ان بعض القراء كانوا يقرأون بامالة الفتحة الطويلة الواردة في آخر الجملة قوله "يضربها" و "منها" و "منّا" و "بنا" وانهم كانوا يقرأون بدون امالة الفتحات الطويلة في نفس تلك الكلمات اذا وردت داخل الجملة نحو "يضربها" و "منا" و "منها" و "بنا" .

وتكاثر الإمالة في آخر الكلمات واضح بصفة خاصة في اللهجات الحديثة فاذا قابلنا بين الخريطة رقم 6 والخريطة رقم 8 من "الاطلس اللغوي" لبرقشترامسر اتضح لنا ان انتشار الامالة بسوريا في آخر الكلمات اعظم بكثير من انتشارها بها في وسط الكلمات : مثال ذلك انهم يقولون في لهجات حوران "بِنْسِي" (bense) (اي ينسى) فيميلون فتحة السين ويقولون "بِنْساهي" (bensā-he) (ينساها) فلا يميلون ذلك.

واما بالمغرب العربي فان امالة الفتحة الطويلة تميز بين بعض اللهجات مثل لهجات طرابلس والساحل التونسي وجنوب سكيكدة وصحراء الجزائر ففي مقاطعة مدينة الجزائر مثلا نرى اصحاب لهجات التل ينطقون بفتحة طويلة خالصة او بشيء من الغنة الخيشومية احيانا نحو قولهم "سْمَا" (sma) (سماء) و"قْفا" (gfa) (قفا) و"نْسَا" (nsa) (نسي) ... الخ بينما نرى اصحاب اللهجات الصحراوية يميلون الفتحة الطويلة في كل ذلك نحو قولهم بالامالة : "سْمِي" (smä) و"قْفِي" (gfä) و"نْسِي" (nsä) الخ وقد يطرا في بعض الاحيان على الفتحات الطويلة القديمة اذا وقعت آخرا واميلت امالة شديدة (اي اصبحت " e ") مثلما يطرا عليها اذا وقعت وسطا من "الانغلاق" ولا يكون ذلك الا اذا وقعت النبرة على تلك الفتحات من ذلك قولهم في بعض

لهجات البدو التونسيين (وهي اللهجات التي سميتها (mes «parlers E»)
"ميي ي"(mīᵃ) (اي ماء) و"مشي ي ي"(mšīᵃ) (أي مشى) و"نسي ي ي"(nsīᵃ)
(اي نسي) و"جري ي ي" (žrīᵃ) (اي جرى) ... الخ.

واذا وقع قبل ذلك حرف من الحروف المفخمة منع تلك الظاهرة الصوتية من ان تحدث بالطبع نحو قولهم "مضى"(mḍā) (مَضَى) ولا يحدث هذا "الانغلاق" الا تحت النبرة ولذلك قالوا (بدون انغلاق) "سمّى" (sámmā) (لأن النبرة على المقطع الاول) .

وكثيرا ما تطرأ الامالة ايضا على الفتحة السابقة لتاء التانيث (ـَه) ونحن ندرس هذه الحركة في هذا السياق وان كانت قصيرة وذلك لأنها كثيرا ما تطول وتعتبر طويلة .

فاما في العربية القديمة فان تاء التانيث (ـَة) كانت تصير الى (ـَه) عند الوقف ويقول الكسائي انها تمال دائما في ذلك الوضع ويذهب اكثر القراء الاخرين الى ان الامالة لا تحدث اذ ذاك الا اذا كانت علامة التانيث مسبوقة بحرف من الحروف التالية : الكاف او الهاء او الراء او الهمزة وبشرط ان يكون هذا الحرف مسبوقا بكسرة .

واما في الالسن الدارجة العصرية فان علامة التانيث في الكلمات المؤنثة غير المضافة تكون بصورة الوقف اي : (ـَه) او مجرد فتحة متبوعة بهاء خفيفة بل بهاء كثيرا ما لا تسمع وذلك حتى داخل الجملة ويطرأ عندئذ على الحركة تطويل تعويضي فتدخلها الإمالة كما تدخل الفتحات الطويلة الآخرة بل وتكون الإمالة اشد منها في الفتحات الطويلة الآخرة .

من ذلك ان علامة التانيث بسوريا وفلسطين والعراق تصير الى فتحة ممالة امالة شديدة (e-) ما لم يسبقها حرف من حروف التفخيم.

وفي حين ان امالة الفتحات الطويلة القديمة امالة شديدة (اي نطقها (e-) اكثر انتشارا وان امالة الفتحات الطويلة في وسط الكلمات قليلة نسبيا.

واما بالمغرب فنجد في بعض الأماكن[1] وفي نفس الظروف الصوتية امالة خفيفة للفتحة التي قبل تاء التانيث (اي a^h- او ة-) كفي البلاد التونسية مثلا وفي لهجات الصحراء الجزائرية .

ويقول نحاة العربية القديمة ان تفخيم الالف هو نطق بعض الفتحات الطويلة كالـ ō (اي " eu " في الفرنسية) وكثيرا ما ترسم هذه الفتحات الطويلة بواسطة الواو من ذلك بالخصوص كلمة "صلاة" و"ركاة" و"حياة" فكانت تنطق "صلوة" و"زكوة" و"حيوة" (ṣalōt . zakōt ḥayōt) انظر سيبويه : II ، ص 452 ، والزمخشري – ابن يعيش X ، 125 و 127 .

وهذا النطق هو عكس الإمالة يعتبره النحاة خاصية دارجة فسيبويه يقول انه من لغة الحجاز وقد تحدث نفس هذه الظاهرة بصفة مقيدة اي بعد الحروف المفخمة : انظر فيما يتعلق بهذه المسألة : برافمان "مواد" ... ص 35–38 .

ويكثر في الالسن الدارجة العربية دخول جرس خلفي على الفتحة الطويلة القديمة فتصير الى å وذلك اذا كانت بجوار الحروف المفخمة فقد لاحظ و.مارسي عند "اولاد ابراهيم" بمدينة صيدا انهم يقولون "رَاس" (rå̄s) و"خَطّى" (ḫṭṭå̄) (اي خَطّا) و"صَام" (ṣå̄m) و"غَاظ" (ġå̄ḍ) (اي أغاظ) ... الخ ص 37 .كل ذلك بفتحة طويلة خلفية تميل الى الواو وقد اثبتُّ بنفسي في الشرق بمدينة تدمر وجود امثلة مماثلة : انظر "لسان تدمر العربي الدارج " I ، ص 76 .

الا ان هذه الظاهرة هي ظاهرة مقيدة تقييدا شديدا وكثيرة الوجود نوعا ما وبخلاف ذلك فان انتقال جميع الفتحات الطويلة القديمة الى فتحات طويلة ذات جرس خلفي امر نادر الوقوع يظهر في لهجات الفلاحين بمالطة وكذلك في شمال لبنان ويرجع ذلك فيما يرجع الى تاثير الطبقات اللغوية السفلى بتلك الجهات : فمن المعلوم ان الفتحات الطويلة القديمة والتي تقع عليها النبرة تصير في العبرية وفي اللغة الفينيقية الى حركات خلفية نصف منغلقة طويلة (ō) والى ضمات طويلة (ū) .

وذلك يفسر في الراجح الأمثلة الموجودة في لغة فلاحي جزيرة مالطة ومن المعلوم كذلك ان الفتحات الطويلة القديمة تنزع في اللغة الارامية "الغربية" القديمة في اللغة السريانية اليعقوبية (syriaque Jacobite) وفي اللهجة الآرامية العصرية بالمعلولة (Maᶜlūla) الى الآنقلاب فتحات طويلة خلفية (ā̊) أو حركات طويلة خلفية ونصف منغلقة (ō) : وذلك ما يفسر فيما يبدو نطقهم "لْسَان" (lsān) و"شَاف" (šāf) بفتحة طويلة خلفية ونجد هذا النطق في وادي قديشة (بشمال لبنان) مثلا .

ويطلق النحاة العرب لفظ "اشمام" (1) على نزعة الكسرة الطويلة احيانا الى الاقتراب من جرس الضمة الطويلة ويذكرون في هذا السياق امثلة مستقاة من الأجوف المبني للمجهول نحو "قِيلَ" و"بِيعَ" و"سِيقَ" ... الخ.

وقد يكون اعتلال جرس الكسرة الطويلة (ī) وانقلابها " ü " او " ïᵘ " راجعا الى تذكرهم الصيغة العادية التي يكون عليها الفعل المبني للمجهول نحو قُتِلَ وهي صيغة تحتوي على ضمة في مقطعها الأول أو الى تأثير حرف مجاور مفخم او لهوي او من وسط الحلق انظر فيما يتعلق بهذه المسالة : هول : النحو العربي ص 1476–1484. وبرافمان : مواد ص 38–39، وبرتزل : "قراءة القرآن" ص 299–300 ؛

وقد وجدت عندهم فيما يظهر نزعة تتمثل في اعلال جرس ضمة طويلة قديمة بتاثير كسرة موجودة في مقطع مجاور. وقد ذكروا في ذلك

---

(1) « الاشمام » لفظ معناه اعارة حرف أو حركة « رائحة » – أي في الفرنسية « لون » (teinte) – حرف آخر أو حركة أخرى ولذا فان هذا اللفظ يستعمل استعمالات أخرى علاوة على الاستعمال الذى نتحدث عنه أعلاه . فابن يعيش مثلا (X ، ص 127) يتحدث عن « اشمام » الصاد رائحة الزاى : انظر بريتزل « علم التجويد » ص 299 – 300 .

امثلة نحو(ابْنُ امٌ) و(مَدْعُورٍ) و(ابْنُ بُورٍ): انظر هول "النحو العربي" ص 1723—1724 وبراقمان مواد ص 39 .

واما فيما يتعلق بالألسن الدارجة العصرية فينبغي الاشارة الى انتقال الكسرة الطويلة والضمة الطويلة القديمة او المتولدة عن تخفيف (الحركتين المزدوجتين "ـَيْ" و"ـَوْ") الى حركة امامية نصف منغلقة طويلة (ē) وحركة خلفية نصف منغلقة (ō) ذلك اذا كانتا بجوار الحروف المفخمة والهوية وحروف وسط الحلق ويقل هذا الانتقال في لهجات المغرب العربي. ويقول و. مارسي في "اولاد ابراهيم" ص 39—41 مدققا ان هذا الانتقال يحدث قبل الحروف المفخمة والاهوية وبعدها ولكنه لا يحدث الا بعد حروف وسط الحلق وذلك قولهم "صُوفْ" (ṣōf)و"طُولْ" (ṭōl) و"مَسْلُوخْ" (mesłōḫ) و"قْلُوبْ" (qlōb) و"عُودْ" (ʿōd) و"يْحُولْ" (iḥōl)واصلها في الفصحى يَحُول و"صقان" (ṣēgān) واصلها في الفصحى سيقان و"رصان" (ṛēṣān) واصلها صيغة وهمية "ريسان" اي رؤوس و"حيلـه" (ḥēla) واصلها في الفصحى "حيلة" و"عـدان" (ʿēdān) اي عيدان جمع "عود" ... الخ .

وهناك امثلة من هذا القبيل في اكثر لهجات المغرب العربي: انظر: اشتمه (Stumme) في قصص واشعار مدينة "طرابلس الغرب" ص 214، وم. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 118- 128 ... الخ واما بالشرق فالحالة في هذا الصدد اقل وضوحا فلئن صح ما اثبته ماتسون (Mattsson) في "العربية العامية ببيروت" ص 73 وبرقشتراسر (Bergstrasser) في لسان دمشق الدارج ص 28 من ان للكسرة الطويلة وللضمة الطويلة بجوار الحروف المفخمة جرسا خاصا فان انتقال هاتين الحركتين الى الحركة الامامية نصف المنغلقة الطويلة (ē) والحركة الخلفية نصف المنغلقة الطويلة (ō) نادر : انظر بروكلمان "المختصر" ا ، ص 196

واما في بعض لهجات الحضر بجنوب المغرب العربي مثل لهجات "السيرنة" و"الطرارة" بالأرياف المحيطة بمدينة ندرومة او لهجة يهود فاس فان الضمة الطويلة القديمة اذا جاءت في مقطع وسطي اصبح

لها جرس خاص برسم : (ö) وهو جرس وسط بين (eu) في الفرنسية وبين (ū) (وهي الـ u في الفرنسية)

ويذكر برونو (L. Brunot) في تعليقات على لهجة يهود فاس العربية («Notes sur le parler arabe des Juifs de Fès») في مجلة هيسبريس (Hespéris) 1936– ص 13، يذكر امثلة تدل على ذلك نحو يَوْمْ (yōm) و"لِيهُودْ" (lihōd) و"دُولَة" (dōla) ومعناه قطيع.. الخ ويبدو ان جوار الحروف المفخمة يمنع هذا الاعتلال في الجرس

د) القيمـــة الوظائفيـــة

ان كثيرا من الحركات التي هي طويلة من حيث علم الأصوات ليست كذلك من حيث علم وظائف الأصوات من ذلك ان كثيرا من الفتحات الطويلة صوتيا يعتبرها الناطقون ممثلة لـ "ـَـوْ" او "ـَـيْ". نحو "مَاتَ" ففي شعورهم الباطني يمثل هذا الفعل صيغة مَوَتَ (قارن بلفظة مَوْت) وكذلك "بَاضَتْ" يمثل في شعورهم بَيَضَتْ (قارن بلفظة بَيْض) واذا قارنا بين عدة افعال ماضية على وزن "كَتَب" تحتم علينا القيام بتحليل من ذلك القبيل وكذلك "بَاب" يمثل في شعورهم "بَوَبْ" (قارن بالجمع "ابواب") و"نَاب" يمثل في شعورهم "نَيَب" (قارن بالجمع "انياب") .

ويبدو ان الفتحة الطويلة تمثل في تحليلهم النفساني – واو – ي – وهو اقل من الاول من ذلك انه يبدو ان "ينام" تمثل عندهم صيغة "يَنْوَمُ" (قارن بلفظتي نَوْم ونُوَّام) وذلك لان مقارنة تلك الصيغة بقولهم يلبس مثلا او بصيغ المضارع الاخرى التي من نفس الوزن تحتم عليهم هذا التحليل .

ومن باب اولى واحرى ان الكسرة والضمة الطويلتين صوتيا لا تعتبران دائما من ناحية علم وظائف الاصوات ممثلتين لدرجة الكسرة والضمة الطويلة فشعورهم بهاتين الحركتين الطويلتين كأنها تمثل كسرة وياء (ـِـيْ) او ضمة وواو (ـُـوْ) او ياء وكسرة (يِ) او واو وضمة (وُ)

كثير نوعا ما. من ذلك انه يبدو انهم يشعرون في تحليلهم بان كِيس (kīs) تمثل كِيْس (kiys) (قارن بالجمع اكياس) وبان سوق (sūq) تمثل سَوْق (suwq) (قارن بالجمع أسواق) ويبدو من جهة اخرى انهم يشعرون بان "يَمُوتُ" تمثل عندهم "يَمْوُتُ" وبان "تَبِيض" تمثل "تَبْيِض" : ومقارنة هاتين الصيغتين بصيغ المضارع التي على وزن "يكتُب" "ويكسِر" تحتم طبعا القيام بتحليل من هذا النوع.

وهذه التحاليل الوظائفية صحيحة ايضا بالنسبة الى اللهجات العربية العصرية.

III) الحركات المزدوجة

كان في السامية حركتان مزدوجتان وكان اول عنصر من عنصريهما نصبرا وهما "ـَيْ" و"ـَوْ" وقد بقيت هاتان الحركتان المزدوجتان في العربية القديمة وترسمان حسب مبادىء الخطوط الآرامية بواسطة الياء والواو مسبوقتين بفتحة وليس في العربية القديمة الا عدد قليل من امثلة اعتلال الحركات المزدوجة : نذكر من ذلك انه يبدو ان الحركة المزدوجة (ـَيْ) اذا كانت في آخر الحروف صارت الى مجرد فتحة طويلة نحو "الى" (اصله إلَيْ) و"على" (واصله عَلَيْ) وتظهر الحركة المزدوجة القديمة من جديد في حالة اضافة الحرف الى الضمائر نحو "عَلَيْكَ" الا ان بروكلمان يذهب في "المختصر" ١ ، ص 190 الى انه يجب الانطلاق في هذه المسالة من صيغ تنتهي بفتحة اي "إلَيَ" و"عَلَيَ" وذلك حملاً على قولهم "فَوْقَ" و"تَحْتَ" ويرى اذن ان ما حدث هو مجرد سقوط الياء بين حركتين وبخلاف ذلك فان مثال "لَتَ" الى جانب "ليس" يدل على ان ما وقع هو حقيقة انتقال الحركة المزدوجة (ـَيْ) الى مجرد فتحة .

وقليلا ما تسلم الحركات المزدوجة القديمة في الألسن العربية الدارجة .

واما بالشرق فنجدها سالمة بلبنان (انظر برقشترايسر "الاطلس اللغوي" ـ الخريطة عدد 1!) ويذكر فغالي في "كفر عبدة" ص 83، امثلة نحو قولهم "بَيْتْ" (bayt) "ولَيْلِه" (layle) و"مَوْتْنَا" (mawtna) و"لَوْنْ" (lawn) ... الخ .

واما بالمغرب العربي فان بقاء الحركات المزدوجة القديمة سالمة سلامة تامة غير مقيدة امر نادر ان لم نقل غير موجود. ولكن وبخلاف ذلك فان هذه الحركات المزدوجة تثبت بعد حروف وسط الحلق اى الحاء والعين نحو قولهم "عَيْنْ" (^{c}ayn) و"عَيْبْ" (^{c}ayb) و"عَوْرَا" (^{c}awra) و "حَيْثْ" (ḥayṯ) و"حَوْلاَ"(ḥawla) (اي حولاء) الخ...

انظر بالخصوص و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 35 ويلاحظ م. كوهين في "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 119، ان الضمّات والكسرات الطويلة القديمة اذا وقعت بعد العين صارت الى "ـَوْ" و"ـَيْ" ([illegible]) بحيث لا يمكن التمييز بين "عَوْد" (^{c}awd) (من عَود اي حصان) وبين عَوْد (^{c}awd) (من عُود (^{c}ūd) اى خشب). واخيرا ينبغى الاشارة الى ان بعض الحركات المزدوجة قد تصاغ من جديد وتثبت وذلك لاسباب صرفية : من ذلك ما اثبته و. مارسي بتلمسان ص 36—37 من انهم يقولون : "قَهَوْتْسِي" (qahhaut^{s}i) (من قَهْوَه (qahwa) في حالة عدم الاضافة) وكذلك قولهم "مِشُيْتْسِك" (meššeit^{s}eh) اى مشيْتِك (mešytek) (من مِشْيَه في حالة عدم الاضافة) وذلك قياسا على "بَقَرْتْسِي" (baggart^{s}i) (اي بقرتي) وكذلك صيغة "يِوْصَل" (yeuṣol) قياسا على عدد عديد من صيغ المضارع التي من نوع يكْتِب (yekt^{s}eb) والدليل على ذلك صيغة الجمع يِوُوصْلُ (yeuwoṣlo) قياسا على يِكْتْبُ (yekket^{s}bu) .

ويكثر جدا بقاء الحركات المزدوجة بقاء جزئيا فقط اى ان العنصر الاول منها هو الفتحة يقترب من العنصر الثاني على سبيل التقريب فاذا كان قبل الياء صار حركة امامية نصف منغلقة اى (e) واذا كان قبل الواو صار حركة خلفية نصف منغلقة اي (o) ينزع العنصر الثاني ،

الى الانقلاب قصيرا للغاية بينما يطول العنصر الاول تطويلا تعويضيا
تغير "ـَيْ" الى (ēʸ) و"ـَوْ" الى (ōʷ) وذلك ما يحدث في بعض
لهجات البدو بشمال الجزيرة العربية (انظر كانتينو : "دراسات في بعض
لهجات البدو" : I ، ص 47 و II ، ص 151—152)

ونجد ذلك ايضا في لهجات البدو الصحراويين بشمال افريقيا من ذلك
قولهم "بيْضَا" (beiḏa) و"طْفَيْلْ"(ṭfʷeiḷ) اي طفل صغير و"كْلَيْتْ"
(kleit) اي اكلت و"مُوْتْ" (moᵘt) اي موت و"نُوْمْ"(noᵘm "
اي نوم و"لَوْنْ" (leᵘn) اي لون : انظر أ. دينا (A. Dhina):
تعليقات في صوتيات لهجة الأرباع وصرفها ص. 317 Notes sur la
phonétique et la Morphologie du parler des Arbâᶜ وكذلك الامر في
لهجات الانجاد " hauts-plateaux " وهران : انظر و. مارسي :
"اولاد ابراهيم" ص 32—36 .

وهنالك ظاهرة اكثر وتوسعا من ذلك وهي تخفيف الحركتين المزدوجتين
"ـَيْ" و"ـَوْ" الى حركة امامية طويلة : من ذلك قولهم "بيت"(bēt)
وليل (lēl) و"يـوم" (yōm) و"لـون" (lōn) ... الخ وهذا
العلاج للحركات المزدوجة مطرد او يكاد بالشرق ونحن نجده كذلك
بشمال افريقيا ونجد في اكثر اللهجات التي لا تبقى فيها الحركات
المزدوجة الا بصفة جزئية بعض الصيغ المحدودة الى حركة امامية نصف
منغلقة طويلة اي (ē) والى حركة خلفية نصف منغلقة طويلة اي (ō)
وتظهر هذه الصيغ الى جانب الحركات المزدوجة ذات العنصر الثاني القصير
للغاية اي ēʸ و ōʷ وقد اثبت ذلك في لهجات البدو بشمال الجزيرة
العربية (انظر كانتينو : نفس المرجع) ونجده كذلك في لهجات البدو
بشمال افريقيا وذلك بالانجاد العليا بمنطقة وهران : انظر و. مارسي
"اولاد ابراهيم" ص32 و40 و41 فقد اثبت و. مارسي هناك قولهم "كُبَيِّش"
(kᵘbēʸš) اي كبش صغير و"بيْتْ" (bēyt)"ومْشِيتْ" (msēʸt)
وكذلك اثبت قولهم "فـوق" (fōg) و"يوم" (yōm) و"شُوكْ"
(šōk) عوض فُوْقْ (fōʷg) ويُوْمْ (yōʷm) وشُوْكْ(šōʷk)
وهي الصيغ العادية التي ننتظرها منهم .

وقد التقط "دينا" (نفس المرجع) امثلة مماثلة لذلك في لهجة من لهجات صحراء الجزائر.

وقد يذهبون في تخفيف الحركتين المزدوجتين "ـَيْ" و"ـَوْ" و"ـَوْ" الى ابعد من ذلك.

فكثيرا ما تصير هاتان الحركتان المزدوجتان الى مجرد كسرة طويلة(ī) وضمة طويلة (ū) وذلك بشمال افريقيا في لهجات الحضر وفي لهجات البدو التَّلِّيين فتستويان هكذا في الحركتين الطويلتين الاصليتين اللتين لهما نفس الجرس من ذلك قولهم "لِيل" (līl) في "لَيْل" و"بِيت" (bīt) في "بَيْت" و"زِيت" (zīt) في "زَيْت" وقولهم "يُوم" (yūm) في "يَوْم" و"لُون" (lūn) في "لَوْن" و"شُوك" (šūk) في "شَوْك" الخ.

ويوجد هذا التخفيف في جميع لهجات الحضر بالمغرب العربي من تونس العاصمة الى الساحل الاطلنطي بالمغرب الاقصى وذلك في لهجات البدو الذين تاثروا بالحضر.

وقد تعتل الحركتان المتولدتان عن الحركتين المزدوجتين القديمتين بدورهما فيدخلهما ظاهرة "الانفلاق" وهو ما يحدث خاصة بشأن الحركة الامامية نصف المنغلقة الطويلة (ē) والحركة الخلفية نصف المنغلقة الطويلة (ō) فتنفلق الاولى اي(ē) وهي المتولدة عن "ـَيْ" تصير "يـي" (ye) وذلك في بعض اللهجات العراقية (انظر فيسباخ (Weissbach) مجلة الجمعية الاستشراقية L VIII ص 934 Z D M G انظر كذلك بروكلمان : ۱ ص 191) .

وقد اثبت بنفسي برُمادي (Rumādi) صيغا كهذه "بْيَات" (byēt) اي بَيْت" و"لْيَال" (lyēl) اي "لَيْل" و"زْيَان" (zyēn) اي "زَيْن" (اي جميل) و"بْيَاض" (byēḍ) اي "بَيْض" و"دْيَان" (dyēn) اي "دَيْن".

واما في لهجات البدو بالجنوب التونسي فان الحركة الامامية نصف المنغلقة الطويلة اي (ē) المتولدة عن "ـَيْ" تنفلق الى "ـيِ" (ᵃا) (مثلها في ذلك مثل اختها المتولدة عن الفتحة الطويلة انظر اعلاه ص 161) وكذلك تنفلق الحركة الخلفية نصف المنغلقة الطويلة المتولدة عن (ـَوْ) فتصير (ـ (ᵘ᷊ ... u) وذلك اذا وقعتا في مقطع آخر منبر من

ذلك قولهم: "يُوَم" (yuᵃm) في "يَوْم" على انهم يقولون "يُومِين" (yūmiān) اي "يَوْمَيْن" و"يومي" (yōmi) اي "يَوْمَيَّ" وكذلك قولهم "لِيَل" (liᵃl) اي لَيْل على انهم يقولون الى جانب ذلك "لِيلتين" (liliᵃn) اي "لَيْلَتَيْن" و"لِيلِه" (lēlāh) اي "ليلة" : انظر و. مارسي "حامة قابس" : معجم الالفاظ.

وقد تكون بصفة ثانوية في الالسن الدارجة العربية عدد ما من الحركات المزدوجة يكون العنصر الاول فيها طويلا اي من نوع "آي" (āi) و"آو" (āu) فيذكر و. مارسي من لهجة "اولاد ابراهيم بمدينة صيدا" ص 34–35: قولهم "قَايِدَه" (qāidāh) اي قائده "و"زْوَايْلِي" (zwāili) اى "دَوَايِيْ" و"جَاي" (žāi)اي صيغة اسم الفاعل من جاء يجيء و"مَايْدَه" (māida) اي "مائدة" الخ. وكذلك يذكر و. مارسي قولهم "بْقَاو" (bqāu) اي "بَقُوا" و"جْرَاو" (žrāu) جمع جَرْو (وهو بالفصحى جراء واجر والجمع اجربة) و"جَاو" (žāu) اي "جاؤوا الخ. وقد ينزع هذا العنصر الاول الطويل الى القصر احيانا فلفظة حائط في الفصحى يوافقها بتلمسان قولهم "حَيْط"(ḥaiṭ) وبطرابلس الغرب وتونس العاصمة قولهم "حيط" (ḥēṭ) بكسرة تمثل في الحقيقة حركة امامية نصف منغلقة طويلة اي (ē) وكذلك نجد بتلمسان كلمة "بِنّي" (bennai) الى جانب "بِنَّاي" (bennāi) اي بنّاء" وكلمة "يِقْرَو" (yeqrau) الى جانب "يِقْرَاو" (yeqrāu) اي "يقرؤون "وكلمة "شْكَيْرِي" (škairi) عوض "شْكَايْرِي" (škāiri) اي "أكْيَاسِيّ" : انظر و. مارسي تلمسان" ص 36 .

ان الحركات المزدوجة هي من الناحية الصوتية حركات طويلة يتحور جرسها اثناء النطق بها. وبخلاف ذلك فانه يبدو انه ليس للحركات المزدوجة في العربية اي وجود خاص من الناحية الوظائفية فيظهر انهم يحللونها دائما هكذا : حركة + نصف حركة تقوم مقام حرف.

فاذا اخذنا لفظة كَـ "بَيْتٌ" او "مَشَيْتُ" رأينا أنّ مجموعة (ـَيْ) فيهما تقوم تماما مقام مجموعة "ـَمْ" في قولهم "بَرْق" او مجموعة

"تَلْ" في قولهم "قَتَلْتَ" وكذلك مجموعة "سَوْ" في قولهم "لَوْز" او "غَزَوْتَ" توافق تماما مجموعة "سَلْ" في قولهم "كَلْب" او "تَبْ" في قولهم "طَلَبْتَ".

ولا يمكن العثور على حركات مزدوجة حقيقة الا في حالات نادرة جدا مثل تناوب حركة طويلة وحركة مزدوجة في علامة المثنى آن – ـَيْن

وكذلك الامر في اللغات العربية : فالحركات المزدوجة بها سواء الكاملة او المخففة وسواء اكان عنصرها الاول قصيرا او طويلا تمثل في شعورهم اللغوي كذلك مجموعات تتركب من : حركة + نصف حركة تقوم مقام حرف وكذلك يحللون بدون شك علامة التانيث اى "ـَ نْ" (ēʸn) أو "ين" (ēn) نفس ذلك التحليل حملا على بقية الحركات المزدوجة .

IV) الحركات القصيرة

كان في السامية كما سبق ان ذكرناه اعلاه ص 147 – ثلاث حركات قصيرة : الضمة والفتحة والكسرة.

وقد احتفظت العربية القديمة بنظام الحركات القصيرة هذه كما احتفظت بنظام الحركات الطويلة السامي احتفاظا ملحوظا. وسندرس الآن رسم هذه الحركات القصيرة وكميتها واجراسها وقيمتها الوظائفية.

1 – الرسم :

لم يكن في الخط العربي في اول عهده في القرن الاول للهجرة اية طريقة لرسم الحركات القصيرة ولم يكن يرسم فيه رسما مناسبا الا حركتان طويلتان هما الضمة الطويلة والكسرة الطويلة (واما الفتحة الطويلة فلم تكن ترسم الا في آخر الكلمات)

ولم يهتموا برسم الحركات القصيرة الا في القرن الثامن المسيحي؛

عندما ارادوا ضبط قراءة القرآن واثباتها اثباتا نهائيا فاقترضوا علامات رسم الحركات القصيرة من الآراميين كما فعلوا ذلك بالنسبة الى نظام خطهم نفسه.

وكان الآراميون يستعملون في رسم الحركات القصيرة طريقتين مختلفتين : فتارة كانوا يستعملون في داخل الكلمة الواو والياء (وهي طريقة اليهود الآراميين (Judéo-Araméens) او حتى الهمزة والعين (وهي طريقة المانديين (Mandéens) فيرسمون بواسطتها الحركات القصيرة منها والطويلة. ويبدو ان العرب لم يتخذوا هذه الطريقة في رسم الحركات القصيرة الا في كلمة واحدة وهي اسم الاشارة "اولى" فقد رسموا الضمة على قصرها في هذه الكلمة بواسطة الواو (انظر اعلاه ص 151) وفعلا فقد كان لهذه الطريقة عائق كبير ذلك انها كانت تضطرهم الى تحوير رسم الكلمات باقحام هذه الحروف ذات القيمة الحركية فيها. فكان من العسير اذن تطبيق هذه الطريقة على كتب مقدسة كانوا يعتبرون منذ البداية نص حروفها نصا مقدسا فيحرمون على انفسهم إضافة أية زائدة اليها فلا اليهود استعملوا هذه الطريقة في التوراة ولا المسلمون استعملوها في القرآن. ولذلك فقد آثروا الطريقة الثانية التي كانت تتمثل في وضع علامات صغيرة لرسم الحركات اما فوق نص الحروف او تحته وقد رأينا اعلاه ص : 150 انهم قد استعملوا هذه الطريقة في البداية لرسم الفتحة الطويلة داخل الكلمات وقد اتخذوها ايضا لرسم الحركات القصيرة : فاستعملوا اولا النقط ثم الخطوط الصغيرة ثم آل بهم الامر في النهاية الى اتخاذ النظام الحالي المتركب من ثلاث علامات خاصة برسم ثلاثة اجراس وظائفية ويبدو انهم اخذوا هذه العلامات من الخط السرياني اليعقوبي (المسيحي) فقد تكون علامة الفتحة وهي (ـَـ) ماخوذة عن (ـَـ) وعلامة الكسرة (ـِـ) عن (ـِـ) وعلامة الضمة وهي (ـُـ) عن (ـُـ)

ورغم ما في هذا النظام من وضوح وسهولة فقد قل استعماله في ما عدا القرآن اللهم الا اذا ارادوا ضبط كلمة من الكلمات. فبقيت الكتابة العربية كأنها ضرب من الاختزال يجب فهمه اولا كي تتسنى قراءته. وذلك عيب من اكبر عيوب الخط العربي.

2 – الكمية

علينا ان ننظر تحت هذا العنوان في مسالتين متباينتين مسالة تطويل بعض الحركات القصيرة ومسالة تحقيق الحركات القصيرة او سقوطها اذا وقعت في مواقع معينة .

فاما تطويل بعض الحركات القصيرة في الاصل فيظهر بالخصوص في الالسن الدارجة العربية الحديثة (١) وتاثير القياس الصرفي او المعجمي في هذا التطويل اكبر من تاثير الاصوات فيه. وبالخصوص فقليلا ما يكون تاثير نبرة الكلمة في هذا السياق مفروغا منه وان اعتمدوا عليه كثيرا في تفسير هذا التطويل (انظر بروكلمان : المختصر : ا ، ص 91–93 وو. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 41 و69–73).

ويمكن اعزاء التطويلات التي نشاهدها الى الاسباب التالية :

أ) الحمل على صيغ اخرى من نفس المادة : من ذلك انهم يقولون في اكثر لهجاتهم : "زِيدْ" (zīd) (اي زِدْ) و"قُولْ" (qūl) (اي قُلْ) وذلك حملا على قولهم في الجمع "زِيدُ" (zīdu) و"قُولُ" (qūlu) اي "زيدوا" و"قولوا" .

ب) حاجتهم الى جعل بعض الكلمات ثلاثية وقد كانت ثنائية في الاصل : كذلك تفسر قولهم بمدينة صيدا "جِيهَة" (žīha) (اي جِهَة) و"دِيِّة" (dīya) (اي دبة) و"رِيِّة" (rīya) (اي ربة) و"لُوغَة" (lōġa) (اي لغة) و"كُورَة" (kōra) (اي كُرَة) : فالحركة الطويلة في كل ذلك تمثل في شعورهم اللغوي حرفا اصليا معتلا هو عين الكلمة. ومن ذلك ايضا قولهم "كُولْ" (kūl) (اي كُلْ) و"خُوذْ" (ḫōḏ) (اي خُذْ).

ج) اضطرارهم الى اثبات حركة قصيرة كانت تؤول الى السقوط لو

---

(١) على أن النحاة العرب قد اشاروا احيانا الى تطويل يطرأ على الحركات القصيرة وكانوا يسمونه « اشباعا » : انظر سيبويه : II ، ص 324 .

وا علامات
ة الى نظام
ة طريقتين
والياء (وهي
حتى الهمزة
ن بواسطتها
يتخذوا هذه
اسم الاشارة
ة الواو (انظر
يير ذلك انها
لحروف ذات
على كتب مقدسة
ون على انفسهم
ة ولا المسلمون
تي كانت تتمثل
س الحروف او
هذه الطريقة في
وها ايضا لرسم
الصغيرة ثم آل
ن ثلاث علامات
ذه العلامات من
الفتحة وهي (ـَـ)
) وعلامة الضمة
قد قل استعماله في
ات. فبقيت الكتابة
كي تسنى قراءته.

لم يطيلوها وذلك لوقوعها قصيرة في مقطع منفتح وكان يؤدي سقوطها ذلك اما الى جعل الصيغة ثنائية بعد ان كانت ثلاثية واما الى طمس معالمها العربية او الى جعلها عسيرة على النطق.

من ذلك تطويل اهل المغرب العربي في الاكثر الحركة القصيرة الواقعة في مقطع منفتح بعد همزة في الكلمات المهموزة الواو وذلك تحاشيا لجعل الكلمة ثنائية بسقوط الهمزة والحركة المذكورة وكذلك تفسر الصيغ الآتية : "آنا" (ãna) (اي أَنَا) و"آسِم" (ãsem) (وفصيحهُ إسْم واصله : سِم) و"آمِس" (ãmes) و"آهِل" (ãhal) (اي أَهْل). ويرجع انفتاح المقطع في الامثلة الثلاثة الاخيرة الى اقحام حركة فاصلة بين الحرفين الآخريين واما الصيغ التي من نوع قول البدو الرحل بالبلاد التونسية "جَابَاتَه" (žãbãtäh) (اي جَاءَتْ بِهِ) او قولهم في قسم كبير من شمال افريقيا "ضُرْبَاتُه" (ḍörbãto) او "ضُرْبَاتَه" (ḍörbãtäh) (اي ضَرَبَتْه) ففيها فضل المحافظة محافظة تكاد تكون كاملة على هيئة الصيغة المجردة اي بدون ضمائر وهي هنا "جَابَتْ" (žãbät) و"ضُرْبَتْ" (ḍörbat) وكذلك الضمائر المنفصلة ذات الفتحة الزائدة لتكثير الكلمة وهي : "هُوَّ" (hūwa) و"هِيَّ" (hīya) و"هُوما" (hūma) (ويوافقها في الفصحى "هُوَ" و"هِيَ" و"هُمْ") تكون حركتها الاولى طويلة وجوبا وذلك لانها لو بقيت قصيرة لسقطت ولاصبحت العلاقة بين هذه الضمائر المطولة وبين صيغ الضمائر المخففة اي "ـهُ" و"ـه" و"هُم" غير واضحة وكذلك الامر في صيغة "هُمْ" فكثيرا ما تطول حركتها فتصبح "هُومْ" (hūm) وذلك بتاثير صيغة "هُومَا" (hūma) واخيرا فان قولهم بمصر "تَسْلِيَه" (taslīya) (اي تسلية) و"تَسْوِيَه" (taswīya) (اي تسويه) يرجع تطويل الكسرة فيه اولا الى انه لو سقطت الكسرة لادى ذلك الى ظهور مجموعتين عسيرتين على النطق لانعدام حركة فاصلة منها "س ل ي" و"س و ي" وثانيا الى كثرة الصيغ التي تنتهي بـ "يَه" في اللغة.

د) الرغبة في المحافظة قدر المستطاع على سلامة بعض الكلمات الفصحى التي فيها حركات قصيرة واقعة في مقطع منفتح : من ذلك قولهم "نَابِي" (nãbi) (وفصيحهُ نَبِي) و"مَالِك" (mãlek) (وفصيحهُ مَلِك) و"حِيزِبْ" (hezeb) (وفصيحهُ حِزْب) وعن ذلك بلا شك

قولهم ايضا : "عَاصُرْ" (ʿāṣoṛ) (وفصيحهُ عصر اى الصلاة) و"مَاصُرْ" (māṣoṛ) (وفصيحة مَصْر — مِصْر) و"عَادِل" (ʿādel) (وفصيحهُ عدل وهو عون القاضي) و"عَاهُدْ" (ʿāhöd) (وفصيحةُ عهد) الخ

ولعله يجب ايضا ان نفسر بنفس الكيفية صيغ الجمع التي من نوع "قُوتَالَه" (qūtāla) (وفصيحة قتلاء) و"فُوقَاهَه" (fūqāhā) (وفصيحهُ فقهاء) و"عُولاَمَه" (ʿọlāma) (وفصيحةُ علماء) بل وحتى صيغة "رُوفَاقَه" (rūfāga) (اي رفاق) : انظر و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 134—135 .

ان مسالة ثبوت الحركات القصيرة اذا وقعت مواقع معينة او سقوطها مسالة جد متشعبة فالامثلة مختلفة من لهجة الى لهجة ولسنا واثقين دائما من امكان تاويل هذه الامثلة تاويلا صحيحا.

أ) اذا وقعت الحركات القصيرة في مقطع منغلق (١) اثْبتت عادة في اكثر اللهجات : مثال ذلك ثبوت الحركتين في قولهم "مَنْجِلْ" (mengel) (وفصيحه مِنْجَل) و"قُنْفُدْ" (gonfod) (وفصيحه قنفد) ويكاد يكون ثبوتها هناك مطردا في جميع اللهجات اللهم الا بالطبع اذا صار المقطع منفتحا اما بدخول زائدة خلفية على الكلمة او باقحام حركة فاصلة فيها (انظر ما سياتي في هذا فيما بعد)

الا ان الحركات القصيرة بشمال افريقيا وبالاخص بالمغرب الاقصى تصير بسهولة قصيرة للغاية وذلك اذا وقعت في مقطع منغلق وخاصة اذا لم تقع عليها النبرة : ويرجع ذلك فيما يظهر الى سرعة نطقهم الكبيرة في هذه اللهجات.وقد تسقط تماما وذلك اذا وقعت في مقطع منغلق وبين حرفين يكونان مجموعة بسيرة على النطق يسرا يجعل احدهما كانه يجذب الآخر اليه من ذلك كلمة "حَنَك" فقد تصير "حَنْك" (ḥank) وكلمة "قَلَم" فقد تصير "قَلْم" (qǎlm) (اي بفتحة بين الفتحة والضمة نصف المنغلقة اي : ǎ) وليس نجد بالشرق امثلة من هذا القبيل الا لماما.

---

(١) انظر فيما يتعلق بتحديد هذه الاصطلاحات عدى ، مقطع منغلق ، و ، مقطع منفتح ، ما سياتى فى ذلك فى فصل الكلام عن ، المقطع والنبرة ، .

ب) لقد سقطت الحركات القصيرة من آخر الكلمات منذ عهد قديم جدا. فمنذ العربية الفصحى القديمة كانوا يسقطون هذه الحركات القصيرة عند الوقف اي بعبارة اخرى عند كل قسم من اقسام الجملة (انظر ما بعد.هذا في فصل "المقطع والنبرة") وكذلك تسقط الحركات القصيرة اذا ابتدات الكلمة الموالية بحرف من شانه الادغام في الحرف الاخير من الكلمة السابقة (ويسمى ذلك الادغام الاكبر) نحو "بيّتَ طائفة" (قرآن : ١٧ ،83) فكثيرا ما كانوا يقرؤون ذلك هكذا : "بيّطّائفة" اي باسقاط حركة التاء. ولم تسقط الحركات القصيرة الآخرة في الالسن الدارجة العربية الحديثة عند الوقف فقط بل وايضا في داخل الجملة. ومن العسير الجزم بان هذا الاسقاط قد طرأ على الحركات القصيرة الثلاث في آن واحد فمن الممكن ان تكون الفتحة قد ثبتت زمنا اطول من اختيها الكسرة والضمة.

ج) واذا وقعت الحركات القصيرة في مقطع منفتح وسط الكلمة كانت الامور اشد تعقدا فلا تسقط الحركات القصيرة في هذا الموقع من العربية الفصحى القديمة الا على سبيل الحذف اي اذا وقعت بين حرفين قابلين للادغام في حالة الادغام الكبير نحو "مَسَسَ" – "مَسّ" و"رَادِدَ" – "رَادّ"...الخ.على انه يبدو ان الكسرة السامية القديمة قد سقطت من وسط بعض الكلمات مثل "(ا) بن" (قارن بقولهم في العبرية: "بِنْ" (bẹn) و"(ا) سْم" (قارن بقولهم في العبرية : "شِمْ" (šẹm) وكذلك اسم العدد "(ا) ثنان" (قارن بقولهم في الآكادية : "شِنَا" (šinā) (1).

واما في الالسن الدارجة العربية الحديثة فنجد بالعكس كثيرا من الامثلة التي سقطت فيها الحركات القصيرة الواقعة في مقطع منفتح : الا ان هيئة الامثلة في هذا الصدد تختلف من لهجة الى اخرى اختلافا كبيرا. فنلاحظ اولا ان حظ الحركات القصيرة الثلاث من التعرض الى السقوط ليس واحدا : فكثيرا ما تكون الفتحة اشد ثباتا من الكسرة والضمة. وقد يكون ذلك ناتجا عن ان "الفتحة القصيرة او الطويلة اطول من الكسرة

(1) وعلاوة على ذلك فان النحاة العرب قد تفطنوا الى وجود حركات قصيرة «مصغرة سموها « اختلاسا » : انظر ما بعد هذا .

والضمة القصيرتين او الطويلتين" (انظر أ. مايي (A. Meillet) في فصله "في كمية الحركات المنغلقة" الصادر بـ "مذكرات الجمعية اللغوية بباريس" XV ص 265–268 «De la quantité des voyelles fermées» in MSL - XV p.
وقد استشهد بذلك "فغالي" في "كفر عبيده": ص120 Féghali - Kfar abida

فمن الممكن اذن آن نقسم اللهجات الحديثة الى طائفتين كبيرتين : اولا – اللهجات غير الفارقة (non différentiels) التي تعالج فيها الحركات القصيرة الثلاث الفتحة والكسرة والضمة اذا وقعت في مقطع منفتح علاجا واحدا – وثانيا : اللهجات الفارقة (différentiels) اي التي تسقط فيها الكسرة القصيرة والضمة القصيرة اذا وقعتا في مقطع منفتح بينما تنزع الفتحة الى الثبوت اذا وقعت نفس ذلك الموقع. ويمكن ان نميز داخل كل واحدة من هاتين الطائفتين الكبيرتين بين اقسام فرعية وذلك بحسب دور "نبرة الكلمة" او دور "تتابع المقاطع القصيرة" وسننظر الآن في بعض الامثلة :

فيبدو ان اللهجات غير الفارقة قليلة بالشرق واللهجة الوحيدة التي وصفت وصفا جديا هي لهجة كفر عبيده (بلبنان) وتسقط الحركات القصيرة فيها اذا وقعت في مقطع منفتح الا اذا وقعت عليها نبرة الكلمة تثبت وذلك قولهم "سْلاَمْ" (slām) (من سَلاَمٍ في الفصحى) و"لْسَانْ" (lsān) (من لِسَان في الفصحى) و"غْرَابْ" (ġrab) (من غُرَاب في الفصحى) ولكنهم يقولون "أَلِمْ" (ʾálem) (اي قلم في الفصحى) و"حِرَفْ" (ḥéraf) (وهو حَرْف في الفصحى) و"كُتُبْ" (kótob) (اي كتب في الفصحى) فتثبت الحركة القصيرة في المقطع المنفتح الاول لوقوعها تحت النبرة .

وبالعكس فان اللهجات الفارقة كثيرة مختلفة الانواع بالشرق وتثبت الفتحة في نوع من هذه الانواع وهو كثير الانتشار في لهجات الحضر ولهجات كبار المدن كبيت المقدس ودمشق وبيروت وحلب وذلك اذا جاءت في مقطع منفتح منبر او غير منبر اي في مقطع قبل النبرة او بعدها. من ذلك قولهم : "مَبَارِدْ" (mabāreḍ) (اي جمع مِبْرَد) و"مَكْتَبِه" (măktābe) (اي مكتبة) .

واذا تتابع مقطعان منفتحان في كل واحد منهما فتحة ثبتا ثبوتا كاملا نحو قولهم : "بَدَنُه" (badano) (اي بدنه) و"بَلَد" (baladi) (اي بلدي) و"بَصَلَه" (baṣale) (اي بَصَلَةٌ) و"بَكَرَة" (bakara) (اي بَكْرَة) (ويعتبرون علامة التانيث وهي الفتحة او الفتحة الممالة امالة شديدة اي (e) طويلة) ومنه ايضا قولهم : "بَقَارَة" (baqārat) (اي بقرات) "وخَشَابَة" (hašābat) (اي خشبات) الخ.

وبخلاف ذلك اذا تتابع ثلاثة مقاطع منفتحة في كل واحد منها فتحة سقطت فتحة المقطع الثالث وخففت فتحة المقطع الثاني تخفيفا شديدا نحو: "رَقَبْتُه" (raqᵉbto) (من رَقَبَة + ه) و"خَشَبْتَين" (ḥašᵒbtēn) (من خشبتين). ومن جهة اخرى فان الفتحة القصيرة التي في علامة التانيث تسقط عادة اذا وقعت في مقطع منفتح بخلاف الفتحات الاخرى نحو قولهم : "رُكُبْتِي" (rökᵒbti) في "ركبتي".

وبخلاف ذلك فان الكسرة والضمة لا تثبتان في المقاطع المنفتحة الا اذا وقعت عليهما النبرة فان لم تكونا كذلك سقطتا نحو قولهم بالاثبات "رُكَب" (rúkab) (اي "ركب" جمع ركبة) ولكنهم يسقطون الضمة في نحو "بْيُوت" (byūt) اي "بيوت" وكذلك قولهم بالأثبات "لِحَا" (leḥa) اي لحى جمع لحية) وبالأسقاط "كْلاب" (klāb) (اي كلاب).

وهناك انواع عديدة اخرى من هذه اللهجات. فالكسرة والضمة الواقعتان في المقاطع المنفتحة تسقطان من لهجات الفلاحين بحوران بالمملكة الأردنية وبقسم من فلسطين وذلك حتى اذا كانتا في الظاهر منبرتين سابقا: وذلك قولهم "رْكَب" (rkab) (اي جمع ركبة) و"لْحَا" (lḥa) (او لْحِي) (lḥe) بامالة الفتحة امالة شديدة) وهو جمع لحية.

وبخلاف ذلك فان الفتحة تثبت عادة في المقاطع المنفتحة اللهم الا اذا تتابع ثلاثة مقاطع منفتحة في كل واحد منها فتحة فاذا كان ذلك سقطت حركة المقطع الثاني (لا المقطع الثالث كما كانت الحال اعلاه) نحو "رَقْبَتُه" (ragbato) (اي رقبته) و"خَشْبَتين" (ḥašbatēn) (اي خشبتين).

وبخلاف ذلك فان فلاحي مدينة تدمر يثبتون جميع الفتحات في حالة تتابع ثلاثة مقاطع منفتحة يضم كل واحد منها فتحة نحو قولهم "رَقَبَتَه" (raqabateh) (بامالة فتحة التاء امالة شديدة) وقولهم "خَشَبَتَيْن" (haŝabatēn) بكسر التاء كسرا ينطق كالفتحة الممالة امالة شديدة. وذلك رغم ان الحالة هناك فيما عدا هذه النقطة مماثلة للحالة بلهجات حوران. وتسقط الكسرة والضمة عادة من المقاطع المنفتحة في لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية وذلك حتى اذا كان المقطع فيما يظهر قد وقعت عليه النبرة سابقا ولكن هذه اللهجات لا تقبل الا مقطعا منفتحا واحدا فيه فتحة : فاذا تتابعت عدة مقاطع منفتحة في كل واحد منها فتحة ثبت المقطع الثاني فقط وسقطت سائر المقاطع الاخرى نحو قولهم : "جَمَلْ" (ǧamal) (اي جَمَلٌ) ولكن "جْمَلِي" (ǧmōli) (اي جَمَلِي) وقولهم "رْقُبْتِي" (rgobti) (اي رقبتي) و"خْشُبْتِين" (hŝōbtēn) (اي خشبتين) ... الخ انظر كانتينو "دراسات في بعض لهجات البدو الرحل" I ، ص 52—65 و II ، ص 40—50 .

وبخلاف ذلك فان الباحثين لم يشيروا الى حد الآن الى وجود اية لهجة فارقة بالمغرب العربي : فعلاج جميع الحركات القصيرة الواقعة في المقاطع المنفتحة واحد في جميع اللهجات التي وصفت الى الآن. وتحتفظ لهجة من هذه اللهجات وهي المالطية بالحركات القصيرة المنبرة الواقعة بمقطع منفتح نحو قولهم : "قَمَر" (qámar) و"طُرُق" (tóroq) وقولهم "فِدِد" (fíded) (اي فِضَض في الفصحى ومعناه قطع من فضة) .

واما اللهجات الحالية بشمال افريقيا فتنزع الى اسقاط جميع الحركات القصيرة في الاصل اذا وقعت في مقاطع منفتحة نحو قولهم "فْرَس" (fras) (وفصيحة فَرَس) و"مْنَافَخ" (mnāfaḥ) (وفصيحه مَنَافِخ) و"جْدُد" (ždud) (وفصيحه "جُدُد") و"قْلُوب" (qlūb) (وفصيحه "قُلُوب") و"خْيَام" (ḥyām) (وفصيحه "خِيَم") وكْلَاب" (klāb) (وفصيحه "كِلَاب") ... الخ.[1] ويظهر ان لهذه الامثلة المذكورة في اماكن مختلفة من كتاب "أشْتُمَّر" "نحو العربية التونسية"

ما يوافقها في جميع لهجات المغرب العربي. ومن العسير ان نربط هذه الظاهرة عندهم بسرعة نطقهم المفرطة في هذه اللهجات ونلمس هذه السرعة عند الحضريين منهم اكثر مما نلمسها عند البدو الرحل فهل وقع اسقاط الحركات القصيرة داخل الكلمة منذ عهد قديم بالمغرب العربي؟ ان كثيرا من المعطيات تخول لنا ان نشك في ذلك اولاها ثبوت عدد كبير من الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع منفتحة في لهجة غرناطة العربية التي وصفها " بيدرو دي الكالا " (Pedro de Alcala) في اوائل القرن الرابع عشر المسيحي وثانيتها ثبوت تلك الحركات في نصوص مستقاة من لهجة المغرب الاقصى وهي نصوص اقرب عهدا من لهجة غرناطة المذكورة (انظر ج. س. كولين) وثالثتها في النهاية ثبوت عدد كبير من الحركات القصيرة الى يومنا هذا في صورة حركات قصيرة للغاية وذلك في لهجات البدو الرحل بصحراء ولاية الجزائر وخاصة عند اولاد نايل والاربـاع والشعامبة فقد سمعت عندهم صيغا مثل "لِسَان" (lᵉsān) باختلاس كسرة اللام و"كِتَب" (kᵉteb) (اي كتب) تنطق كسرة الكاف مختلسة سمعت ذلك عند أناس اميين تماما استعملتهم كمخبرين : قارن ذلك بما جاء عند أ. "دينا" "تعليقات في صوتيات لهجة الاربـاع وصرفها" ص 317—318، ولذلك فان سقوط الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع منفتحة في اكثر لهجات المغرب العربي لا يرجع تاريخها في الارجح الا الى قرنين او ثلاثة قرون.

3 — الأجــراس

ان اجراس الحركات القصيرة التي لها علامات في الخط العربي ... الاجراس الاساسية الثلاثة فحسب كما هو الشأن بالنسبة الى الحركات الطويلة : وهذه الاجراس الاساسية الثلاثة هي الفتحة والكسرة والضمة وهي في الحقيقة اجراس وظائفية تستعمل للتمييز بين الصيغ النحوية ... المعجمية الا ان النحاة العرب قد لاحظوا انه يدخل على هذه الاجراس الوظائفية الثلاثة فريقات مختلفة عند الانجاز الصوتي : وقد ذكروا ... ذلك امالة الفتحة اي امالتهم الفتحة نحو الكسرة ونطقهم بها اذن كـ (...) والفتح الشديد اي الذي ينزع الى الضم اي نطقهم به كـ (...) ... اعتبروه نطقا مستهجنا اعجميا انظر : براقمان "مواد..." ص 34 ...

وكثيرا فان النحاة العرب قد ذكروا عدة حالات تقرب فيها الحركات بعضها من بعض واشهر حالات هذا النوع من التقريب هو ادغام ضمير الغائب المتصل : "ـه" وجمعه "هم" : فاذا وقع هذان الضميران بعد كلمة تنتهي بكسرة او بكسرة طويلة او بفتحة متبوعة بياء ساكنة اي "ـَيْ" صارت ضمتهما كسرة نحو قولهم : في "رجلِه" و"قاضيهِم" و"عليهِم" ... الخ. وقد فسروا عادة صيغتي فعل المدح وفعل الذم القريبتين وهما "نِعْمَ" (نَعِمَ ـ نِعِمَ) و"بِئْسَ" (بَئِسَ ـ بِئِسَ) بواسطة هذا النوع من التقريب وكذلك تفسر اعراب كلمة "امْرُؤٌ" "امْرِئٍ" "امْرَأً" بتقريب الحركة الاصلية في الكلمة من حركة الاعراب. وكذلك تفسر ايضا كلمة "ابْنُمُن" "ابْنِمِن" "ابْنَمَن" (انظر بروكلمان : المختصر : ا ، ص 180—181 حيث نجد امثلة اخرى لتقريب الحركات وكثيرا ايضا ما تؤثر الحروف المجاورة على اجراس الحركات نذكر من ذلك المثالين فقط :

ـ اذا كانت عين الفعل او لامه حرفا من حروف وسط الحلق او اقصاه كانت عين المضارع مفتوحة وذلك بتاثير حروف الحلق المذكورة نحو قولهم "يفتَح" و"يفعَل" ... الخ.

ـ هناك بعض الكلمات في لغات سامية غير العربية حركتها الاصلية كسرة قديمة او فتحة قديمة ويوافقها في العربية كلمات حركتها الاصلية ضمة وذلك لتاثير حرف شفوي يقع بعد تلك الحركة من ذلك كلمة "امّ" (اذ يوافقها في العبرانية "امّ" (ᵓem) وفي الآرامية "امّا" (ᵓemmā) وكلمة "لُبّ" (اذ يوافقها في العبرانية "لِب" (lēb) وفي السريانية "لِبّا" (lebbā) وكلمة "ظُفُر" (اذ يوافقها في السريانية "طِبْرا" : (ṭeprā) الخ... انظر فيما يتعلق بتاثير الحروف المجاورة (على الحركات) بروكلمان : "نفس المرجع" ص 194—203.

واما الالسن الدارجة العربية الحديثة فانه يبدو عند اول وهلة ان الاجراس الحركية فيها متعددة ومتنوعة وقد ميز علماء اللهجات الفرنسيون من بين تلك الاجراس عددا عديدا (ويرجع هذا في الراجح الى تاثير لغتنا الفرنسية وهي لغة زاخرة بالاجراس الحركية الى حد بعيد) انظر و. مارسي

في "نصوص طانجة العربية" تعليق عدد 17 وفي "نصوص تكرونه العربية" تعليق عدد 20 .

ولا شك في ان هذه التمييزات الدقيقة صحيحة من الناحية الصوتية الا ان الامر ليس كذلك البتة من الناحية الوظائفية فقد لاحظ و. مارسي: ("تكرونة ص XL XII ") ان "التونسيين يقسمون حركاتهم تقسيما مختصرا وهو الفتحة والضمة. والكسرة وهم متفقون عادة على هذا التقسيم" وفعلا فان الناطقين بالعربية في اكبر قسم من العالم العربي لا يميزون الآن كما لم يميزوا فيما مضى - الا بين ثلاثة اجراس وظائفية فيما يتعلق بالحركات القصيرة. ومن شان هذه الاجراس ان يختلف انجازها الصوتي باختلاف انواع الاصوات المجاورة. بل ويمكن للمرء ان يتساءل فيما يتعلق بالجزائر والمغرب الاقصى هل ان اهل هذين القطرين لم يقصروا الاجراس الواظائفية على جرسين فقط اذ ان الكسرة قد اضمحلت عندهم.

ويتعلق الانجاز الصوتي لهذه الاجراس الاساسية الثلاثة بنوع الحروف المجاورة وباجراس حركات المقاطع المجاورة ولن نفصل القول في جزئيات هذه الظواهر الصوتية من تقريب وتباين وهي جزئيات تختلف من لهجة الى اخرى ونكتفي بذكر الخطوط الاساسية في هذه المسالة.

أ) ان حرفي وسط الحلق وهما الحاء والعين - وكذلك احيانا حرفا اللهاة وهما الخاء والغين - ينحوان باجراس الحركات المجاورة نحو الفتحة .

ب) ان الحروف المفخمة واحيانا الحروف اللهوية وهي الخاء والغين والقاف تؤخر مخرج الحركات المجاورة فتصير هذه الحركات الى (ą) و(o) و(u) اي فتحة خلفية وحركة خلفية نصف منغلقة وحركة خلفية منغلقة.

ج) ان الحروف الشفوية وخاصة الباء والميم تصير الحركات المجاورة مستديرة وتقربها من الضمة.

د) ويكثر نوعا ما العثور على نوع من "انسجام الحركات" اي ان الحركات التابعة لكلمة واحدة تنزع نحو اجراس متقاربة .

ارجع فيما يتعلق بكل هذه المسائل الى بروكلمان "المختصر" ١ ، ص 145 و181—183 و 194—203 ... الخ ويلخص بروكلمان تلخيصا لا باس به مجموع المسائل المعروفة بهذا الصدد .

٧) الحركات القصيرة للغاية والحركات المحدثة

لا يمكن الفصل بين دراسة "الحركات المحدثة" (اي الحركات التي لم توجد في السامية والتي ظهرت في العربية في بعض المواقع من الكلمات او ايضا الحركات التي لم توجد في العربية القديمة والتي ظهرت في اللهجات الحديثة) وبين دراسة الحركات القصيرة للغاية وذلك لان الحركات المحدثة كادت تكون دائما في اول الأمر حركات قصيرة للغاية .

وسندرس الحركات المحدثة والحركات القصيرة للغاية في المواقع الاربعة التالية : في اول الكلمة (اي عادة قبل مجموعة متركبة من حرفين) وفي وسط الكلمة (اي عادة بين عناصر مجموعة متركبة من ثلاثة حروف) وفي المقطع الآخر من الكلمة اي بين الحرفين الاخرين من الكلمة. وفي آخر الكلمة مطلقا اي بين كلمتين متتابعتين .ففي اول الكلمة مطلقا لا تقبل العربية القديمة وجود مجموعة متركبة من حرفين فاذا ابتدات الكلمة بحرفين متاليين نشأت قبلهما حركة اعتماد وذلك ما يحدث في الفعل اي في صيغة المخاطب من الامر الفعل المجرد نحو "أكْتُبْ" و"إفْعَل" وفي ماضي "إنْفَعَل" وامره ومصدره نحو "إنْقَتَل" "انقَتِل" و"إنْقِتَال" وكذلك ايضا في صيغة "إفْتَعَل" نحو "اقتَتَل" و"اقتَتِل" و"اقتِتَال" وصيغة "افعالّ" نحو "اقتالّ" و"اقتالَلَ" و"اقتِلال" ... الخ.

وكذلك تنشا حركة الاعتماد المذكورة في عدد ما من الاسماء التي سقطت حركتها الاصلية (انظر صفحة 177) فصار في اولها حرفان متتاليان نحو "ابن" و"ابنم" و"ابنة" و"اسم" و"است" و"امرؤ" و"امرأة".

وتنشأ كذلك في اسم العدد "اثنان" نحو "اثنان" و"اثنتان"(1) ومما تنبغي ملاحظته ان جرس حركة الاعتماد يكاد يكون دائما كسرة ولا يكون ضمة الا في اول صيغ الامر من الفعل المجرد اذا كانت عينه مضمومة (وذلك راجع في الراجح الى "الانسجام بين الحركات") .

وتسقط حركة الاعتماد طبعا اذا لم تكن الكلمة في اول الكلام مطلقا وسبقتها كلمة اخرى وخاصة اذا انتهت الكلمة السابقة بحركة (وسنرى بعد هذا ما يحدث اذا انتهت هذه الكلمة بحرف).

واما من ناحية الرسم فانهم يكتبون حركة الاعتماد بواسطة علامة الالف وثبتت هذه الالف حتى داخل الجملة الا انه يرسم فوقها اذا كانت كذلك علامة خاصة تدعى "الوَصْلَةُ" عوض علامة الحركة.

واما في الالسن الدارجة العربية الحديثة فان المجموعات ذات الحرفين قد تعددت في اول الكلمات وذلك من جراء سقوط كثير من الحركات القصيرة .

فاذا كان انغلاق حرفيّ تلك المجموعات متناقصا (اي اذا كان الحرف الاول شديدا والثاني رخوا أو مائعا مثلا) ثبت الحرفان عادة لان الالسن الدارجة العربية خلافا للعربية الفصحى تقبل وجود مجموعات ثنائية ذات حرفين بشرط ان يكون نطقها يسيرا. واما اذا كان نطقها عسيرا (اي اذا كان انغلاق الحرف الاول منها مساويا لانغلاق الحرف الثاني او كان انغلاقهما متزايدا فان حركة الاعتماد تنزع اذ ذاك الى الظهور قبل تلك

---

(1) ان حركة « ال » التعريف ليست حركة اعتماد وذلك رغم أنها تعالج في داخل الجملة علاج حركات الاعتماد ويبدو أن اداة التعريف كانت دائما « هل » و « ال » ثم انها خففت فصارت « ال » .

المجموعات وذلك ان لم تدخل حركة فصل بين عنصريها) (اي بين الحرف الاول والحرف الثاني من تلك المجموعات) من ذلك اننا كثيرا ما نسمعهم يقولون "احْمَار" (ᵒḥmāṛ) وكذلك "حْمار" (ḥᵒmāṛ و "اكْبَار" (ökbāṛ) (اي كبار) وكذلك "كُبَار" (kubāṛ). وامثلة حركات الاعتماد كثيرة جدا في جميع اللهجات : واذا اردت دليلا على هذه الكثرة فيما يتعلق بلهجة الجزائر مثلا فارجع الى الامثلة التي التقطها و. مارسي في كتابه "لهجة اولاد ابراهيم" ص 64–65. ولا تظهر حركة الاعتماد طبعا اذا انتهت الكلمة السابقة بحركة من ذلك انهم يقولون "ارْصَاص" (ᵒṛṣāṣ) اي رصاص ولكنهم يقولون "بَاعُ رْصَاص" (bāᶜuṛṣāṣ) اي باعوا رصاصا .

وقد تصير بعض الحركات التي كانت حركات اعتماد في الماضي قد تصير في احساسهم اللغوي حركات اصلية في الكلمة ففي كثير من اللهجات الشرقية نرى كلمتي "ابن" و"اسم" القديمتين قد آلتا الى "اَبِن" (ᵓebᵉn) و"اسِم" (ᵓesᵉm) اي انهما صارتا ثلاثيتين بان الحقت باولهما همزة وبان اصبحت حركة الاعتماد القديمة حركة اصلية .

واما في داخل الكلمة فان حركات الفصل تبرز خاصة بين العنصرين الاولين من مجموعة ذات ثلاثة احرف.

ويكاد ذلك لا يحدث الا في الالسن الدارجة الحديثة لا متناع وجود مثل تلك المجموعات في العربية القديمة ولانها تتولد عن سقوط الحركات القصيرة الواقعة في المقاطع المتفتحة (1) ومثال ذلك انه اذا كانت كلمة من الكلمات على الصيغة التالية :

(حرف + حركة + حرف + حرف + حركة + حرف + حركة طويلة)

---

(1) لقد عرف النحاة العرب وجود الحركات القصيرة للغاية في داخل الكلمات فهي عندهم حركات قصيرة في الاصل طرأ عليها « الاختلاس » ويذكر سيبويه (II ص 234 مثالين لذلك هما : « يضربها » (yaḍribᵘha) اي اختلاس ضمة الباء · و « من مأمنك » (min maᵓmanᶦka) اي باختلاس كسرة النون ·

صارت اولا على الصيغة الآتية (حرف + حركة + حرف + حرف + حرف + حركة طويلة) وذلك من جــراء سقوط الحركة القصيرة الواقعة في مقطع متفتح. ثم انه اذا كانت المجموعة الجديدة المتركبة من ثلاثة احرف عسيرة على النطق برزت حركة فصل قصيرة للغاية في اول الامر — ولكن باحتمال مآلها الى حركة قصيرة عادية — ويكون مكان بروزها بين الحرفين الاولين من المجموعة ذات الثلاثة احرف المذكورة وينتهي بنا المطاف الى الصيغة التالية : (حرف + حركة + حرف + حركة + حرف + حرف + حركة طويلة) (I) مثال ذلك ان صيغة "تِدْرِسُو" (اي تدرس الحنطة) تصير اولا "نْـدْرسُو" (nedrsu) ثم "نِدِرْسُ" (ned^{e}rsu) وكذلك صيغة "مُسْلِمِيـــنْ" تصير "مُسْلْمِيـــنْ" (moslmīn) ثم "مُسُلْمِيـنْ" (mos^{ö}lmīn).

وقد تحدث هذه الظاهرة في جميع اللهجات العربية الغربية منها او الشرقية وقد سماها اول من لاحظها من الاختصاصيين في لهجات المغرب "Aufsprengen" (اوفْشْبْرَانْقَنْ) بالالمانية (اي تقفيز) و" ressaut " (رِسُو) بالفرنسية (اي قفز) انظر اشتمه "نحو العربية التونسية" ص 5 وو. مارسي "اللسان الدارج العربي بتلمســان" ص 51 و 52 .

وقد لا تحدث هذه الظاهرة اذا كانت المجموعة المتركبة من ثلاثة أحرف يسيرة على النطق وخاصة اذا كان العنصر الاول منها حرفا مائعا نحو قولهم "نِلْبْسُ" (nelbsu) اي نلبس وقولهم "مِنْجْلِي" (menğli) اي منجلي. الا ان ثمة بعض اللهجات يكون فيها هذا "القفز" مطردا في جميع المواقع فنجد فيها صيغا مثل "نِلِبْسُ" (nel^{e}bsu) و "نْلِبْسُ" (nlebsu) و "لْبْسُ" (llebsu) .

(I) وهذه الصيغة هى بنفسها ليست قارة فاذا كانت حركة الفصل حركة قصيرة عادية صارت الحركة الاولى موجودة فى مقطع منفتح فلا يخلو أمرها من اثنتين اما أن تسقط نحو قولهم « مسلمين » (msölmīn) و « تدرس » (ndersu) واما ان يبرز تشديد ثانوى فينغلق به المقطع وتثبت الحركة وذلك نحو قولهم : « مسلمين » (mössölmīn) و « تدرس » (neddersu) .

واما اقحام حركة فصل بين الحرفين الآخرين من الكلمة في المقطع الآخر منها فظاهرة قديمة في اللغة وفعلا فان حركات الاعراب في العربية الفصحى تسقط عند الوقف حتى اذا كانت متبوعة بالتنوين (ما عدا في حالة النصب حيث تصير ـًا الى ـَا : انظر ما بعد هذا) .

واذا انتهت الكلمة عندئذ بحرفين حصل تناقض بينها وبين مبدا من مبادئ علم الاصوات في العربية وهو عدم قبول هذه اللغة وجود حرفين غير متبوعين بحركة : ولذا تبرز حركة فصل بين ذينك الحرفين وتكون اما من جنس جرس حركة الاعراب التي سقطت او من جنس الحركة الاصلية في الكلمة فكلمة "بَكْرٌ" (اي الفتي من الابل) تصير "بَكُرْ" عند الوقف واذا كانت مكسورة اي "بَكْرٍ" آلت الى "بَكِرْ". وكذلك "ضَرَبْتُهُ" و"مِنْهُ"...الخ تصيران الى "ضَرَبْتُهْ" و"مِنُهْ" عند الوقف. وخلافا لذلك فان كلمة مثل "عِدْلٌ" (اي مُسَاوٍ وشَبِيهٌ) تصير الى "عِدِلْ" عند الوقف اي ان جرس حركة الفصل فيها من جنس جرس الحركة الاصلية في الكلمة

ويسمى النوع الاول من حركات الفصل هذه "نقلا" اي اذا كان جرس الحركة الجديدة متعلقا بجرس حركة الاعراب التي سقطت ويسمى النوع الثاني منها "اتباعا" اي اذا كان جرس حركة الفصل متعلقا بجرس الحركة الأصلية في الكلمة ارجع فيما يخص ذينك النوعين الى سيبويه ص 309 و313 والى ابن يعيش : IX ، ص 70ـ73 وقد آل بهم الامر طبعا الى استعمال صيغ الوقف داخل الجملة فتنافست هذه الصيغ والصيغ العادية فتولد عن ذلك عدد كبير من الصيغ المزدوجة مثل "مَهَل" و"مَهْل" (اي هدوء وبطء) و"شَعَر" و"شَعْر" (اي ما ينبت على الراس) "وهَدَم" و"هَدْم" (وهو الدم الذي لم يُثْأَرْ له) وكذلك "غَلَب" (مصدر غلب) و"هَرَب" (مصدر هرب) و"طَلَب" (مصدر طَلَب) الى جانب "غَلْب" و"هَرْب" و"طَلْب" وكذلك "أذُن" و"أذْن" و"غُصُن" وغُصْن" وقد يجوز تفسير عدد لا باس به من المزدوجات التي من نوع "قَتَل وقَتْل" او "قُتُل" وقُتْل" بنفس تلك الكيفية انظر بوركلمان : "المختصر" : أ ، ص 209ـ210 .

واما في اللهجات الحديثة فان اقحام حركة فصل بين العنصرين الموجودين في مجموعة آخرة ذات حرفين كثير جدا لا سيما وان مثل هذه المجموعات قد تعددت في اللغة من جراء سقوط الحركات الآخرة ولا تثبت هذه المجموعات الا متى كان النطق بها يسيرا اي اذا كان انفتاح عناصرها انفتاحا متناقصا كما هي الحال في المجموعات التي تبتدىء بحرف مائع اوخيشومي او احيانا بحرف النون وهكذا فان "كَلْب" و"سَرْج" و"شَمْس" و"بِنْت" و"كَبْش" تثبت فيها عادة المجموعة الاخرة ذات الحرفين ونلم. ولكن اذا لم يكن الامر كذلك (اى اذا كانت المجموعة المذكورة عسيرة على النطق) فانهم يقحمون عادة حركة فصل مثال ذاك قولهم في اللهجات الشرقية "جسر" (ǧesᵉr) وفصيحة "جِسْر" و"بَطُن" (baṭᵒn) وفصيحُهُ "بَطْنٌ" و"اذُن" (ᵓödᵒn) وفصيحُهُ "أُذُن" الخ.

وتكون حركة الفصل في لهجات المغرب العربي في العادة حركة قصيرة عادية فتصير الحركة الاصلية واقعة في مقطع منفتح وتصبح عرضة للسقوط مثال ذلك :

"قَبْر" ← "قَبَر" ← "قْبَر"
"رِجْل" ← "رِجِل" ← "رْجِل"
"كُحْل" ← "كُحُل" ← "كْحُل"

وقد سمّوا هذه الظاهرة " Umspringen " (اومشبرِنقَن) بالالمانية اي طفرة و sursaut (سُرْسُو) بالفرنسية اي رجفة واهتزازة : انظر اشتمه : "نحو العربية التونسية" ص 5 وو. مارسي "اللسان العربي الدارج بتلمسان" ص 47، وتتمثل هذه الظاهرة في اساسها في كون كلمة صيغتها (حرف + حركة + حرف + حرف) تؤول اولا الى : (حرف + حركة + حرف + حركة+حرف) ثم في النهاية الى (حرف + حرف + حركة + حرف) فينبغي اذن عدم الخلط بين ظاهرة "الاهتزاز" هذه وبين ظواهر اخرى مثل انتقال كلمة "قَرْمِن" الى "قْرِمِن" اذ ان المرحلة الاولى من ظاهرة "الاهتزاز" معدومة من المثال الاخير.

واما الحركات الآخرة في الكلمة فان سقوطها سقوطا تاما لم يكن دائما مطردا في اللغة القديمة فقد تفطن النحاة العرب الى جانب السقوط

التام — ويسمى تسكينا — الى وجود كيفيات مختلفة في تقليل النطق بهذه الحركات وردها الى حركات قصيرة للغاية. من ذلك ما سموه "رَوْمًا" و"إشْمَامًا" وهو قصر النطق بالحركة الى مجرد "نبة" واشمامها "رائحة" عابرة : انظر فيما يتعلق بهذا سيبويه : II ، ص 308—309 والزمخشري ابن يعيش : IX ، ص 66—70 وشاده : "علم الاصوات عند سيبويه" ص 58—60 والى برافمان : "مواد" ... ص 82—90 .

واذا تتابع لفظان ينتهي اولهما بحرف ويبتدىء ثانيهما بحرفين (مسبوقين في الرسم بوصلة) تحتم ظهور حركة فاصلة طبعا فاذا كان اللفظ الاول ينتهي في الاصل بحركة قد سقطت فانها تظهر من جديد وذلك ما يحدث في ضمائر المخاطبين والغائبين اي : "انتُم" و"كُم" و"هُم" و"هُم" وقد كانت في الاصل: "انتُمُ" و "كُمُ" و"هُمُ" و"هُمُ" : قارن بضمائر اللغة الحبشية الموافقة لها وهي "انتمو" (ʾantamū) و"ـ كَمُو" (kamū) و"ـ هُمُو" (hōmū) ومثال ذلك قولهم: "انتُمُ الكاذبون" و"لعنهُمُ الله" الخ. وكذلك ترجع الضمة في آخر الكلمة "مُذ" وهي صيغة مقتضبة "لِمُنذُ" وذلك اذا وقعت قبل كلمة تبتدىء بحرفين. واذا لم يكن في آخر اللفظ الاول حركة قط تحتم ظهور حركة فصل بينه وبين اللفظ الثاني المبتدىء بحرفين ويكون جرس هذه الحركة عادة من جنس الكسرة وتكتب في الرسم في آخر الكلمة الاولى نحو قولهم "قامَتِ الجارية" الا ان هذه الحركة قد تكون ضمة اذا كان في اللفظ الثاني ضمة اصلية نحو قولهم و"قالتُ اخْرُجْ" (قرآن : XII ، 31) غير ان قراءة "قالَتِ اخْرُجْ" جائزة ايضا وهي الموجودة في اكثر طبعات القرآن. وقد تكون حركة الفصل هذه فتحة اذا كان الحرف الاول "مِن" وكان الثاني معرفا نحو قولهم "مِنَ الجنّة" (قرآن C XIV ، 6) بل وقد تكون فتحة كذلك في بعض الاحيان حتى اذا كان اللفظ الاول حرفا آخر غير "مِن" نحو قوله "الـ لام ميمَ الله لا اله الا هُوَ" (قرآن : III ، 1) انظر هول : "نحو اللغة العربية الفصحى" : IV ص 1024—1039.

Howel: A Grammar of the classical Arabic Language.

و عبارة عن اصدار
بطائفة من عمليات
صلة بين عمليتين من
ملا او جزئيا) هي
او عدة اصوات فاتحة
اعلا من الانفتاح تمثله
غالقة او حاجزة للهواء
ك "تَرك" (trac)
ا حرفا "تْرْ" (tr)
ـا وتمثل فيهما حرف
الى المنتهي لها .

ع واول ما يجب تاكيد
والمقاطع المنغلقة وهي
لذي ينتهي بحركة (طويلة
بو" (repu) (ومعناها

او حرفين (واذا انتهى
) مثال ذلك اسم العلم
طعان منغلقان .

قصيرة ومقاطع طويلة:

VI) المقطع والنبرة والايقاع

I) المقـطع

١ ـ عموميات صوتية

ان اصدار جملة من الجمل او لفظا من الالفاظ هو عبارة عن اصدار سلسلة متابعة من الاصوات يتطلب النطق بها القيام بطائفة من عمليات الانفتاح والانغلاق في جهاز التصويت وان الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت (سواء اكان الغلق كاملا او جزئيا) هي التي تمثل المقطع. ويبتدىء المقطع بصوت واحد اوعدة اصوات فاتحة او متفجرة "explosifs" ذات انفتاح متزايد ويمر بمقدار اعلا من الانفتاح تمثله عادة حركة من الحركات وينتهي بصوت او عدة اصوات غالقة او حاجزة للهواء (implosifs) ذات انفتاح متناقص مثال ذلك "تْرَكْ" (trac) او "بِرتْ" (pert) وهما مقطعان تمثل فيهما حرفا "تْرْ" (tr) او حرف "پ" (p) العنصر الفاتح البادىء لهما وتمثل فيهما حرف "كْ" (c) او حرفا "رْتْ" (rt) العنصر الغالق المنهي لهما.

ويمكن التمييز بين عدة انواع من المقاطع واول ما يجب تاكيد القول فيه هي المقابلة بين المقاطع المنفتحة والمقاطع المنغلقة وهي مقابلة لها اهمية خاصة فالمقطع المنفتح هو الذي ينتهي بحركة (طويلة او قصيرة) مثال ذلك في الفرنسية كلمة "روپو" (repu) (ومعناه شبعان) فمقطعاها مقطعان منفتحان.

والمقطع المنغلق هو الذي ينتهي بحرف او حرفين (واذا انتهى بحرفين سمي احيانا مقطعا مزدوج الانغلاق) مثال ذلك اسم العلم "فكتور" (victor) في الفرنسية فمقطعاه مقطعان منغلقان.

وتنقسم المقاطع من حيث المدى الى مقاطع قصيرة ومقاطع طويلة:

فالمقطع القصير هو الذي ينتهي بحركة قصيرة (واذن فكل مقطع قصير يكون منفتحا وجوبا) مثال ذلك "قَتَلَ" في العربية متركبة من ثلاثة مقاطع قصيرة .

والمقطع الطويل هو الذي ينتهي بحركة طويلة او بحرف (واذن فكل مقطع منغلق يكون طويلا وُجُوبًا) مثال ذلك ان المقطع الثاني وهو "تَلْ" والمقطع الثالث وهو "نَا" في قولهم في العربية "قَتَلْنَا" مقطعان طويلان .

2) المقطع في العربية القديمة

لن نخوض في مسالة المقطع في اللغة السامية وذلك لانه يبدو ان الحالة التي كانت عليها المقاطع في السامية قد بقيت هي هي في العربية القديمة : فسنكتفي اذن بوصف حالة المقاطع في العربية القديمة وصفا وجيزا .

أ) — يبتدىء المقطع في العربية القديمة بحرف واحد مطلقا واذن فان المجموعة ذات الحرفين اذا كانت في داخل الكلمة تقاسم حرفيها مقطعان متتاليان فينبغي تقطيع كلمة "قَطْرَةٌ" مثلا على النحو التالي : "قَطْ — رَ — تُنْ" ولذلك ايضا امتنع وجود مجموعات ذات حرفين في اول الكلمة : ووجب ان تسبقها حركة اعتماد في وسط الجملة وتربط هذه الحركة وكذلك الحرف الاول من المجموعة ذات الحرفين بالحرف الآخر من الكلمة السابقة فقولهم: "قَامَتِ الجَارِيَةُ" يقطع هكذا "قا — مَ — تِل — جَا — رِ — يَ — ـةُ".واذا كانت حركة الاعتماد هذه في اول الكلام سبقتها همزة قطع فيقال "أَلْجارية" لا "الجارية" .

ب) ينتهي المقطع في العربية القديمة اما بحركة (في حالة المقطع المنفتح) او بحرف واحد (في حالة المقطع المنغلق) ولذلك انعدمت من العربية المقاطع ذات الانغلاق المزدوج وكذلك المجموعات المتركبة من اكثر من حرفين في داخل الكلمة وكذلك ايضا المجموعات ذات الحرفين في آخر الكلمة : واذا ظهرت مجموعات من هذا الصنف الاخير من جراء الوقف وجب اقحام حركة فصل بين الحرفين .

ج) نجد في العربية القديمة مقاطع قصيرة ومقاطع طويلة. ويجتنب في الغالب وجود حركة طويلة في مقطع منغلق .

3) المقطع في الالسن الدارجة الحديثة :

لقد حوّروا في الالسن الدارجة الحديثة هذا التركيب المقطعي تحويرا كبيرا .

ففي اول الكلمة بالخصوص يجوز بدء المقطع بمجموعة من الحروف نحو "كْتَبْ" (ktāb) اي كَتَبَ و"قْصَرْ" (qṣaṛ) اي قَصَّرَ. ولا يفطرون الى حركة الاعتماد الا عند التلفظ بالمجموعات الحرفية الاشق على النطق.

ومن ناحية اخرى يجوز في المقطع اذا وقع اولا ان يبتدىء بحركة نحو قولهم "أخْتْ"(uḫt) وقولهم "أخْرَى" (oḫra) اي "أخرى" و"أرْضْ" (arḏ) اي "أرْضٌ"... الخ. الا انه من المحتمل ان الناطقين بالعربية ما زالوا يشعرون في هذه الحال بوجود همزة اولى وان اصبحت لا تسمع لانهم يعتبرون هذه الكلمات ثلاثية واذا وقع المقطع داخل الكلمة امتنع بدؤه بمجموعة ذات حرفين فيما يبدو والراجح في كلمة مثل "مِنْجْلِي" (mengli) اي مِنْجَلِي ان يكون تقطيعها هكذا : مِنْجْ-لِي (mengǧ-li)

– وفعلا فانه يجوز في المقطع حتى اذا وقع آخرا ان ينتهي بمجموعة ذات حرفين نحو قولهم : "كَبْشْ" (kābš) اي "كَبْشٌ" و"قَلْبْ" (gālb) اي "قَلْبٌ" ولا يضطرون الى اقحام حركة فصل بين الحرفين الا في المجموعات الاشق على النطق وكذلك كثرت عندهم المجموعات ذات الحرفين في آخر المقاطع الواقعة داخل الكلمة وفي هذه الحال تثبت هذه المجموعات وتسلم كما في "مِنْجْ - لِي" (menǧ-li) ا[illegible] تقحم حركة فصل قصيرة للغاية بين العنصرين الحرفيين من المجموعة [illegible] قولهم "نِدرْ – س" (nedᵉr-su) اي "تَدْرُسُ الحِنْطَةَ"، وما دامت هذه الحركة قصيرة للغاية لم تكون مقطعا زائدا ولكنها متى اصبحت حركة قصيرة عادية غيرت تركيب الكلمة المقطعي راسا على عقب

وتولدت من ذلك صيغ مثل "نـدْ ـ درْ ـ سُ" (ned-der-su) او "ندرْسُ" (nder-su) (انظر اعلاه) ومهما يكن من امر فان المقاطع ذات الانغلاق المزدوج والمجموعات ذات الثلاثة احرف قد اصبحت امرا جاريا في الالسن الدارجة.

– لقد اصبحت نسبة المقاطع الطويلة اكثر بكثير في الالسن الدارجة الحديثة منها في اللغة القديمة وذلك من جراء سقوط عدد كثير او قليل من الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع متفتحة وذهاب عدد كبير من المقاطع القصيرة. بل وقد اضمحلت المقاطع القصيرة من لهجات المغرب العربي اضمحلالا تاما فلم يبق الا المقاطع الطويلة وحدها او بالاحرى مقاطع لهاتفس المدى على ان المقاطع ذات الانغلاق المزدوج والمقاطع المنغلقة ذات الحركة الطويلة تدخل شيئا من التنوع على المدى المقطعي الذى صار على وتيرة واحدة وذلك لانها اطول بقليل من سائر المقاطع الطويلة.

II) النبرة

1 – عموميات صوتية

ينبغي تحديد النبرة على النحو التالي : النبرة هي اشباع مقطع من المقاطع بان تقوى اما ارتفاعه الموسيقى او شدته او مداه او عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت وذلك بالنسبة الى نفس العناصر في المقاطع المجاورة.

ويجدر العناية بالتمييز بين نبرة الكلمة ونبرة الجملة

2 – النبرة في العربية القديمة

اذا صدقنا ما جاء في اكثر الكتب التي صنفها الاوروبيون في النحو العربى امكننا القول بان مكان نبرة الكلمة في العربية الفصحى معروف وان كانت حقيقة هذه النبرة مجهولة ونجدهم عادة قد وضعوا القاعدة التالية في هذا السياق : تقع النبرة على اول مقطع طويل من الكلمة ابتداء

من آخرهما واذا خلت الكلمة من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الاول منها ثم ان النبرة لا تقع البتة على المقاطع الطويلة الآخرة وذلك نحو "يقاتلوا" و"قاتَل" "ولم يقاتلوا" (النبرة على " قا ")

الا ان هذه القاعدة لا تعتمد في الحقيقة على اية رواية قديمة لم يذكرها النحاة العرب الذين وصفوا لغتهم بدقة بلغت ما بلغت ولا مفكر التجويد الذين خاضوا في ادق دقائق القراءة القرآنية.

ويبدو حسب ما بيّنه مَايَارْ لاَمْبَارْ (Mayer-Lambert) في" المجلة الاسيوية" 1897 ص: 402—413 : - Journal Asiatique ان المستشرقَيْن "كِرْشْتِنْ" (Kirsten) و"إِرْبَانْيُوسْ" (Erpenius)قد استلهما تلك القاعدة من سماعهما للمثقفين المصريين في اوائل القرن السابع عشر .

وتلعب نبرة الكلمة في اللغات الهند و – اوربية القديمة دورا تمييزيا: قد تميز هذه النبرة بين الصيغ النحوية او بين الكلمات وذلك بحسب مكان وقوعها منها او بحسب جنسها ولذلك عالج النحاة الهنود واليونانيون واللاتينيون مسالة نبرة الكلمة الموسيقية ومكانها وخلافا لذلك لم نر في العربية ان نبرة الكلمة قد لعبت البتة دورا تمييزيا يذكر ولذلك سكت النحاة العرب عنها .

3 – النبرة في الالسن الدارجة الحديثة

لقد بالغوا في القول باهمية دور نبرة الكلمة في الالسن الدارجة الحديثة مبالغة مفرطة فاعتبروا نبرة الكلمة " المحرك الاول " (deusex machina) في جميع التحويرات التي طرات على التركيب المقطعي وفي الواقع فان نبرة الكلمة ضعيفة في اكثر الالسن الدارجة العربية وليس لدينا برهان قاطع البتة على ان موقعها من الكلمة موقع قار فالانسان يشعر بوجود نبرة جملة اكثر مما يشعر بوجود نبرة كلمة واللهجات الوحيدة التي نبرة الكلمة فيها نبرة قوية مكونة من خليط من الارتفاع الموسيقي ومن الشدة – اي شبيهة في نهاية الامر بالنبرة الايطالية – هي فيما أعرف لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية.

ت النبرة على المقطع
طويلة الآخرة وذلك
" قا "
)

ايـة روايـة قديمـة
بلغت ما بلغت ولا
قـراءة القـرآنيـة.

May) في " المجلة
Jo ان المستشرقيْن
استلهما تلك القاعدة
عشر .

ديمـة دورا تمييزيا:
ـات وذلك بحسب
ة الهنـود واليونانيون
هـا وخـلافـا لذلك
ورا تمييزيـا بذكـر

في الالـن الدارجة
المحرك الاول "
التركيب المقطعي
الدارجـة العربيـة
الكلمة موقع قـار
بوجود نبـرة كلمة
مكونـة من خليط
ابـة الامـر بالنبرة
الجزيـرة العربية.

ويبدو ان التركيب المقطعي يتطور في هـذه الالسن لمؤثـرات لا تمت الى نبرة الكلمـة بصلة : فحذف جميع الحركـات القصيـرة الواقعـة في مقاطع مفتحة من لهجات المغرب العربي مثلا راجع فيمـا يظهـر الى سرعة نطقهم في هـذه اللهجـــات.

وكذلك يبدو ان اهل اللهجـات الشرقيـة يجتنبون انـواعـا معينـة من تتابـع المقاطـع القصيـرة وكذلك يمكن اعزاء عـدد كبير من تضعيف الحروف وتطويـل الحركـات لا الى النبـرة بل الى اسباب صرفيـة : كحاجتهم الى المحافظـة قدر المستطـاع على سـلامة صيغة نموذجيـة او رغبتهم في اجتنـاب تحويـر كلمـة اخذوهـا عن اللغـة الفصحى القديمـة تحويـرا مفرطا.

على انه ينبغي الاشارة الى انـه قـد يكون لنبرة الكلمـة تاثيـر في اجراس الحركـات الطويلـة : مثال ذلك ان الفتحـات الطويلـة القديمـة (ā) تمـال امالـة شديـدة في لهجات البدو الرحـل بالبـلاد التونسيـة وتنفلـق فتصيـر (iā) وذلك اذا وقعت عليهـا النبـرة واذا كانت غير منبـرة فان الامالـة تكون بخلاف ذلك إمالـة ضعيفـة نحو قولهم "نسِي" (nsiā) اي "نَسِيَ" بامالـة الفتحـة الطويلة بعد السيـن امالـة شديـدة وظهـور فتحـة مختلسـة بعد اليـاء) و"يِنْسَ" (yénsā) بامالـة الفتحـة الطويلة القديمة بعد السين امالـة خفيفـة .

وتنفلـق الحركات المزدوجة القديمـة في نفس هذه اللهجات فتصير "يَيْ" الى "يِي" (iā) (اي بفتحـة مختلسـة بعد الكسرة) وتصيـر "وَوْ" الى "وُو" (uā) (اي بفتحـة مختلسة بعـد الضمـة) وذلك بشـرط ان تكون منبرة وان تقـع في المقطـع الاخـر من الكلمـة واما اذا وقعت في المقاطع التي من وسط الكلمة وكـانت هذه المقاطع منبرة فانها تخفف فتصيـر "يَيْ" الى "سَا" (ē) (اي فتحة طـويلة ممالـة امالة شديـدة) وتـصيـر "وَوْ" الى "ـوُ" (ō) (اي ضـمـة طويلة نصف منغلقة).

واما اذا وقعت في مقاطع غير منبرة فان تخفيفهـا يكون على النحو التالي : فاما "يِيْ" فتصير الى مجـرد كسرة طويلة "يِي" (ī) واما "وَوْ" فالى مجرد ضـمـة طويلـة (ū) .

ولا تطرأ الامالة الشديدة والانغلاق في المالطية الا على الفتحات الطويلة القديمة المنبرة واما غير المنبرة منها فلا يطرأ عليها الانغلاق نحو قولهم : "هلّيل" (halliel) اي سارق وجمعه "هلّلين" (hallelin) وقولهم : "قتِلْنا" (qtîlna) اي قتلنا" و"قتلنيهم" (qtilniehom) اي قتلناهم وقولهم : "بِدَ" (béda) اي بدأ "في" (gie) اي جاء .

III) الايقاع

1 – تعريفه

يمكن تعريف الايقاع هكذا : الايقاع هو تردد ارتسامات سمعية متجانسة بعد فترات ذات مدى متشابه فيمكن اذن التحصيل على الايقاع بواسطة وسائل جد مختلفة ففي البيت الشعري الكلاسيكي الاسكندري في اللغة الفرنسية (Alexandrin) يتكون الايقاع فقط من "القطع" (césure) وهو ارتفاع الصوت عند المقطع السادس من البيت ومن القافية وهي تكرير نفس المقطع الثاني عشر في عدد من الابيات وتنزل الصوت عند ذلك المقطع انظر ج. لوت (G. Lote) "اصول البيت الشعري في الفرنسية" ص 195 : (Les origines du vers français) ونجد في بعض اللغات الاخرى نوعا آخر من الايقاع في المنظوم يعتمد على مقابلات بين مقاطع منبرة ومقاطع غير منبرة في لغات اخرى ايضا بالخصوص في اللغات الهندو –اوربية القديمة كالسنكريتية واليونانية واللاتينية يكون ايقاع الكلام المنظوم عندهم معتمدا على مقابلات بين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة ويسمى "ايقاع كمية" .

وليس هذا الايقاع في الحقيقة مقصورا على المنظوم فحسب بل وقد يدخل المنثور ايضا وذلك متى حاول صاحبه فيه الوصول الى نوع من انسجام الكلام (مثل الفقرات المسجعة عند سيسيرون) .

2 – الايقاع في العربية القديمة .

كان الايقاع فيها "ايقاع كمية" شبيها بالايقاع في اللغة السنسكريتية القديمة (اي لغة الفيداس وهي الكتب المقدسة الهندية) بالايقاع في الشعر الغنائي عند اليونان. ويعتمد الايقاع في العربية القديمة على مقابلات بين مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة تحتوي ايضا على قافية في اواخر الابيات (انظر ر. برانشفيق : R. Brunschwig : "النظم العربي الكلاسيكي" في "المجلة الافريقية" : 1937 ص 325—344) La versification arabe classique
in Revue Africaine 1937 p. 325 - 344

3 ــ الايقاع في الالسن الدارجة العربية الحديثة

لقد اعتل ايقاع الكمية فيها اعتلالا شديدا وذلك لذهاب عدد كبير من المقاطع القصيرة (الناتج عن سقوط كثير من الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع منفتحة) بل وقد اضمحل ايقاع الكمية من لهجات المغرب العربي وذلك لاضمحلال المقاطع القصيرة اضمحلالا صار مدى جميع المقاطع معه مدى متماثلا. ويبحث الآن اصحاب هذه اللهجات على نوع آخر من الايقاع كما وقع ذلك في اللغات الرومنية اثر اضمحلال الايقاع الكمي اللاتيني منها.

4 ــ الوقف في العربية القديمة وفي الالسن الدارجة

يقع المقطع الاخير من المصراع او من البيت في الشعر ومن الجملة او من جزء منها في النثر في موقع خاص يدعى "الوَقْف" ولا ينتهي المقطع عند الوقف الا بحرف او بحركة طويلة ولذلك فان الحركات القصيرة الآخرة تسقط (او تطول في الانـدر) وكذلك تسقط نون التنوين (وهي نون كانت ضعيفة نوعا ما فيما نعتقد) وتسقط الحركة السابقة لها ان كانت ضمة او كسرة وتطول ان كانت فتحة وكذلك تسقط من الفعل نون التوكيد الخفيفة وتطول الفتحة التي قبلها وكذلك تبدل تاء التانيث هاء (ـَة ــ ـَهْ) وتسقط علامة الاعراب منها وامثلة ذلك كله قولهم عند الوقف "الدَّارْ" في "الدَّارُ" و"من الدَّارْ" في "من الدَّارِ" و"دَارْ" في "دَارٌ" و"من دَارْ" في "مِنْ دَارٍ" و"رايت دَارَا" في "رايت دارًا" و"تكتبَا" في "تكتُبَنْ" و"النَاقَهْ" في "النَاقَةُ". واذا اضطرهم تطبيق



قواعد الوقف الى انهاء الكلمة بمجموعة من الحروف جاز اقحام حركة فصل بين هذه الحروف (انظر اعلاه ص 188). ويجوز كذلك تخفيف الحركات القصيرة الآخرة تخفيفا فقط عوض اسقاطها اسقاطا تاما ويسمي النحاة العرب ذلك التخفيف "رَوْمًا" او "إِشْمَامًا" (انظر اعلاه ص 190).

ويجوز في النهاية تضعيف الحرف الآخر من الكلمة عند الوقف نحو قولهم "خالدّ" في "خالِدٌ" و"سَبْسَبّا" في "سَبْسَبًا": (ارجع فيما يتعلق بالوقف وأثره في الكلام الى سيبويه : II ، ص 306—316 والى الزمخشري — ابن يعيش : IX ، ص 66—90 والى "شاده" : ص 55—63 والى "برافمان" "مواد" ... ص 82—90).

ويلحقون هاء يسمونها "هَاءَ السَّكْت" ببعض الحركات الطويلة الآخرة وبالحركات القصيرة غير حركات الاعراب والتي لو سقطت لادى ذلك الى طمس معالم الكلمة وانكار الناس لها. وذلك نحو قولهم "وَاعَجَبَاه" و"لم يَغْزُهْ" (اي لم يغز) و"رَهْ" (الإمر من راى) و"قِهْ" (الأمر من وقى) انظر سيبويه II ، ص 302—304 والزمخشري — ابن يعيش : IX ، ص 45—48 واخيرا ينبغي الاشارة الى ان ضمير المخاطبة "كِ" يصير "كِشْ" عند بني تميم و"كِسْ" عند بني بكر. ويطلقون على هذه الظاهرة اسم الكشكشة والكسكسة وهو الاسم الذي اطلقوه كذلك على ابدال نفس ذلك الضمير "شِ" و"سِ" انظر الزمخشري — ابن يعيش IX ، ص 48—49.

قـائمة المصـادر والمراجع

1 ـ المؤلفون العرب

ان اكثر الكتب التي خلفها لنا النحاة العرب تحتوي على فقرات خاصة بعلم الاصوات الا ان عدد الذين درسوا هذا القسم من النحو دراسة مفصلة ومنظمة اربعة فيما اعلم وهم :

أ) سيبويه (نهاية القرن الثاني للهجرة) "الكتاب" II ، ص 279—481 طبعه ديرنبورغ (Dérenbourg)

ب) شرح ابن يعيش (553—643 هجريا) لمفصل الزمخشري (467—538 هجريا) وخاصة IX ، ص 53—158 و X ، ص 2—155 من طبعة القاهـرة .

ج) شرح الراضي (المتوفى في 684 او 686 هجريا) لشافية ابن الحاجب (570—646 هـ.) وخاصة ص 114—265 من طبعة القاهـرة .

د) شرح الجَـرَبَرْدي (المتوفى في 746 هجريا) لشافية ابن الحاجب ايضا. ولما يطبع هذا الكتاب فيما اعلم ولكنك تجد فقرات هامة منه في كتاب هوّل "نحو اللغة العربية الفصحى" : المطبوع في الله اباد (1883—1911) وخاصة في : IV ، ص 736—1850 .

وكتاب هُوِّلْ هذا هو مجموعة ضخمة من نصوص انتخبها المؤلف من اكثر من مائة نحوي عربي ويحتوي في الصفحات المذكورة اعلاه على تلخيص نظرية النحاة العرب في علم الاصوات وهو تلخيص جيد جدا.

والى جانب النحاة يجب ذكر مؤلفي كتب التجويد التي حفظت لنا الى يومنا هذا اهم ما في نظرية النحاة القدامى الصوتية التقليدية. ومن احسن هذه الكتب كتاب التيسير للداني (371—444 هـ.) وقد طبعه ونشره أ. بريتزل سنة 1930 الا ان اصغر الكتيبات في هذا الموضوع واقربها عهدا تحتوي على عدة تحديدات صحيحة وتلخيصات مناسبة في هذا الميدان.

١ ـ المؤلفون الاوروبيون الذين درسوا اصوات العربية القديمة

تحتوي الكتب المفصلة في نحو العربية الفصحى مثل كتاب سلفستر دي ساسي (Silvestre de Sacy) وكتاب كسباري (Caspari) وكتاب رايت (Wright) وكتاب سوسين (Socin) ... الخ تحتوي قلنا على بعض الافكار الاولية في علم الاصوات العربي الا ان علم الاصوات العربي هذا لم يصر الى موضوع بحوث مفردة خاصة به، الا ابتداء من منتصف القرن الاخير، ونذكر من هذه البحوث بالخصوص :

ـ غ. أ. فالين : "في اصوات العربية ووصفها" مجلة جمعية الاستشراق الالمانية : 1855 ص 1—69 و 1858 ص 599—665

G.A. Wallin" uber die Laute des Arabischen und ihre Bezeichnung", in Z.D.M.G., 1355, 1167, 1853, p 599 — 665.

ـ أ. بروكه "مساهمة في علم اصوات اللغة العربية" : تقريرات جلسات اكاديمية العلوم بفيينة. قسم اللغة والتاريخ : XXXIV ، (1860)

E. Brucke, "Beitrage Zur Lauthehre der arabischen Sprache", S. ber. d. k. Akad. d. Wiss. z. Wien, Phil. hist. kl. XXXIV. (1860)

ـ ر. لبسيوس : "في اصوات اللغة العربية وكتابتها بالاحرف اللاتينية" مقالات اكاديمية برلين. قسم فقه اللغة والتاريخ (1861).

R. Lepsius: Uber die Arabischen Sparchlaute und deren Umschrift", Abhand. d. Berlin. Akad. Phil-Hist. Kl. 1861.

ـ ج. ب. فينيغ : "قواعد النبرة في الالفاظ العربية". اونيبونتي : 1870.

J.B. Wenig: "Regulae de tono vocum arabicorum, oeniponte 1870.

ـ م. غرونيرت : "الامالة" او "الاوملوط" في العربية" : تقريرات جلسات اكاديمية العلوم بمدينة فينه، قسم اللغة والتاريخ : L'XXXI (1876) ص 447—491

M. Grunert, "Die Imâla, der Umlaut im Arabischen", S. ber. d. K. Akad d. Wiss. Z. Wien, Phil. Hist. Kl. LXXXI. (1876), p. 447/491.

ـ ك. فولارس : "نظام الاصوات العربية" في "تقريرات مؤتمـر المستشرقين التاسع" : الجزء الثاني، ص. 130ـ154، لنـدن 1893.

— K. Vollers: "The system of arabic sounds", in Actes du IX• Congrès des Orientalistes, II. p. 130/154, Londres 1893.

ـ ميار لمبـار : "النبـرة في العربيـة" : في : "المجلة الآسيويـة"، 1897، ص. 402ـ413 .

— Mayer Lambert: "De l'accent en arabe" in "Journal Asiatique", 1897, p. 402/413.

ـ غ. كمبفمايـر : "بحوث في النبـرة في اللغـة العـربيـة" : اعلانات ندوة البحوث الخاصة باللغات الشرقيـة : (برلين 1908) ص. 1ـ59 .

— G. Kampffmeyer : "Untersuchung uber den Ton im Arabischen" Mitt. d. Seminars f. Orient, Sprachen, XI. (Berlin 1908) p. 1/59.

ـ أ. شاده : "علـم الاصـوات عند سيبويـه"، ليـدن ـ 1911 .

— A. Schaade : "Sibawaihi's Lautlehre", Leiden, 1911.

ـ م. برافمـان : "مـواد وبحوث في النظريات الصوتيـة عند العرب"، غوتنغـن، 1934.

— M. Bravmann: Materialen und Untersuchungen Zu den Phonetischen Lehren der Araber, Gottingen 1934.

ـ أ. بريتزل : "علم التجويـد" مجلـة "اسلاميكـا" VI. (1933ـ1934) ص. 1ـ47 ، و 230ـ246 ، و 290ـ331 .

— O. Pretzl : "Die Wissenschaft der Koranlesung" in Islamica, VI. (1933—1934) p. 1/47, 230/246, 290/331.

ـ و.هـ.ت. غاردنيـر : "نظريـة علمـاء الاصوات العرب في الحروف والحركـات" في مجلـة "العالم الاسلامي" XXV (1935) ص. 242ـ257

— W.H.T. Gairdner: "The arab Phoneticians on the consonants and vowels", in Moslem World. XXV. (1935) p. 242—257.

وبشيـر كتاب أ. فولارس "لغـة الشعب ولغـة الكتابة بالجزيـرة العربية قديمـا" الصـادر بستـراسبورغ سنـة 1906

(K. Vollers, Volkssprache und Spriftsprache im alten Arabien, Strasbourg 1906)

الى عـدد كبير من كيفيات النطق القديم والتي من اجل دارج. وتدرس لكتب الآتية : صوتيات اللغة القديمة وصوتيات الالسن الدارجة الحديثة معا :

• أ. ماتسون : "دراسات وظائفية في اللسان العربي العامي بيروت". أوبسالة ــ 1911

E. Mattsson, "Etudes phonologiques sur le dialecte arabe vulgaire de Beyrouth, Upsala 1911.

• و.هـ.ت. غاردنير : "صوتيات العربية" اكسفورد 1925

W.H.T. Gairdner, the phonetics of Arabic, Oxford 1925.

واخيرا فان مؤلف ك. بروكلمان : "المختصر في مقارنة انحاء اللغات السامية" الصادر ببرلين 1908ــ1913

C. Brockelmann, Grundriss des vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, Berlin 1908 — 1913

يتعرض في باب الصوتيات السامية (اي في الجزء ١ ، ص 41ــ282) الى جميع الامور الهامة في صوتيات العربية الفصحى والدارجة ..

3 ــ المؤلفون الاوروبيون الذين درسوا صوتيات الالسن العربية الدارجة الحديثة: اننا نجد في اكثر المؤلفات الواصفة للالسن الدارجة اشارات الى صوتيات اللهجة الموصوفة ولن نذكر هنا الا المؤلفات التي نجد فيها دراسة صوتية مفصلة تفصيلا كافيا :

أ) المؤلفات الخاصة بالمغرب العربي :

• هـ. اشتمه : "نحو العربية التونسية". ليبزيغ 1896 ــ ص 1ــ6 و"قصص واشعار من مدينة طرابلس بشمال افريقيا ــ ليبزيغ 1898 ص 197ــ227

H. Stumme, Grammatik des tunisischen Arabisch, Leipzig 1896, p. 1—6 — Marchen und Gedichte aus der Stadt Tripolis in Nordafrica, Leipzig 1898, p. 197 — 227.

• و. مارسي : "اللسان العربي الدارج بتلمسان — باريس 1902 — ص 13—60 و"اللسان العربي الدارج عند اولاد ابراهيم بصيدا" — باريس 1908 ص 5—75 .

W. Marçais, Le dialecte arabe parlé à Tlemcen, Paris 1902, p. 13—60
Le dialecte arabe des Ulad Brahim de Saida, Paris 1908, p. 5 - 75

• م. كوهين : "لهجة يهود مدينة الجزائر العربية" — باريس 1912 — ص 17—173

M. Cohen, Le parler arabe des Juifs d'Alger, Paris 1912, p. 17 — 173.

• أ. فيشر : صوتيات العربية بالمغرب الاقصى — ليزيغ 1917 — "ونبرة الكلمة في عربية المغرب الاقصى" في اعلانات ندوة البحوث الخاصة باللغات الشرقية II (برلين 1899) ص 275—286 .

A. Fischer, Zur Lautlehre des Marokkanisch — Arabischen, Leipzig, 1917
Zum Wortton in Marokkanischen, Mittelt. d. Seminars f. orient. Sprach. II. (Berlin 1899) .p. 275 — 286.

• أ. شيغر : "مساهمة في صوتيات اللغة الاسبانية — العربية" مدريد 1932

A. Steiger, Contribucion a la fonética del hipano — arabe, Madrid 1932

ب) المؤلفات الخاصة بالشرق العربي

• و. اسبيتا باي، "نحو اللسان العربي العامي الدارج بمصر" ليزيغ 1880 ص 1—68

W. Spita Bey, Grammatik des arabischen Vulgardialektes von Aegypten, Leipzig, 1880, p. I — 68.

• غ. برغشتريسر : "في اللسان العربي الدراج بدمشق" هانوفر 1924 — ص 4—50 — وجامع الخرائط اللغوى لسوريا وفلسطين في "مجلة الجمعية الالمانية الفلسطينية" XXXVIII (1915)

G. Bergstrasser, Zum arabischen Dialekj von Damascus, Hannover, 1924, p. 4 — 50 Sprachatlas von Syrien und Palastine, in Z.D.P.V., XXXVIII. (1915), carte 1 — 12.

• سيادة م. ت. فغالي : لهجة كفر عبيدة — باريس 1919 ص 1—132

Mgr. M.T. Feghali, Le Parler de Kfar Abida, Paris 1919, p. 1 — 132

• ج. كانتينو : — "لهجة تدمر العربية" بيروت 1934 ص 31—107
و"دراسات في بعض لهجات البد والرحل العرب بالشرق" 1 ، ص 12—70
و " ص 12—56.

و"لهجات حوران العربية — باريس 1940—1942 ص 78—192

والخرائط رقم 6 الى رقم 30

J. Cantineau : Le dialecte arabe de Palmyre, Beyrouth, 1934, p. 31 — 107
Etudes sur quelques parlers de nomades arabes d'Orient, I, p. 12 — 70; II, p. 12 — 56.
Les parlers arabes du Horan, Paris 1940 — 1942, p. 78 — 192 et cartes 6 — 30.

معجم الالفاظ الاصطلاحية

لقد اثبتنا في هذا المعجم جميع الالفاظ والعبارات الاصطلاحية الواردة في الكتاب المترجم مع ما يقابلها في الأصل الفرنسي ورتبناها ترتيب الأبجدية الفرنسية.

وجميع الفاظ هذا المعجم لها علاقة قريبة أو بعيدة بعلم اللغات عامة وبعلم الاصوات خاصة الا النزر القليل منها مفردات لا صلة لها بهذين العلمين مباشرة اشرنا اليها بان وضعنا نجمة صغيرة بحذائها على النحو التالي : * لسان متحرك : Anche Battante *

ومصادر التراجم المقترحة في المعجم متنوعة : منها الالفاظ الموجودة بعد في نصوص النحاة العرب القدامى المتعلقة بمخارج الحروف والادغام والامالة والابدال ... وخاصة نصوص سيبويه والزمخشري وابن يعيش. وقد استعملنا هذه الالفاظ قدر المستطاع ونبهنا اليها بوضعها بين قوسين هكذا : (تقريب) : Accomodation

ومنها ما وجدناه عند كانتينو نفسه في اول كتابه عند حديثه عن جهاز التصويت ووصف نظرية النحاة العرب فيه ولم نعثر عليه شخصيا في كتبهم. وقد دللنا على هذه الالفاظ بأن رسمنا بعدها حرف (ك) اي كانتينو على النحو التالي :

طبق راس القصبة (ك) : Epiglotte

ومنها الالفاظ المعروفة المتداولة عندنا اليوم بدون ان نعرف لها اصلا يذكر او ان نجدها حتما في النصوص القديمة وقد اثبتناها في المعجم عارية من كل إشارة خاصة نحو :

العربية الفصحى : Arabe Classique

ومنها في النهاية ما هو راجع الى مجهودنا الخاص سواء اتفق صدفة مع تراجم موضوعة بعد لم نطلع عليها او كان ضربا من الانشاء لأول مرة وقد وضعنا علامة على هذه الالفاظ كتابتها بالاحرف الغليظة هكذا :

حركة مزدوجة : Diphtongue

والمترجم يرحب بجميع الملاحظات التي يقدمها له القراء ومستعملو هذا الكتاب بخصوص جميع ما اقترحه من تراجم في هذا المعجم.

Abrégé .... مقتضب
Abréviation .... اقتضاب
Accent .... نبرة
Accentué .... منبر
Accomodation .... (تقريب)
Adstrat .... طبقة لغوية مجاورة
Affrication .... الجمع بين الشدة والرخاوة
Affriquée .... شديد ورخو
Akkadien (langue) .... الأكادية (اللغة)
Allongement .... تطويل
Allongement compensatoire .... تطويل تعويضي
Altération .... تغير (اعتلال)
Alternance .... تناوب
Alternance consonantique .... تناوب حرفي
Alternance vocalique .... تناوب حركي
Alvéolaire .... شارزي
* Anche (Battante) .... * لسان (متحرك)
Antérieure (voyelle) .... أمامية (حركة)
Aperture .... انفتاح
Aperture croissante .... انفتاح متزايد
Aperture décroissante .... انفتاح متناقص
Apicale .... طرفي (ذولقي ـ أسلي)
Appareil .... جهاز
Appareil phonatoire .... جهاز التصويت
Arabe .... العربية
Arabe ancien .... العربية القديمة
Arabe classique .... العربية الفصحى
Arabe dialectal .... العربية الدارجة

Arabe littéral .... العربية الفصحى
Arabe moderne .... العربية الحديثة العصرية
Arabe vulgaire.. العربية العامية
Arrière d' (voyelle).. خلفية (حركة)
Arrondie (voyelle) .... مستديرة (حركة)
* Arrondissement .... * دائرة
Articulation .... تفصيل النطق
Aspirée .... نَفَسِي – (هَاوٍ)
Assimilation .... (ادغام) – تجانس
Assimilation partielle .... ادغام (تقريب)
Assimilation progressive .... ادغام تَقَدُّمِي
Assimilation régressive .... ادغام رِجْعِي
Assimilation à distance .... تجانس المنفصلين
Assimilation de deux
Consommes identiques .... (ادغام المتماثلين)
Assimilation de deux consommes
proches (points et modes d'articula-
tion proches) .... (ادغام المتقاربين)
(أى حرفين مخرجاهما وصفاتهما متقاربة)
Assimilation de deux consommes si-
milaires(mêmes points d'articulation.. (ادغام المتجانسين)
et modes d'articulation différents). (أى حرفين مخرجهما واحد وصفاتهما متباينة)
Assyrien (langue).. الآشورية (اللغة)
Assyro — babylonien (langue) .... الآشورية البابلية (اللغة)
Atone (syllabe) .... غير مُنَبَّر (مقطع)
Avant (d') (voyelle) .... أمامية (حركة)

B

Babylonien (langue) .... البابلية (اللغة)
Battant .... متحرك
Bilabiale .... (من بين الشفتين)

Bouche .... فم

Brève (voyelle, syllabe)........................ قصير (حركة ـ مقطع)

Buccal .... فموي

C

Cananéen (langue) .... الكنعانية (اللغة)

Canine (s) .... ناب (أنياب)

Cavité buccale .... (غار الفم)

Césure .... قطع

Chuintante (consonne)........................... مُتَفَشّاً (حرف)

Chuintement .... تَفَشّاةٌ

Classes de localisation .... أصناف المواضع

Combinatoire .... تَعَامُلِي

• Commune .... • دائرة بلدية

•Commune mixte .... • دائرة مختلطة

•Commune de plein exercice .... • دائرة ذات التصرف الفرنسي البحت

Compensatoire.. تعويضي

Complexe .... مركب

Complexe consonantique .... مركب حَرْفِي

Complexe vocalique .... مركب حَرَكِي

Conditionné .... (مُقَيَّد)

Consonantique .... حَرْفِي

Consonantisme....................................... نظام الحروف او حرفية

Consonne (s) .... حرف (حروف)

Continue (consonne) .... (زماني) (حرف)

Cordes vocales .... اوتار صوتية

Croissant .... متزايد

D

Décroissant... متناقص

Degrés d'aperture .... درجات الانفتاح

Dent (s) .... سن (أسنان)
Dentale (consonne) .... أسناني (حرف)
* Département .... * مُقَاطَعَة
Dialecte .... لسان دارج
Dialectal .... دارج
Dialectologie .... الألسنية
Dialectologue .... عالم في الألسنية
Diphtongue .... حركة مزدوجة
Dissimilation .... تَبَايُنٌ
Disjonction .... (فصل)
Distinctif .... تَمْيِيزِي
Dorsale (consonne) .... ظهري (حرف)
Doublets .... صيغ مزدوجة
Duo .... زوج ـ مجموعة ثنائية
Durative (consonne) .... (زماني) (حرف)
Durée .... مدى

E

Emission (de sons) .... اصدار (الأصوات)
Emphase .... (تفخيم) أو (اطباق أو استعلاء او تسمين او تغليظ)
Emphatique........ (مفخم) أو (مطبق او مستعل او مسمن او مغلظ)
Emphatique (non) .... غير مفخم او (مرقق أو مستفل او منخفض او منفتح)
Elargissement .... (تكثير)
Epiglotte .... طبق رأس القصبة (ك)
Etirée (voyelle) .... منفرجة (حركة)

F

Fait (s) .... مثال (امثلة) مسألة (مسائل) امر (امور)
Fermant (phonème) .... غالق (صوت)

Fermée (voyelle) .... مغلقة (حركة)

Fermeture .... انغلاق

Fermeture décroissante .... انغلاق متناقص

Fermeture croissante .... انغلاق متزايد

Fosses nasales .... خياشيم) (جمع خيشوم)

Fracture .... انغلاق

Fricative .... (بين الشدة والرخاوة) – دَعْكِي

Friction .... دَعْك

G

Gémination .... تضعيف – مضاعفة – تشديد)

Géminée (consonne) .... مضعف – مضاعف – مشدد) (حرف)

Gencive (s) .... لِثَةٌ) (لثات)

Généralités .... عموميات

Germaniques (langues) .... جرمانية (لغات)

Gingivale (consonne) .... لِثَوِي) (حرف)

Glossaire .... معجم الألفاظ

Glotte .... رأس القصبة (ك)

Graphie .... رسم

H

Hébreu (langue) .... العبرانية (اللغة)

Hauteur (musicale) .... ارتفاع (موسيقى)

I

Implosif (phonème) .... حاجز للهواء (صوت)

Incisive (s) .... ثنية) (ثنيتان – ثنايا)

Incisives inférieures .... ثنايا سفلى)

Incisives supérieures .... ثنايا عليا)

Inconditionné .... مطلق)

Informateur .... مُخْبِر

Inflexion .... إمالة)

Inscription (s) .... مرقوم (مرقومات)
Intensité .... شدة
Interdentale (consonne) .... من بين الاسنان (حرف)

J

Jacobite (langue) .... اليعقوبية (اللغة)

L

Labiale (consonne) .... شفوى (حرف)
Labio — dentale (consonne) .... شفوى ـ اسنانى (حرف)
Langue .... لغة
Langue (s) romanes .... لُغَاتٌ رُومَنِيَّةٌ
Langue (organe) .... لسان (الانسان)
Larynx .... (حلق) ـ حنجرة (ك)
Laryngale (consonne) .... حلقى (حرف)
Latérale (consonne) .... (انحرافى) ـ جانبى (حرف)
Lèvre (s) .... شفة (شفتان ـ شفاه)
Linguiste (s) .... لغوى (لغويون)
Linguistique (nom) .... علم اللغات
Linguistique générale .... علم اللغات العام
Linguistique (adj.) .... لغوى
Liquide (consonne) .... مائع (حرف)
Localisation (s) .... موضع (مواضع)
Longue (voyelle) .... طويلة (حركة)
Luette .... (لهاة) ـ طلاطلة

M

Mâchoire .... فك ـ رحى
* Mandéens .... * المانديون *
Médiane .(voyelle) .... وسطية (حركة)
Médio — palatal .... وسط ـ حنكى

Metathèse .... (قلب) ـ تبادل

Moabite (langue) .... المؤابية (اللغة)

Mode (s) d'articulation .... (صفة) (صفات) الحروف

Molaire (s) .... (ضرس) (أضراس)

Mouillée (consonne) .... مُلَيَّنٌ (حرف)

Mouillure .... تَلْيِينٌ

Momentanée (consonne) .... (آني) (حرف)

N

Nasal .... خيشومي

Nasalité .... (غُنَّة)

Nasalisation .... غَنَانٌ

Nasaliser (une consonne) .... أَغَنَّ (الحرف)

• Nuance .... • فُوَيْرِقٌ

O

Occlusif .... (شديد)

Occlusion .... (شدة) ـ غلق

Oesophage .... بلعوم ـ مري‌ء

Ouverte (voyelle) .... منفتحة (حركة)

Ouvrant (phonème) .... فاتح (صوت)

P

Palais .... (حنك)

Palatale (consonne) .... حنكي (حرف)

Palatalisation .... تقديم مخرج الحرف في الحنك

Palataliser .... قدم مخرج الحرف في الحنك

Parler (s) .... لهجة (لهجات)

Particule (s) .... حرف (حروف)

Pause .... (وَقْفٌ)

Pharynx .... (أدنى الحلق)

Pharyngal .... أدنى حلقي

Pharyngal .... أدنى حلقي
Phénicien (langue) .... الفينيقية (اللغة)
Phénomène .... ظاهرة
Phénomène combinatoire .... ظاهرة تفاعلية
Philologie .... فقه اللغة - فيلولوجيا
Philologue .... عالم في فقه اللغة
Phonatoire .... تصويتي
Phonème .... صوت (صَوْتَم ؟)
Phonéticien .... عالم أصوات
Phonétique (adj.) .... صوتي
Phonétique (nom) .... علم الأصوات - صوتيات
Phonétique combinatoire .... تفاعل الأصوات
Phonique .... صوتي
Phonologie .... علم وظائف الأصوات
Phonologique .... وظائفي
Phonologue .... عالم في وظائف الأصوات
Point (d'articulation) .... (مخرج) و (مقطع - موضع - معتمد)
Position (phonique) .... موقع (صوتي)
Postérieure (voyelle) .... خلفية (حركة)
Post-palatal .... أقصى - حنكي
Préfixe .... زائدة أمامية
Prémolaire (s) .... (ضاحك) (ضواحك)
Prépalatal .... أدنى - حنكي (نطعي)
Progressive (assimilation) .... تقدمي (ادغام)
Prolongation .... تطويل - (مد)
Prosthétique (voyelle) .... (حركة) إعتماد
Poumon (s) .... رئة (رئتان)

Q

Quantité .... كمية
Quantitatif .... كمي

R

Réduction (des diphtongues) ....حة (الحركات المزدوجة)
Regressive (assimilation) ....رجعي (ادغام)
• Résonnateur.. ...مُقَوٍّ
• Restitution ....رجاع
Romanes (langues) ....رومانية (لغات)
Rythme... ...يقاع
Rythme quantitatif ....يقاع كمي
Rythme de quantité ....يقاع كمية

S

Sémitique (langue) ....سامية (اللغة)
Sémitique (adj.) ....سامي
Semi-voyelle ....نصف ـ حركة
Sifflante (consonne) ....صفيري ـ (حرف صفير)
Sifflement ....صفير)
Son .... (صوت)
Sonante (consonne) ....غنّة (حرف)
Sonore (consonne).................................... (مجهور) (حرف)
Sonore (sens général) ....نّق
Sonorisation ....جهار
Sonorité .... (جَهْر)
Souffle .... (نَفَس)
Sourde (consonne).................................... (مهموس) (حرف)
Sourdité .... (هَمْس)
Spirante (consonne) .... (رِخْوٌ) (حرف)
Spirantisation ....رخاء
Spirantisme .... (رَخَاوَة)
Sprachatlas .... أطلس لغوي
Structure .... تركيب

Structure syllabique	تركيب مقطعي
Substrat	طبقة لغوية سفلى
Suffixe	زائدة خلفية
Superstrat	طبقة لغوية عُليا
Syllabe	مَقْطَعٌ
Syllabe fermée	مقطع منغلق
Syllabe ouverte	مقطع منفتح
Syllabique	مقطعي

T

Tenue	زمن التعلق
Timbre (s)	(جَرَسٌ) (اجراس)
Trachée-artère	قصبة الرئة (ك)
Triade (s)	ثالوث (ثواليث)
• Tuyaux sonores	• انابيب صوتية

U

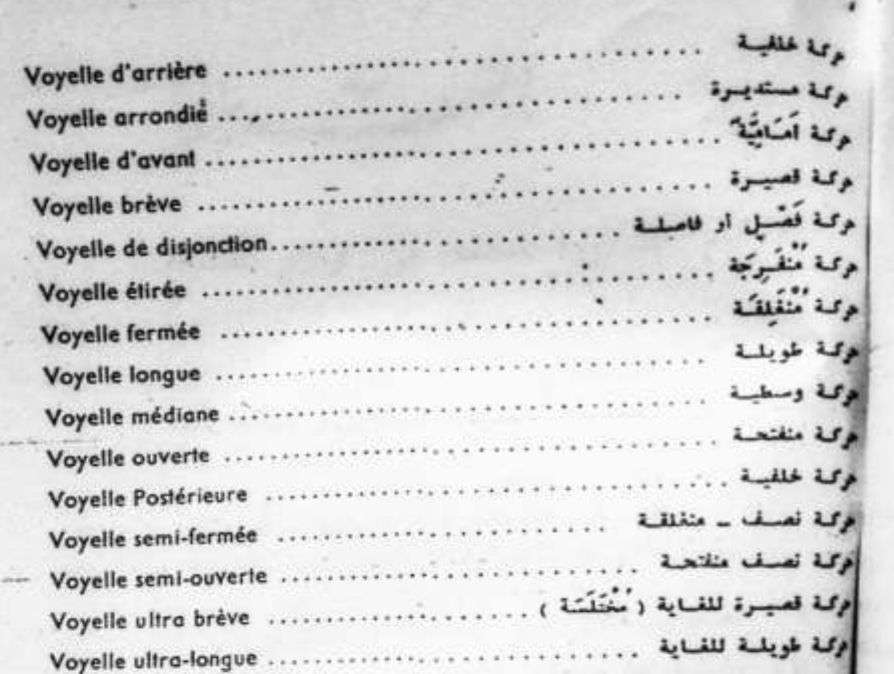
Uvulaire	(لَهَوِي)

V

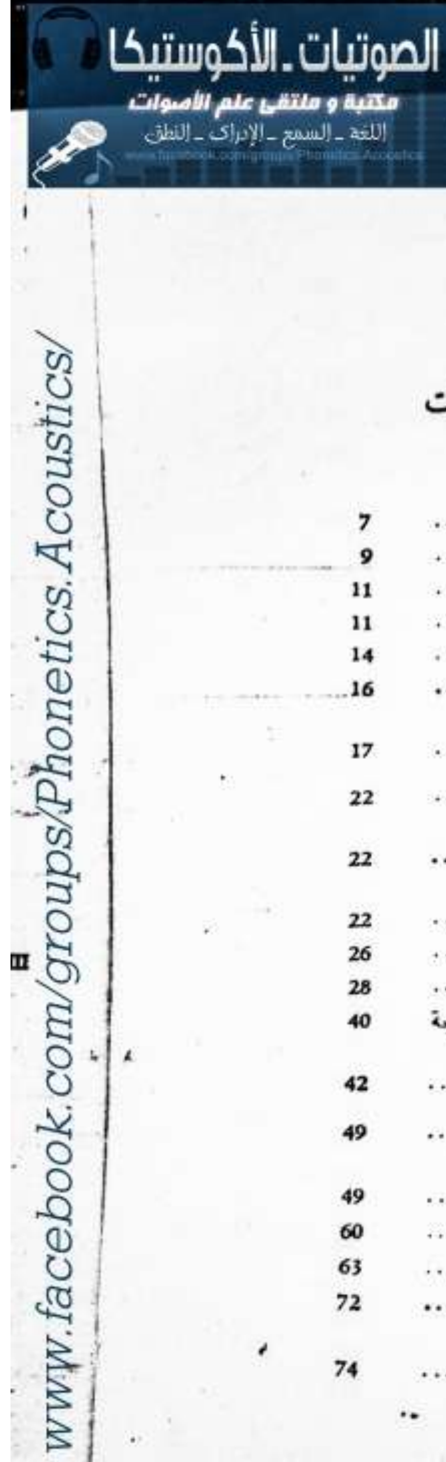
Variante	عِوَضٌ
Variante combinatoire	عوض تعامُلِي
Vélaire (consonne)	(لهوى) - قِصَالِي (حرف)
Vibrante (consonne)	مُكَرَّر - (حرف تكرير)
Vibrer	هَزَّ
Vibration	تزيز
Vocal	صوتي
Vocalisme	نظام الحركات او حركية
Voile (du palais)	غشاء (الحنك)
Voyelle (s)	حركة (حركات)
Voyelle antérieure	حركة امامية







Voyelle d'arrière	حركة خلفية
Voyelle arrondie	حركة مستديرة
Voyelle d'avant	حركة أَمَامِيَّة
Voyelle brève	حركة قصيرة
Voyelle de disjonction	حركة فَصْل أو فاصلة
Voyelle étirée	حركة مُنْفَرِجَة
Voyelle fermée	حركة مُنْغَلِقَة
Voyelle longue	حركة طويلة
Voyelle médiane	حركة وسطية
Voyelle ouverte	حركة منفتحة
Voyelle Postérieure	حركة خلفية
Voyelle semi-fermée	حركة نصف ـ منغلقة
Voyelle semi-ouverte	حركة نصف منفتحة
Voyelle ultra brève	حركة قصيرة للغاية (مُخْتَلَسَة)
Voyelle ultra-longue	حركة طويلة للغاية



الفهـــرس

الارقام المذكورة اسفله هي ارقام الصفحات